

مجلة ثقافية شهرية - العددان ٣٧١-٣٧٢ - الجماديان ١٤٢٨هـ - مايو/يوليو ٢٠٠٧م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 371-372- May/July 2007

الأمير الشاعر
عبد الله الفيصل

غسل الأموال
ظاهرة تهز الاقتصاد العالمي

الرضوي
اقتران الأصالة بالمعاصرة



صدر حديثًا عن مركز حمد الجاسر الثقافي

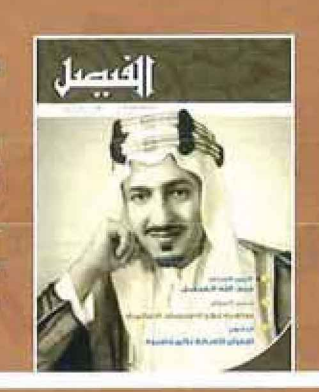
كتاب: بواكير الطباعة والمطبوعات في بلاد المملكة العربية السعودية

تاليف: الدكتور احمد بن محمد الضبيب



يرفع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ودار «الفيصل» الثقافية أسمى آيات التهاني والتبريكات إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز على الثقة الملكية الغالية بتعيينه أميرًا لمنطقة مكة المكرمة، سائلين الله العلي القدير أن يوفق سموه، ويسدد خطاه على طريق الخير في ظل قيادتنا الرشيدة.





الغلاف

الأمير الشاعر عبدالله الفيصل الذي توفي في مدينة جدة في يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الآخر سنة ١٤٢٨هـ (٨ مايو/ أيار عام ٢٠٠٧م) يعد رجلاً متعدد المواهب، كثير العطاء في مجالات مختلفة، فقد تبوأ عدداً من المناصب القيادية في الدولة، وكان أحد رموز الأدب العربي المعاصر، إذ أصدر خلال حياته عدداً من الدواوين الشعرية بالفصحى والعامية، ووضع أساس الحركة الرياضية في المملكة العربية السعودية، وقد أعدت «الفيصل» ملفاً خاصاً يتناول شذرات من عطائه الثر، رحمه الله.

إدارة التحرير
رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير
حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
نايف بن مارق الضيط
حوى النبي علي صالح

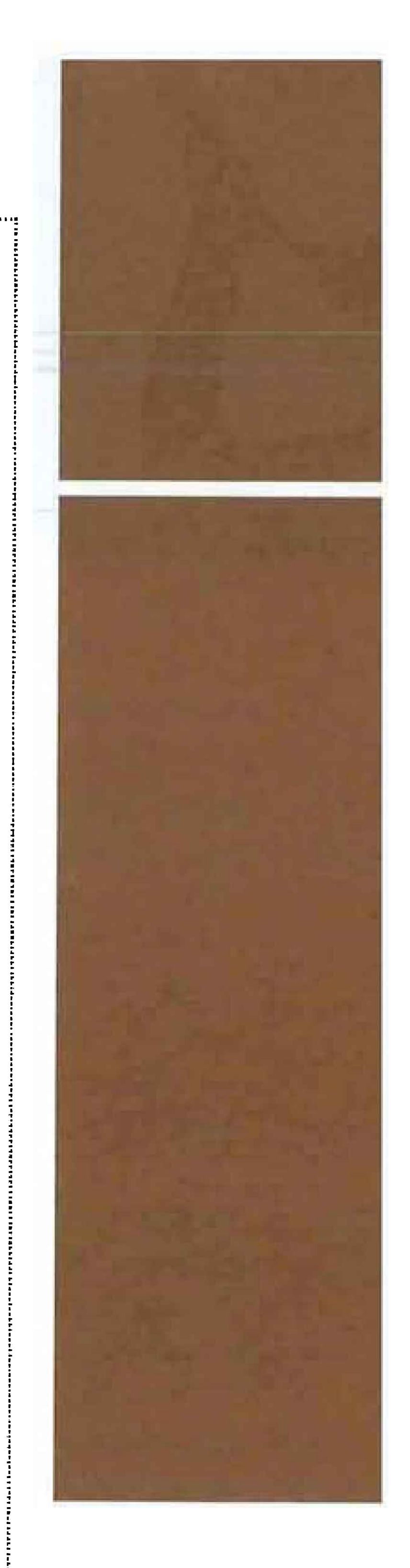
الإخراج الفني
الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ٤١/٢٤٥٠
ردمد ١٤١١ ـ ٨٥٢٠



ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هنالك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

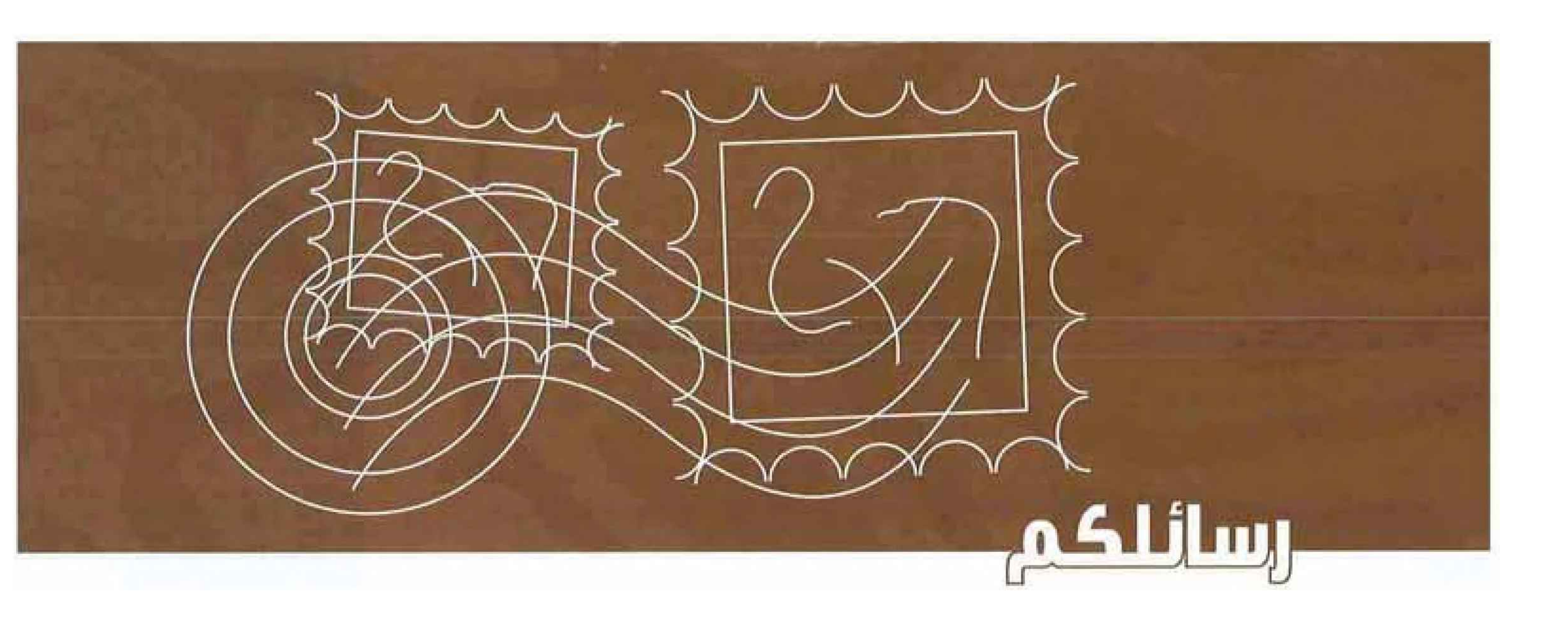
الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات، الكويت ٨٠٠ فلس، الإمارات ١٠ دراهم، قطر ١٠ ريالات، البحرين دينار واحد، عُمان ريال واحد، الأردن ٥٧٠ فلس، اليمن ١٠٠ ريال، مصر ٤ جنيهات، السودان ١٥٠ دينارًا، المغرب ١٠ دراهم، تونس ٢٥٠، ١ دينار، الجزائر ٨٠ دينارًا، العراق ٨٠٠ فلس، سورية ٤٥ ليرة، ليبيا ٨٠٠ درهم، موريتانيا ١٠٠ أوقية، الصومال ٢٠٠٠ شلن، جيبوتي ١٥٠ فرنك، لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية، الباكستان ٢٠ روبية، المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية، الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر، مؤسسة توزيع الأهرام، شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥، فاكس ٣٣٩١٠٩٦، ٢٠٢٠٠، سورية، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٣٨٢١٢ فاكس ٢١٢٢٥٣٢، ١١، ٩٦٣، ٠٠، تونس، الشركة التونسية للصحافة، ٣ نهج المغرب، ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٤٠٠٣٢٢/ هاتف ٩٣٢٢٤٩، ٧١، ٢١٦، ٠٠، قطر، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢، فاكس ٤٦٦١٨٦٥، ٩٧٤، ٠٠، الأردن، شركة وكالة التوزيع الأردنية، ص.ب ٣٧٥ هاتف ٥٦٣٠١٩١، فاكس ٥٦٣٥١٥٢، ٦، ٩٦٢، ٠٠، البحرين، مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠، فاكس ٥٣١٢٨١، ٩٧٣، ٠٠، الإمارات العربية المتحدة، مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢، فاكس ٢٦٦٩٨٢٧، ٤، ٩٧١، ٠٠، الكويت، شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ١٢/ ١١/ ٢٤١٧٨١٠، فاكس ٢٤١٧٨٠٩، ٩٦٥، ٠٠، المغرب، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٢/ ٢٢٤٠٤٠٣١، ٢١٢، ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية، القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢، ٣، ٩٦٧، ٠٠ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



العثيمين والتصهين

أجد نفسي هذه المرة ملزمًا بالتنويه بما ورد في ركن «رحلة في كتاب» في مجلة الفيصل عدد المحرم سنة ١٤٢٨هـ رقم ٣٦٧ إذ تم التطرق إلى كتاب الباحث السعودي الدكتور عبدالله الصالح العثيمين جمع وتقديم الأستاذ مصطفى الجوز، بعنوان «كتاب في التصهين».

الحقيقة أن المقالات المجمعة التي تناولت التصهين من منظور صهيوني أمريكي، والتي عنّون لها: «بوش الجد: تدمير المسلمين وتوطين اليهود» أسست لفلسفة الصهيونية المسيحية المتأمركة، التي وإن كان نظر إليها بوش الجد فإنها تواصلت مع بوش الأب في مرحلة معينة، وهي متواصلة حاليًا مع بوش الحفيد.

لقد اكتشفت في الدكتور عبدالله روح المثقف المسلم المشبع بآلام الواقع الإسلامي المرير، والساعي إلى كشف أهداف الحملة الصليبية الجديدة التي انكشفت يومًا على لسان الرئيس بوش في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وفسرت وقتها بأنها زلة لسان. لقد صدق الدكتور عندما عرّف بنظرة الأمريكان إلى العرب جميعًا، وأصدق تعريف جاء على لسان نيكسون عندما قال: «إن معظم الأمريكين ينظرون إليهم بوصفهم برابرة، وأن الجبهة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي والإسلامي لكونه العدو الجديد».

تلك الحقيقة التي جودها الكاتب هي حقيقة معلومة، ولكن خيل إلى بعضهم أنها انجلت ومضت إلى غير رجعة، من خلال محاولات التطبيع الثقافي، والسياسي، ومحاولات التغييب الديني للثوابت والعقائد لدى الأمة.

أيضًا نجح الدكتور في جمع مقاربات بعض الأكادميين العرب ورؤاهم لقضية احتلال العراق، وفرق بين الاحتلال والتحرير، وخص بالذكر الدكتور محمد الرميحي، هذا البعد المسيس - إن صحت العبارة - أصاب لب القضية، وهو أنه لا أمان ولا ثقة في المشروع الأمريكي المتصهين مهما تعاقبت الحكومات والأشخاص فالهدف واحد، والوجوه مختلفة.

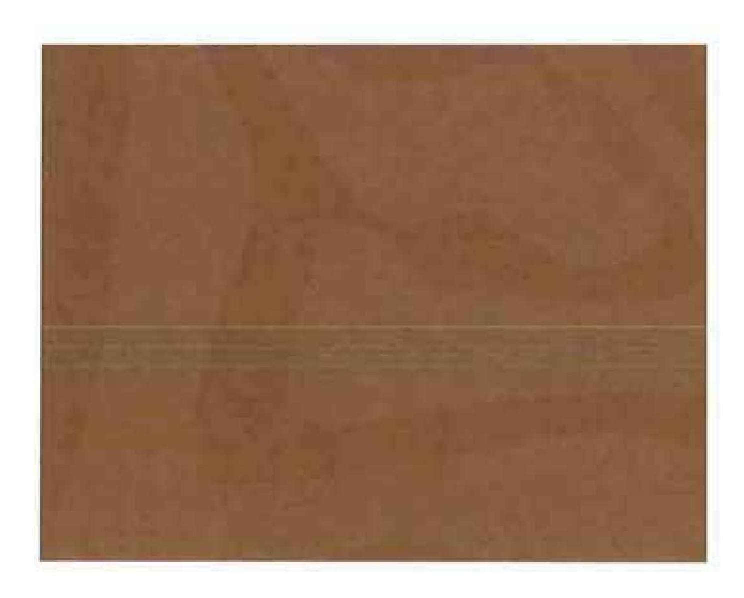
من ناحية أخرى أرى أن البعد الديني الأدبي قد قل في مجلة الفيصل، وأن التوجه أصبح ثقافيًا بحتًا، أي: بالغوص في الثقافة العلمية والسياسية والأدبية، ومن هنا أرى ضرورة التطرق إلى بعض الجوانب الدينية التي تقبل الاجتهاد أو التحليلية من الكتاب والسنة، والغوص فيها.

الرجاء أيضًا ذكر عنوان دار المناهل كاملاً بغية الحصول على كتاب الدكتور، ولم لا ينشر عنوان المؤلف بغية التواصل معه.

أيضًا للشهر الثاني على التوالي أصبح وصول المجلة متاخرًا، أي: بعد مرور ٢٠ يومًا من دخول الشهر العربي.

نبيل البواب

المنستير - تونس



التحرير:

نشكر لك التعليق الوافي الدال على تعمقك في قراءة ما جاء في المجلة. وننتظر من أمثالك دائمًا التفاعل مع ما يكتب.

لماذا ؟

قرأت الردّ على خطابي الأول.. ولكن هل إلى هذا الحدّ لا يكون هناك فائز واحد - ولو واحد فقط - من السودان خلال أكثر من خمس سنوات؟

ولو على سبيل التشريف.. أرجو أن يكون للسودان حظ في جوائز المسابقة الثقافية.. فالجهد المبذول في الحصول على المجلة بحيل وأساليب تتنوع. والبحث عن الإجابات من خلال الإنترنت والموسوعات وما تيسر من مجلات - أجدها أو لا أجدها - «الفيصل» و«المجلة العربية» و«منار الإسلام» وغيرها - ألا يستحق هذا جائزة شرفية؟

أختكم

سامية أحمد محمد الأمين

الخرطوم بحري - السودان

التحرير:

نشكر لك اهتمامك بمتابعة المجلة على الرغم من عدم توزيعها منذ مدة في السودان ونحن الآن بصدد حل مشكلة التوزيع. ولكن تصادفنا بعض العقبات التي نأمل في تذليلها. وهذا هو السبب الوحيد في عدم فوز أحد من السودان الشقيق منذ مدة. ولا نخفيك سرًا إذا قلنا: إن المسؤول عن إجراء القرعة أخ من السودان. والأمر كله يخضع للحظ. مع الأمنيات لك بالتوفيق.

تنويهات وهمسات

- نوهت لكم بصدد المسابقة. وأنها تحتاج منكم إلى إعادة هيكلة من جديد.. شكلاً ومضمونًا. فرحبتم بالفكرة ووعدتم وقلتم قريبًا قريبًا.. ومازلتم تجيبون كثيرين ممّن يثيرون معكم هذه المسألة.. فإلى متى وقد تواتر على نمط المسابقة سنوات؟!
- أنوه للأخوة القرّاء والأصدقاء بتوافر كمية من الأعداد لدي فمن يرغب مراجعتي بصددها.. على عنواني المدون لاحقًا.
- أرجو التواصل مع بعض الأصدقاء المتواصلين معكم عبر هذه الزاوية كالأخوين: نبيل البواب. ومحمد بن سالم «الهمسة الأخيرة» أذكركم بدائرة المعارف. والملفّات. وإبداعات الشباب. وأدب الأطفال. وفن التشكيل.

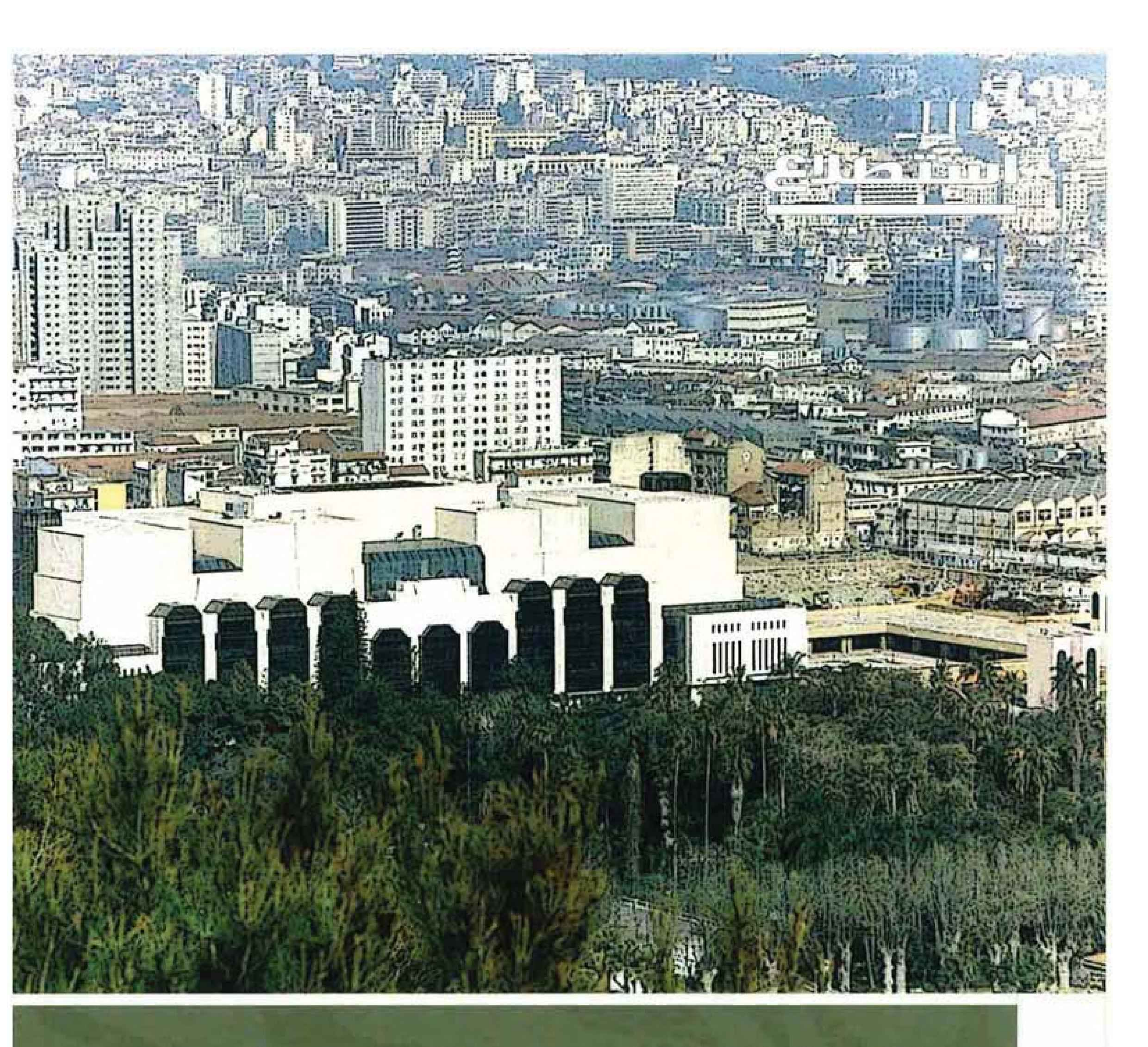
عبدالغني محمود

عمان - الأردن

التحرير:

نشكر لك حرصك على التواصل. بخصوص موادك المرسلة سيصل إليك خطاب مفصل بموقف كل منها من النشر.

والمسابقة قد تغير شكلها وأسلوب أسئلتها أكثر من مرة. ونأمل في تطويرها إلى الأفضل. ويسعدنا تلقي ملاحظات الإخوة القراء. وهمساتك محل تقدير ونظر. ولك التحية.



المكتبة الوطنية الجزائرية

صرح معرفي

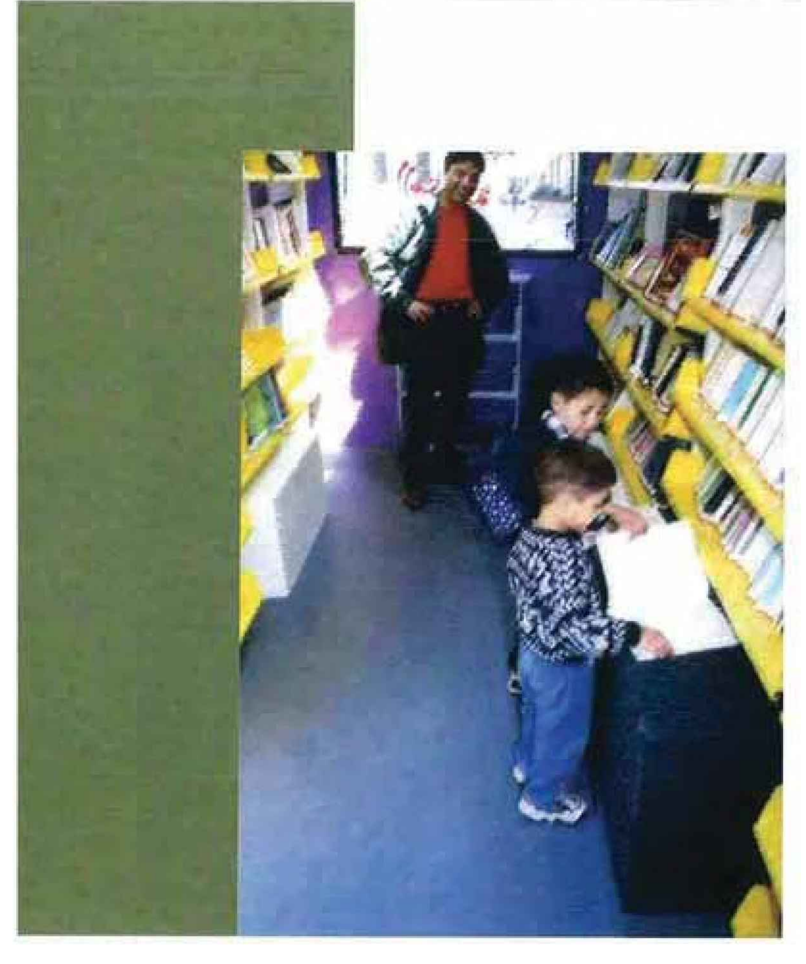
انشراح سعدي

الجزائر - الجزائر

تمثل المكتبة الوطنية الجزائرية، التي تقع بالحي الجديد «الحامة»، رمزًا من رموز المجتمع الجزائري الحديث، وذلك بفضل أهميتها، وتعدد الخدمات التي تقدمها. وتعد هذه المكتبة - التي كانت لسنين طوال حلمًا يراود كل الجزائريين - وحلقة وصل تنقل التراث الثقافي إلى شرائح المجتمع كافة. فمع ازدياد وسائل المعرفة أصبح من الصعب على الإنسان أن ينقل ثقافته من جيل إلى جيل، إلا بإنشاء مؤسسة تؤدي هذه المهمة. وفي جولة في هذا الصرح الفريد في نوعه في الجزائر نكتشف رحلة الكتاب، وعددًا من المصالح الإدارية التي توجد فيه. والتي أرى أن القارئ الذي يدخل المكتبة مئات المرات لا يتصور أنه بمؤسسة كاملة، تشبه خلية النمل، ولا تقتصر على كتاب وموظف وبطاقة إعارة.

تقع المكتبة الوطنية الجزائرية في حي الحامة، الذي يطل على البحر، وهو المقر الجديد لها بعد أن كان مقرها الأول بفرانس فانون بوسط الجزائر العاصمة منذ عام ١٨٦٣م، ولقد تم الإعلان عن مشروع هذا المبنى الجديد في بداية الثمانينيات، وشرع في تطبيقه في ١٠ ديسمبر عام ١٩٨٦م، ودشن في الأول من نوفمبر عام ١٩٩٤م احتفالًا بالذكرى الأربعين لاندلاع حرب التحرير الجزائرية.

تبلغ مساحة المكتبة الوطنية ٦٧٠٠٠م٢، وتتوزع على ثلاثة عشر طابقًا، خصص الطابقان الأسفلان للأعمال المكتبية (التزويد، والفهرسة، والتصنيف)، ومصالح الإعلام الآلي، وترميم الوثائق، وصيانة المبنى، إلى جانب قاعة للمخطوطات، وهي مفتوحة للقراء، وضمن الطوابق الخمسة الأخرى قاعات المطالعة للقراء والباحثين من مختلف الأعمار «الشباب، والجمهور الواسع، والباحثين»، إضافة إلى قاعة للدوريات، وقاعة مجهزة لضعيفي البصر، ومساحة خاصة بالوثائق السمعية البصرية بجميع



أطفال داخل المكتبة المتنقلة

أوعيتها، إضافة إلى قاعتين للمحاضرات: القاعة الحمراء وسعتها ٢٤٠ مقعدًا، والقاعة الزرقاء وسعتها ١٣٠ مقعدًا. وخصصت الطوابق الستة الأخيرة للمخازن، التي يبلغ طولها ١٧٠مترًا، وتعد من أهم المكتبات الوطنية في العالم من حيث حجم الاستيعاب: إذ يمكنها احتواء ١٠ملايين وثيقة، واستقبال ٢٣٠٠ قارئ في وقت واحد، وتضم ٢٨٣. ٨٤٨ عنوانًا.

تعد مصلحة المخطوطات والكتب النادرة أول فضاء فتح أبوابه للمستفيدين في سنة التدشين نفسها، أما الفضاءات الخاصة بالمطالعة العمومية فقد افتتحت في ١٦



مبنى المكتبة من الخارج

أبريل عام ١٩٩٨م بمناسبة يوم العلم، وهي أربع مصالح: مصلحة تسيير الإعارة وتوجيه القراء، ومصلحة المطالعة العامة (المكتبة المتنقلة)، ومصلحة الطفولة والشباب، ومصلحة السمعي البصري، التي تحفز المواطنين باختلاف شرائحهم إلى المطالعة.

مصلحة تسيير الإعارة وتوجيه القراء

تقع في الطابق الثاني من مبنى المكتبة الوطنية الجزائرية وترأسها السيدة حياة الأعوج، والمصلحة مزودة بقاعتين أساسيتين للإعارة الداخلية، مقسمة - من حيث المجالات - حسب تقسيم ديوي العشري، ذات رفوف مفتوحة، وتوجد فيها نسخة واحدة من كل عنوان، ماعدا المراجع فهي في أكثر من نسخة، تستقبل فضاءات هذه المصلحة عامة الناس من كل الشرائح، الذين تراوح أعمارهم بين السادسة عشرة وما فوق، من السبت إلى الخميس، من الساعة التاسعة صباحاً إلى الساعة الثامنة

ليلاً. ويقوم موظفو المصلحة على خدمة القراء بتوجيههم وتقديم الخدمات اللازمة لهم: وذلك باختيار كتب المطالعة العمومية من مجمل الكتب التي تقتنيها مصلحة التزويد للمكتبة الوطنية، وفقاً لطلبات القراء واحتياجاتهم. تقع هذه الفضاءات في الطابق الثاني من مبنى المكتبة. حيث تتوافر ستة مكاتب وقاعتان للمطالعة. يمكن أن تستقبل ٥٢٠ قارئاً في الوقت نفسه. ومع توافر عدد كبير من المقاعد فإنه لا يكفي لاستقبال كل المنخرطين خصوصاً أن عدد المسجلين في المكتبة يرتفع كل سنة.

من القاعات المفتوحة للقرّاء، نجد قاعة أولى للعلوم الإنسانية والاجتماعية. (خصص فيها جناح للمكفوفين وضعاف البصر، يستوعب تسعة مقاعد، مجهز بآلات قراءة لتكبير الحروف، ويحتوي على كتب برايل). وقاعة ثانية للمراجع والعلوم البحتة، والعلوم الدقيقة، والفنون. وعدد المشتركين في هذا الفضاء يقدر بـ ١٥٢ مشتركاً، حسب محاري دحمان - المشرف على الفضاء -. وكان عدد الكتب بخط برايل سنة الافتتاح ٤٠ عنواناً، ووصل الآن إلى ١٢٢٧ عنواناً تقريباً، كلها تصب في التخصصات الأدبية، ولهذا تشرف المكتبة الوطنية على مشروع الإعلام الآلي للمكفوفين وبادرت بالوثيقة المسموعة. إذ يقول الأستاذ نور الدين حميني - أستاذ بمدرسة المكفوفين-: «لا يمكن أن يكون هذا المشروع إلا خيراً. فالمكفوف لا يمكنه أن يشتري الكتاب، والمكتبة هي أمله الوحيد».

> خصصت المكتبة جناحاً للمكفوفين وضعاف البصر، جهز بآلات قراءة لتكبير الحروف، ويحتوي على كتب برايل

يقدر رصيد المصلحة بـ ٩٧،٩٩٢ وحدة، منها الكتب المخصصة للإعارة الداخلية، ويقدر عددها بـ: ٤٤،٨٢٥ كتاباً. هناك ٥٣،١٦٧ كتاباً موجهة للإعارة الخارجية من مختلف المجالات.

يقوم موظفو المصلحة بعدة أعمال، كإعداد الإشعارات، الخاصة بالتأخير في إرجاع الكتب وإرسالها إلى القراء ومتابعتها آلياً. وجرد كتب الإعارة الخارجية والداخلية، وإعادة تجهيزها بوضع ملصقات الشفرة، وأشرطة منع السرقة عليها.

مصلحة المطالعة العمومية (المكتبة المتنقلة)

يهدف مشروع المكتبة المتنقلة إلى وضع سياسة جديدة للمطالعة العامة في الجزائر، تعتمد - أساساً - على المكتبات السيارة. إذ أوكلت هذه المهمة للمكتبة الوطنية بموجب المرسوم التنفيذي رقم ٩٣،١٤٩ الصادر بتاريخ ٢٢ يونيو عام ١٩٩٢م، المتضمن القانون الأساسي للمكتبة الوطنية الجزائرية.

> يهدف مشروع المكتبة المتنقلة إلى وضع سياسة جديدة للمطالعة العامة في الجزائر، تعتمد - أساساً - على المكتبات السيارة

فمن أهدافها خدمة المواطنين - من جميع الشرائح - بالتنقل إليهم عن طريق المكتبات المتنقلة، تنمية قدرات القراء، وإثراء المعارف والمعلومات لدى المستفيدين، وتمكين الفرد من استغلال أوقات فراغه، حيث تصل هذه الأخيرة إلى المناطق النائية، والمنعزلة، والبلديات التي تتوفر على مكتبات لترقية المستوى العلمي والمعرفي للمواطن. ولقد كانت أول تجربة للمكتبة المتنقلة عام ١٩٦٢م تحت شعار المطالعة الشعبية، وفي أكتوبر عام ١٩٦٣م انطلقت العملية في الجزائر العاصمة فقط. أما باقي المناطق النائية فكانت تصلها صناديق كتب عن طريق السكك الحديدية، والشاحنات، وبين عامي ١٩٧٠و١٩٩٥م توقفت المصلحة لأسباب مادية، وقامت عام ١٩٩٦م وزارة الثقافة بالاتصال لإعطاء دفع جديد للمكتبات المتنقلة، تحت شعار القراءة للجميع، بإشراف متخصصين من المكتبة الوطنية.

تتمركز مواقع العمل بالطابق السفلي للمكتبة، ويتوافر للمصلحة - التي يرأسها السيد عبدالرحمن بن زيدان - اثنتا عشرة عربة متنقلة، (أربع من النوع الثقيل، وثمان من النوع الخفيف، قدرة تخزينها نحو ثلاثة أطنان ونصف الطن، وتسع ٢١٠٠ كتاب، أما الكبيرة فحمولتها سبعة أطنان ونصف الطن، وتسع أكثر من ٤٠٠٠ كتاب، بها ثلاثة عشر موظفاً من مختلف المستويات، يقومون بعدة أعمال كتسيير الرصيد المخصص للمطالعة، عن طريق معالجته، وتجهيزه، وترتيبه باعتماد قائمة رؤوس الموضوعات العربية وتصنيف ديوي العشري، مع تكوين قاعدة بيانات له.

وحسب إحصائيات عام ٢٠٠٦م يقدر الرصيد الوثائقي للمكتبة المتنقلة بأكثر من ٣٠.٠٠٠ عنوان، ويقدر الرصيد المعالج بـ ١٨.٨٤٤ عنوان، و٤٠.٢١١ نسخة، أما كتب الكبار التي تحويها المكتبة المتنقلة فتقدر بـ ١٤.٣٢٣ عنواناً، و٢٨.٩٦٠ نسخة، في حين تبلغ كتب الأطفال ٤.٥٢١ عنواناً، و١١.٢٥١ نسخة، توزع على خلايا التقارب الموجودة على مستوى البلديات، التي تعاقدت مع المكتبة للاستفادة من خدمات المكتبة المتنقلة، التي بدورها تتولى توزيعها على المكتبات المدرسية والثانوية، أو تتركها على مستواها إذا توافرت فيها شروط التخزين، وحفظ الوثائق، على أن تقوم هذه الأخيرة بإعارتها إلى المنخرطين فيها، لكن منذ ابتداء عملها، أي: في عام ١٩٩٩م، تعرضت المصلحة لعدة مشكلات، أدت بها إلى توقيف الرحلات التي كانت تبرمجها إلى تلك المناطق، وهذا يرجع إلى الظروف الأمنية السائدة بالجزائر، ومع ذلك فللمصلحة عدة برامج، وتقوم بإعداد عدة أنشطة وأعمال: لمحاولة تجاوز العقبات التي تعترضها في أثناء أداء مهامها، إذ قامت المكتبة في عام ٢٠٠٠م بعدة تنقلات على مستوى عدة ولايات، منها النعامة، وعين الدفلى، ووهران، ومسيلة، وأما بالنسبة إلى آخر الإحصاءات وهي لعام ٢٠٠٥م، فقد تضاعف عدد الولايات، وعدد الكتب المعارة، ففي ولاية بسكرة مثلا بلغ عدد الكتب المعارة ٧.٨٦٥، وعدد الكتب المهداة ٤٣ طرداً، بمعدل ٤.٨٧٩ نسخة، وبذلك تمت تغطية ٧ دوائر، و٣٢ بلدية.

تعد مكتبة الطفل من أهم المؤسسات التي تعمل على تكوين الطفل، وصقل مواهبه، وتنمية قدراته وتوجيهها التوجيه الأمثل

مصلحة الطفولة والشباب

أولت كثير من البلدان أهمية خاصة لرعاية الطفولة، حفظًا على الثروة التي لا يمكن أن تزول. فكما تسعى هذه الأخيرة إلى إيصال الغذاء والدواء للأطفال، والحفاظ على النموذج الأمثل للأسر، تسعى - أيضًا - إلى تغذية العقول، وتعد مكتبة الطفل من أهم المؤسسات التي تعمل على تكوين الطفل، وصقل مواهبه، وتنمية قدراته وتوجيهها التوجيه الأمثل، من خلال ما تقدمه له من مصادر معلومات تناسب حاجاته ورغباته وتوجهاته في القراءة؛ لتحقيق هذه الأغراض، تستقبل مصلحة الطفولة والشباب - التي ترأسها السيدة بنت الطيب ليندة - الأطفال من سن السادسة إلى سن الخامسة عشرة، ويشمل رصيد المصلحة ٣٤٫٠٩٤ كتابًا، وثلاثة عشر إلى ٢٨ قرصاً و٨٨ شريطاً سمعياً.

قاعات المطالعة موجودة بالطابق الأرضي (تسمح بتجنب الأطفال الأخطار من جراء الصعود للطوابق العلوية) وفيها مستويان، المستوى الأول: خاص بالأطفال الصغار الذين تراوح أعمارهم بين السادسة (٦) والعاشرة (١٠)، وفيه ركن مخصص لأولياء الأمور، يضم ورشة الراوي الصغير، التي يشرف عليها الأستاذ الراوي نذير حسين، ولقد تم إنشاء هذا الفضاء حسب الراوي؛ لأن الطفل عامة لا يقرأ من جهة، ومن جهة أخرى بدأت تزول ملامح الجدة الحكواتية، التي تجمع أحفادها حولها في الليالي الطوال لتوصل لهم - بشكل لطيف، وظريف - خلاصة تجاربها وتجارب الشعوب، فالآن غزت التلفزة والكمبيوتر كل كراسي الحكي، وفتحت نافذة لأفلام ورسوم متحركة كثيرًا ما تعلم الطفل قيمًا لا تلتقي مع قيم مجتمعاتنا العربية الإسلامية، فالنتاج هو طفل هجين.

ويسعى هذا الحكواتي الجديد - الذي لا يشبه الجدة في شيء، إلا في التمسك بزمن الحكي الآفل من عدة بيوت وحارات ومدن - إلى الحديث باللغة العربية المهذبة، والترجمة الفرنسية حين يستدعي الأمر، والإشارة والرمز، فيحمل الأطفال إلى عالم سحري أروع من عالم الكرتون المرسوم بالألوان؛ لأن المخيال حين يحرك يرسم ما لا يمكن أن يرسمه قلم.

تتميز كل المواد المكونة للوثائق بحساسيتها للأحوال المناخية المحيطة بها، وبصفة خاصة درجة الحرارة والرطوبة

وأما الطابق الثاني فهو مخصص لفئة الأطفال، الذين تراوح أعمارهم بين ١١ و١٥ عامًا، يمكن استقبال في ٢٢٠ قارئًا في الوقت نفسه في الطابقين.

كل قاعة من المستويين، مجهزة بمطراف للبحث الآلي، وحاسوب للإعارة الخارجية، وجهاز لإزالة التمغنط، مع العلم أن الحواسيب ممنوعة على الأطفال؛ كي لا تشغلهم عن القراءة والمطالعة التي هي الهدف الأول والأخير لهذا الفضاء.

إضافة إلى توافر جهاز سمعي، ومحطة بث مركزية للأشرطة والأقراص السمعية، نلاحظ تجهيز القاعات بتأثيث يوافق المقاييس الدولية، إذ يقوم موظفو مصلحة الطفولة والشباب بفرز الكتب وتجهيزها وتصنيفها وفق تصنيف ديوي المبسط، بإعطاء الكتاب رقم التصنيف الواسع المكون من ثلاثة أرقام فقط، تسهيلًا لوصول

عملت مصلحة الحفظ على توعية موظفي المكتبة من خلال حصص توعية ودراسة؛ من أجل إبراز مشكل الحفظ وأهميته

الطفل إليه. وإنجاز فهرس يدوي للإعارة الخارجية (إذ تحوي بطاقات الفهرسة المعلومات الرئيسة فقط عن الكتاب، مثل: بيان المسؤولية الأول، والعنوان والطبعة، ومكان النشر، والناشر، وسنة النشر، وعدد الصفحات)، وإعارة الكتب داخلياً وخارجياً. إضافة إلى هذه الأعمال تقوم المصلحة بتنظيم الورشات التعبيرية، مثل بث أفلام وثائقية مع مناقشات والرسم والقراءة الجماعية وإنجاز معارض، واستقبال الزوار والصحفيين، وإقامة حفلات لأطفال المكتبة بعدة مناسبات، كاليوم العالمي للطفل في ١ يونيو، ويوم الطفل الإفريقي في ١٦ يونيو.

مصلحة السمعي البصري

تعد المواد غير الكتب من المصادر الرئيسة التي توفرها المكتبات العامة في الدول المتقدمة. حتى تتأقلم المكتبة الوطنية الجزائرية مع البيئة الإيجابية وتنويع مصادر معرفتهم، أدرجت مصادر معلومات إلكترونية وسمعية بصرية غير ورقية في مجموعاتها.

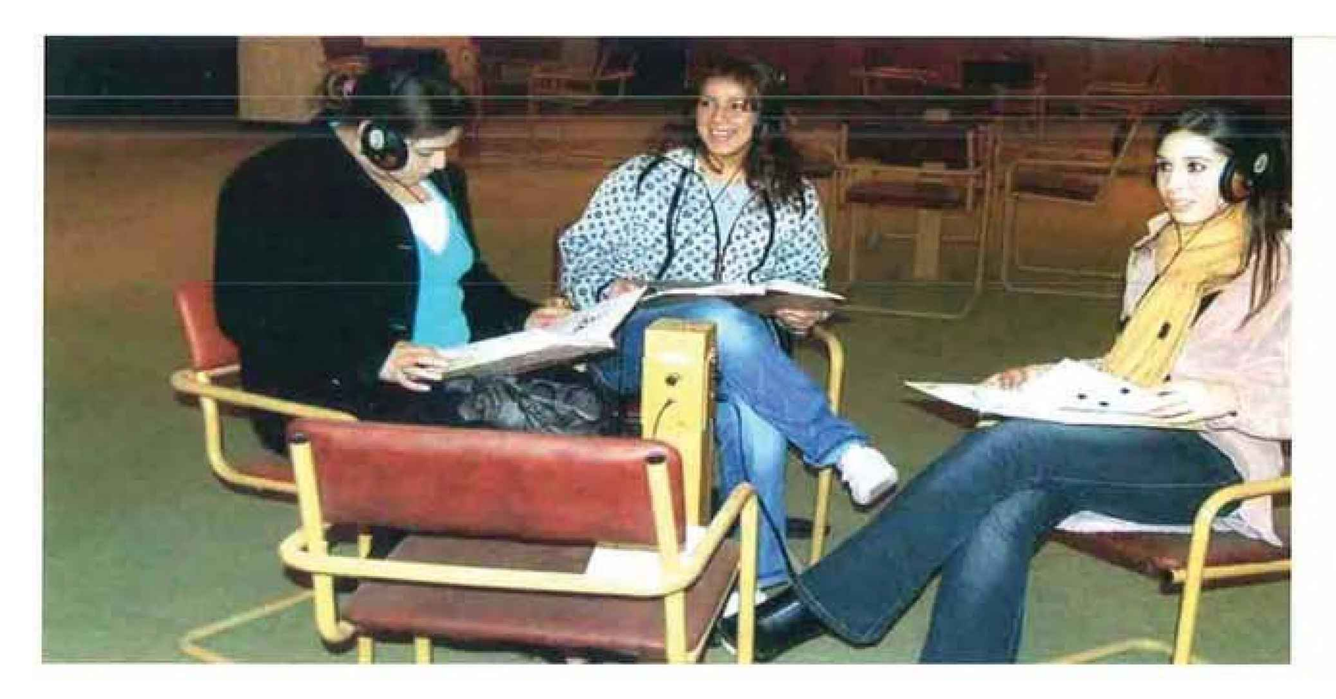
وحسب رابح بوجهيدة رئيسة، تقدم مصلحة السمعي خدماتها للقراء الذين تراوح أعمارهم من السادسة عشرة وما فوق، من خلال الأوعية السمعية البصرية المتنوعة، التي يتكون منها رصيدها (٣٧٤٢١ وحدة)، وثيقة موزعة كالآتي: المصغرات الفلمية (١١٠٦ ميكروفيش و٣٠٨ ميكروفيلم)، والشفافات (٩٧ وحدة)، والبطاقات البريدية (٢٠٠٤ وحدات)، والصور الشمسية (١٥٥٢١ وحدة)، والخرائط (٢٦٧٩ وحدة)، والملصقات (٤٥٩٢ وحدة)، والرسومات الإيضاحية، واللوحات الفنية، والرسومات المطبوعة (٢٢٤٣ وحدة)، والأشرطة السمعية (٩٩١ وحدة)، وأشرطة الفيديو (٨١٦ وحدة)، والأقراص المتراصة (١٦٥ وحدة)، والأقراص السمعية (١١ وحدة)، وقرص الفيديو (١ وحدة)، والأسطوانات (٢٢٩٣ وحدة)، والأشرطة الممغنطة (١١٠ وحدات).

يتم حفظ هذه المواد في المخازن بالطابق الرابع للمبنى، حيث تتوافر شروط الحفظ المعمول بها عالمياً، (فيما يخص التكييف والإضاءة). بينما نلاحظ غياب التجهيزات الخاصة بالحفظ لبعض أنواع المواد السمعية البصرية، كالأسطوانات، والأشرطة السمعية البصرية.

أما في مجال التنظيم الفني لأوعية المعلومات، فقد تم اعتماد أدوات معيارية لهذا الإجراء، فاعتمد في معالجة وثائقها تقنين تدوب المواد غير الكتب للفهرسة وقائمة

قاعة الميكروفيش





رؤوس الموضوعات للتكشيف.

تقوم المصلحة إذاً باختيار الأوعية التي تقتنيها مصلحة التزويد بالمكتبة الوطنية الجزائرية ومعالجتها، وترتيبها، وإعارتها - داخلياً فقط - وباستنساخ أشرطة الفيديو والأشرطة السمعية، عن طريق قاعة مجهزة بكل الوسائل التي تسمح بالقيام بهذه المهمة للحفاظ على الوثائق الأصلية.

وتوجد قاعات السمعي البصري في الطابق الثاني

تعمل مصلحة الإعلام الآلي على تحقيق مشروع التسجيل الرقمي، الذي يهدف إلى تسجيل رصيد المخطوطات، ومعالجته

من المبنى، وهي تنقسم إلى خمسة فضاءات، لها قدرة استيعاب تقدر بمئة وستة وخمسين (١٥٦) قارئاً في الوقت نفسه، وفضاء خاص بالمصغرات الفلمية مجهز بستة عشر (١٦) جهازاً للقراء، وأربعة (٤) أجهزة لاستنساخها حسب الطلب (بعد شراء بطاقة تسمح بالاستفادة من هذه الخدمة، وبمطراف للبحث الآلي، إضافة إلى فهارس يدوية (للمؤلفين والموضوعات، والعناوين). إلى جانب فضاء خاص بالأوعية السمعية مجهز بثمانية وأربعين (٤٨) جهازاً (عملية الاستماع للأشرطة والأقراص السمعية تكون فردية أو جماعية ١٢/١٢ أو (٤٨) قارئاً في الوقت نفسه، وبذلك يمكن استغلال القاعة لتعليم اللغات).

ويتوافر في الجناح الفهارس اليدوية بمداخل مختلفة، والفهرس الآلي للمواد السمعية، وأيضاً فضاء خاص بقراءة أشرطة الفيديو، ويتم ذلك فردياً، أو جماعياً عن طريق قاعة للبث الجماعي تحتوي على خمسين (٥٠) مقعداً. بالنسبة إلى الاستعمال الفردي لأشرطة الفيديو يوجد اثنان وثلاثون (٣٢) جهاز قراءة في الفضاء (منها

ثمانية موجودة في خلوات فردية يمكن استغلالها لتعليم اللغات). يحتوي كل جهاز على لوحة تحكم تسمح للقارئ باستعمال شريط الفيديو كما يريد، ويمكنه الاتصال عن بعد مع العامل الموجود ببنك الإعارة في حالة تعرضه لأي إشكال، إذ يتم حله في أغلب الأحيان عن بعد من محطة بث مركزية، وهذا جد إيجابي يسمح بربح الوقت، وتفادي الازدحام أمام بنك الإعارة. وكباقي الفضاءات يتوافر في هذه القاعة الفهارس اليدوية والآلية.

وفضاء الشفافات، وفضاء الأقراص موجودان في القاعة نفسها، ومجهزان بثلاثة (٣) قارئات للشفافات وأربعة (٤) آلات كمبيوتر، لقراءة الأقراص المتراصة. (هذا العدد قليل جداً إذا قارناه بعدد الطلبات في اليوم). وثلاثة (٣) أجهزة لقراءة أقراص الفيديو.

كما يتوافر بالمصلحة قاعة للمحاضرات، لها قدرة استيعاب تقدر بمئة وستين (١٦٠) مقعداً، تستعمل في أثناء تنظيم الأنشطة الثقافية بالمكتبة (كالملتقيات والمقاهي الأدبية والفلسفية) حيث يتم فيها التسجيل المرئي لجميع المحاضرات والندوات.

مصلحة الحفظ والتجليد

مصلحة الحفظ والتجليد التي ترأسها الكيماوية حلاوة عديلة، وهي أكثر المصالح سحراً خصوصاً بعد أن بسطت رئيستها لنا - قدر المستطاع - العملية التي يمر بها المخطوط قبل الترميم، علماً أن من مهام هذه المصلحة، أيضاً، العمل على حماية المقتنيات الجديدة، ومعالجة الرصيد القديم، وعملية الحفظ تتم بطريقتي حفظ وقائي، وحفظ علاجي.

أما الحفظ الوقائي فيعمل على محاربة العناصر المضرة (المتلفة) بمختلف الوثائق، ويتمثل هذا العمل في:

أولاً: المعالجة الوقائية، وتبدأ بعملية إبادة الحشرات والقوارض بهدف إيقاف انتشارها في مختلف قاعات المكتبة، وتتم هذه العملية مرة كل ثلاثة أشهر عن طريق مؤسسة متخصصة تحت إشراف مصلحة الحفظ.

ثانياً: عملية تطهير - بالغاز - تفادياً لتلوث قاعات المكتبة، ورصد الوثائق الموجودة فيها، وتتم معالجة كل الوثائق المقدمة لنا عن طريق الإهداء بوساطة عملية التطهير بالغاز، وتهدف هذه العملية إلى القضاء على الحشرات الموجودة داخل الوثائق، وتتم هذه العملية - أيضاً - عن طريق المؤسسة نفسها.

ثالثاً: صيانة المخازن، وتحتوي المكتبة الوطنية الجزائرية على ستة مخازن كبيرة موجودة في الطوابق الستة الأخيرة للمبنى، وعلى أربعة أخرى في الطابق الثاني تحت الأرض، وقد تم توزيع هذه المخازن وفق معايير الحفظ، وطبيعة الوثائق، التي تحتوي عليها.

رابعاً: مراعاة الظروف المناخية داخل المخازن، إذ تتميز كل المواد المكونة للوثائق بحساسيتها للأحوال المناخية المحيطة بها، وبصفة خاصة درجة الحرارة والرطوبة، ولهذا من الضروري ضبط هذين المقياسين، ومحاولة الحفاظ على الاستقرار المناخي لمحيط الوثائق.

تتوزع المكتبة على ثلاثة عشر طابقاً، خصص الطابقان الأسفلان للأعمال المكتبية (التزويد، والفهرسة، والتصنيف

والمكتبة الوطنية الجزائرية مجهزة بمركز تكييف، ونظام ضبط يعملان على تثبيت مستويات الحرارة والرطوبة؛ لتحقيق الاستقرار المناخي في مخازن الحفظ، ومنع تطور البكتيريا والفطريات.

تتم عملية مراقبة الأحوال المناخية عن طريق مصلحة الحفظ مرة واحدة في الأسبوع، بوساطة جهاز لقياس الحرارة والرطوبة في الوقت نفسه.

خامسًا: النظافة في المخازن، وحسب الأستاذ سباخ خضراء يرتبط الحفظ بمدى حماس الموظفين العاملين في المكتبة ووعيهم وتكوينهم، ومنه وجب على كل واحد منا أن يعي مدى ضرورة الحفظ الوقائي حتى يتقن عمله بكل أمانة ومهنية.

وفي هذا الإطار عملت مصلحة الحفظ على توعية موظفي المكتبة من خلال حصص توعية ودراسة؛ وذلك من أجل إبراز مشكل الحفظ وأهميته، والتعريف بتلف الوثائق، وأسباب حدوثه، والتذكير بمبادئ الحفظ الوقائي، والتذكير بالطرائق المثلى للتعامل مع الوثائق، والصيانة الحسنة للمخازن.

مناقشة المشكلات المعرقلة لتطبيق إجراءات حفظ تراثنا الوثائقي، وترتبط هذه المصلحة ارتباطًا وثيقًا بمصلحة التصوير، إذ تصور كل الوثائق قبل الترميم وبعده، وسنتحدث بالتفصيل في موطن آخر.

وإضافة إلى مهمة الوقاية، تعمل مصلحة الحفظ والتجليد على معالجة الوثائق الثمينة والنادرة، بفضل أجهزتها المتخصصة والمتمثلة في مخبر التحليل والترميم، وجهاز التطهير، وورشة التجليد.

التشخيص العلمي، ويكون أولاً: التشخيص بالعين المجردة، وتتمثل هذه المرحلة في محاولة تحديد الإصابات التي لحقت بالوثيقة، وتحديد أسباب حدوثها، والعلاج المناسب لها.

من أولى مهام المكتبة الوطنية الجزائرية جمع التراث الوطني وحفظه كغيرها من المكتبات الوطنية في العالم

ثانيًا: الاختبار البيولوجي: إذ يهدف هذا الاختبار إلى تحديد درجة إصابة الوثيقة بالبكتيريا والفطريات، ويتم هذا الاختبار قبل عملية التعقيم وبعدها، وبعد كل اختبار تدون بطاقة التحليل الميكروبيولوجي.

ثالثًا: قياس الحموضة، ويعد قياسها ضروريًا؛ لتحديد درجة حموضة الورق.

رابعًا: اختبار الإذابة وذلك لقابلية بعض الأحبار للذوبان والانحلال في الماء، خصوصًا تلك المستعملة في المخطوطات العربية، واستعمال بعض المعالجات الكيماوية في وسط مائي، فإن اختبار درجة قابلية الحبر للإذابة ضروري.

خامسًا: ملف الترميم، ويفتح بعد تشخيص علمي لكل وثيقة تتعرض للمعالجة، وضمن هذا الملف تتم الإشارة إلى:

أولاً: بطاقة بيليوغرافية للوثيقة، والحالة العامة للوثيقة من ناحية الحفظ، ونتائج مختلف الاختبارات، وعمليات المعالجة والترميم التي يجب إنجازها.

ثانيًا: الحفظ العلاجي، أو البيولوجي، ويمكن لوثيقة محفوظة في وسط رطب وحار أن تصاب بالفطريات والبكتيريا، التي تجعلها أكثر هشاشة، وتسرع

في تقادمها. وتأتي عملية التعقيم لكونها خطوة للقضاء على هذه البكتيريا والفطريات بواسطة جهاز تعقيم يدعى (الأوتوكلاف). حجمه ٠،٣٦ م٣ يسع نحو ١٠٠ إلى ٢٠٠ كتاب. يستعمل في هذه العملية التعقيمية غاز يدعى أكسيد الإيتيلين ممزوج بثاني أكسيد الكربون. ويقضي هذا الغاز على الفطريات والبكتيريا في آن واحد.

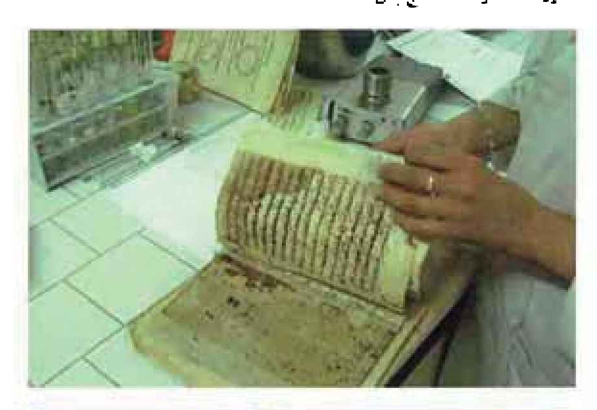
وجهاز التعقيم هذا مدعم بخزانة بتسيير أوتوماتيكي (ذاتي) - ومزيل الغاز، وكاشف الغاز، وتهوية مكيفة.

تستغرق مدة التعقيم هذه أكثر من ٢٠ ساعة موزعة على ثلاث: مراحل، هي: تفريغ الهواء، والتطعيم الغازي. مدة ساعة واحد، وعملية التعقيم. لمدة ثماني ساعات، وغسل الوثائق، وإزالة الغاز الباقي. لمدة أربع عشرة ساعة. علمًا أنه يتم تحديد مدة هذه المراحل عن طريق مصلحة الحفظ.

وبعدها تأتي عملية التنظيف والمعالجة الكيماوية.

أولاً: إزالة الغبار. وتهدف هذه العملية إلى إزالة كل

صورة لمخطوطة تحتاج إلى معالجة



فنية تعالج مخطوطة في معمل الترميم



الغبار والتعفن. وتتم بطريقة جافة باستعمال فرشاة ناعمة.

ثانيًا: التصميغ. وتتمثل هذه العملية في إزالة كل الشوائب والأوساخ والبقع السطحية؛ وذلك باستعمال ممحاة خاصة من المطاط.

ثالثًا: الغسل بعد التنظيف الجاف. يأتي التنظيف بالماء للقضاء على بعض البقع المتبقية. وفي حالة الوثائق ذات الحبر القابل للانحلال تضاف إلى الماء كمية من الكحول التي تعمل على تثبيت الكتاب.

رابعًا: إزالة الحمضية: تحدث الحموضة بفعل التمييه (وهي عملية كيماوية تتمثل في فصل الرابطة سيليلوز وتثبيت الماء). ومع مرور الوقت يصبح الورق المعرض للحموضة أكثر هشاشة. ويتغير لونه ليميل إلى البني. ويصبح قابلاً للكسر والتفتت.

إن مخبر التحليل والحفظ مجهز بآلة إزالة الحموضة، التي تنتج المحلول القاعدي المستعجل في تعديل الحموضة الموجودة على سطح الورق. ويتم تحضير هذا المحلول عن طريق إذابة غاز ثاني أكسيد الكربون CO_2 في قاع الإناء، مع كربونات الكالسيوم والماء الخالي من الأملاح المعدنية لمدة ساعتين. ثم نترك المحلول ليترسب

يسعى الحكواتي الجديد إلى الحديث باللغة العربية المهذبة والترجمة الفرنسية فيحمل الأطفال إلى عالم سحري أروع من عالم الكرتون

أدرجت المكتبة معلومات إلكترونية وسمعية وبصرية غير ورقية في مجموعاتها

فنحصل على سائل صاف مشبع بكربونات الكالسيوم، الذي نستعمله لإزالة حموضة الوثائق.

يتكون هذا الجهاز من قارورة غاز ثاني أكسيد الكربون، ومقياس الضغط مجهز بمؤشر التدفق، وأنبوب الربط، وأسطوانة الخوض.

خامسًا: إزالة البقع بعد إزالة الأوساخ، والبقع السطحية، والحموضة الموجودة على سطح الورق. نعمل على إزالة بعض البقع العميقة باستعمال بعض المواد الكيماوية. مثلاً : نزيل بقع البكتريا والفطريات باستعمال ماء أوكسيجيني.

سادسًا: التدعيم. بعد عملية المعالجة الكيماوية، تصبح الوثيقة أكثر هشاشة. وهذا الأمر يجعلنا مضطرين إلى تدعيمها وتقويتها لإعادة مقاومتها الميكانيكية. وبهذا الصدد نستعمل مثيل السيليلوز المعروف تحت تسمية تيلوز.

ويحتوي المخبر على مجموعة جهاز الترميم الآلي، وطاولة الضغط المنخفض، وجهاز تحضير عجينة الورق، وكل العمليات الترميمية هي عمليات يدوية، وتتمثل في إزالة الثقوب، وتغطية المتمزقات، والتدعيم اليدوي. وهنا تتحول رحلة المخطوط أو الكتاب ليدخل ورشة التجليد الفني.

ويشرف على هذه المصلحة السيد زروق مرزاق، ويعمل بجملة من الآلات اليدوية، وهي آلة القطع، وآلة

الشد، وجهاز الضغط اليدوي، وجهاز الضغط الميكانيكي، وآلة الخياطة.

والمهام الأساسية الموكلة للورشة هي: التجليد الفني للكتب النادرة، التي تم ترميمها، والتجليد العادي للصحف.

مصلحة التصوير

وترأسها حفصة بنة هقوقة؛ ويقصد التقليل من استعمال الوثائق الثمينة والهشة. اعتمدت المكتبة الوطنية الجزائرية تقنيتين مهمتين من تقنيات التصوير هما: الميكروغرافيا (صنع المصغرات)، والتسجيل الرقمي، وتحتوي مصلحة التصوير في المكتبة الوطنية الجزائرية على مخبر مجهز من أربع كاميرات للتصوير، منها ثلاث خاصة بالميكروفيلم (١٦، ٣٥مم)، وواحدة خاصة بالميكروفيش (البطاقة المصغرة) (١٤٨،١٠٥ مم)، وثلاث آلات للتحميض الأوتوماتيكي، وآلتان للنسخ للميكروفيلم (١٦ـ ٣٥ مم) وللميكروفيش (١٤٨،١٠٥ مم).

وقد حققت مصلحة التصوير: التصوير المصغر للصحف، والتصوير المصغر للمخطوطات المطلوبة عن طريق الباحثين.

أما التسجيل الرقمي فتعمل مصلحة الإعلام الآلي على تحقيق مشروع التسجيل الرقمي، الذي يهدف إلى تسجيل رصيد المخطوطات، ومعالجته عبر الصور، وتخزين المعطيات المرقمة في أوعية التخزين ذات قدرة عالية لأهداف: النشر، والمطالعة عن بعد، ووضع قاعدة معطيات المخطوطات في متناول الجميع باستعماله، ومعالجته عبر الصور.

مصلحة المخطوطات

إن من أولى مهام المكتبة الوطنية الجزائرية جمع التراث الوطني وحفظه كغيرها من المكتبات الوطنية في العالم، ويعد الحفظ من الوظائف الجوهرية للمكتبة؛ وذلك لأهمية الرصيد الوثائقي الذي تحتوي عليه، ومن أهم محتويات هذا الرصيد ٣٨٨٠ مخطوطاً عربياً، وفارسياً، وتركياً، بعضها ثمين لقدمه، إذ يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر الميلادية، وكذلك لندرتها، وقيمة رسوماتها. أقدم مخطوط يعود إلى القرن الثالث الهجري. أما أجمل مخطوط فهو عبارة عن مصحف، وهو لصاحبه الخطاط مظهر بن محمد الحموي مكتوب بالذهب، ومغلف بغلاف جلدي مذهب فائق الجمال، وانتهى من كتابته عام ١٢٦٧م.

المكتبة المتنقلة



مصلحة الرصيد المغاربي

تضم هذه المصلحة كل الوثائق التي تتناول الجزائر، ودول المغرب العربي: (تونس، وليبيا، والمغرب، وموريتانيا، والصحراء الغربية) ويقدر رصيدها بـ ٤٣٩٠٥ مجلدات، وتغطي معظم تفرعات المعرفة خصوصًا منها العلوم الإنسانية، إذ يحتوي رصيدها على كتب قيمة، تعود إلى القرن السادس عشر، وتهدف المصلحة حسب رئيستها سليمة بلخلفة إلى حصر التراث الوطني والمغاربي وحفظه، وإقامة العلاقات الثقافية مع دول المغرب العربي، من أجل إثراء الرصيد، مثلما تسعى إلى تحضير الجناح الأمازيغي، حيث يضم هذا الجناح كل ما كتب عن الثقافة الأمازيغية، والتاريخ العام للأمازيغ، وكذا العادات، والتقاليد الأمازيغية، كما يحتوي على كتب بالأمازيغية للكبار والصغار.

ومن المهام الأساسية لهذه المصلحة معالجة الوثائق من فهرسة وصفية وموضوعية، وترقيم الكتب وتجهيزها وتسجيلها في سجلات خاصة، وترتيب الكتب في المخازن، وإعداد الفهرس البطاقي، وإعداد البحوث، وتأطير المتربصين من مختلف المؤسسات.

مصلحة الدوريات

ويبلغ رصيد هذه المكتبة ٥٤٠٠ عنوان قديم، و٢٤٠٠ عنوان جديد، ٥٠ ٪ منها تصل المصلحة عن طريق الإيداع القانوني، وكل هذه العناوين لا يمكن - بأي شكل من الأشكال - أن توجد في المكتبات العامة، والمصلحة متعاقدة مع ١٢٧ دورية تأتيها باللغة العربية و٣١٠ باللغات الأجنبية، فالصحف مثلاً، كما تقول نسيمه سعدون - رئيسة المصلحة - تؤخذ إلى ورشة التجليد لحفظ الموروث الوطني، وتسهل عملية البحث في الموضوعات الجديدة.

قاعات المطالعة موجودة بالطابق الأرضي (تسمح بتجنب الأطفال أخطار الصعود للطوابق العلوية)

ويقول الباحث زواملية عبدالنور - ماجستير علوم سياسية في بحثه بعنوان: «الشفافية السياسية في الوطن العربي» -: إن طريقة العمل في هذه المصلحة مسهلة، وبرنامج العمل المستمر طوال اليوم يمكنان الباحث من استغلال الوقت، خصوصًا في ظروف الهدوء.

مصلحة التنشيط والتكوين

أسست هذه المصلحة عام ٢٠٠٠م، وتهتم بالعمل الثقافي، والاتصال، وتشرف على محاضرات ونقاشات، وأيام دراسية، وملتقيات، ومقهى أدبي، ومقهى فلسفي، ومقهى الصوت والصورة، والمقهى المسرحي، وتنظم معارض فنية، وعرفت المكتبة الوطنية انتعاشًا ثقافيًا وفكريًا كبيرًا بترؤس الأديب الدكتور الأمين الزاوي المكتبة الوطنية.

ويمر الكتاب عبر رحلة طويلة قبل أن نجده على رفوف مصلحة الإيداع القانوني، ومصلحة البحث البيبليوغرافي، ومصلحة التزويد، ومصلحة المعالجة، وغيرها من المصالح.

فلو مر الطالب على كل المصالح، ورأى خليات النحل وهي تشتغل من أجل توفير الكتاب الذي يصل إليه مع الطرائق الحديثة، وكأنه دعك مصباح علاء الدين لما ألقى بالكتاب في أي مكان، وأرجعه بعد مدة خرقة بالية.



غسل الأموال..

ظاهرة تهز الاقتصاد العالمي

معتز صلاح الدين محمد
القاهرة . مصر

غسل الأموال أو تبييضها عملية غير مشروعة، وهي تأتي لاحقة لأنشطة إجرامية، أو مشبوهة حققت عوائد مالية كبيرة، مثل: تهريب المخدرات، أو الأسلحة، أو المتاجرة بالرقيق، أو الفساد المالي، أو التهرب الضريبي، أو الجاسوسية، أو الابتزاز.

وتضفي عملية الغسل المشروعية على العائدات المالية التي تأتي عن طريق الجريمة المنظمة؛ ليتاح استخدام هذه الأموال بيسر وسهولة. والهدف الرئيس لعمليات غسل الاموال هو تحويل الأموال القذرة إلى أموال مشروعة؛ وذلك بأن يتم تمريرها عبر قنوات شرعية مصرفية؛ لتصبح أصولاً ثابتة، أو عقارية، أو خدمية، أو باستخدام عمليات الصرف والتحويل النقدي.

ومن الثابت أن العلاقة بين الجريمة المنظمة وغسل الأموال وثيقة إلى حد أن بعض الباحثين يربطون ظهور مصطلح غسل الأموال بما قامت به جماعات المافيا - في الولايات المتحدة الأمريكية خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي - من إخفاء الأموال الناتجة من الجريمة، وذلك بإدماجها مع أموال متحصلة عن أنشطة تجارية مشروعة، أو بتهريب تلك الأموال إلى الخارج لتمويه مصدرها الإجرامي، ثم إعادتها مرة أخرى إلى البلاد واستثمارها في أنشطة مشروعة.

ولما كان الغرض الرئيس للجريمة المنظمة هو تجميع أكبر قدر من الأموال، فإن غسل هذه الأموال يعد ضرورة للتنظيمات الإجرامية، ومعظم الأرباح التي تحققها هذه التنظيمات هي نقود سائلة، ومبالغ ضخمة، وهذا ما أنشأ الحاجة الملحة إلى غسلها، وهو الأمر الذي يسهل للجناة عدة أهداف منها: الانتفاع بالأموال القذرة التي تم غسلها في طمأنينة، والحيلولة دون اكتشاف الجرائم الأصلية التي تحصلت منها هذه الأموال، وبذلك الإفلات من العقاب المقرر لها، وتمويل أنشطة إجرامية أخرى.

وقد زاد الاهتمام الدولي بظاهرة غسل الأموال بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م في الولايات المتحدة الأمريكية، بعد استخدام التحويلات المالية في تمويل المجموعة التي قامت بتلك الأحداث.

يبلغ حجم غسل الأموال سنويًا نحو ٣ تريليونات دولار، بما يمثل ٥٪ من إجمالي الناتج العالمي، و ٨٪ من حجم التجارة الدولية، إذ تأتي صناعة تبييض الأموال

أو غسلها في المرتبة الثالثة - عالميًا - من حجم التجارة الدولية، بعد تداول العملات، وتصنيع السيارات.

وقد وصلت -على سبيل المثال- عائدات المخدرات في بوليفيا إلى ما يعادل أكثر من ٤ أضعاف حجم عائدات التجارة المشروعة. كما بلغ حجم صادرات المخدرات في كولومبيا وبيرو ما يوازي حجم الصادرات المشروعة في هاتين الدولتين، بل إن الحكومة الكولومبية، عندما قررت وقف سياسة التسليف عام ١٩٩٨م، لجأ أصحاب المؤسسات الصناعية إلى الاقتراض من تجار المخدرات، وهو الأمر الذي يعبر عن ضخامة إمكاناتهم المالية. وقد تزايدت بعد هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م على الولايات المتحدة الأمريكية فكرة الربط بين غسل الأموال وتمويل الإرهاب؛ إذ تم الربط بين الهجمات وحركة التحويلات المالية، التي مولتها؛ لتدريب المجموعة وتنقلها وإقامتها. ومع أن المبلغ الكلي الذي استخدم من أجل هذا الغرض لم يتجاوز حدود ٢٢٠ ألف دولار، فإن الضجة مازالت مثارة حول ضرورة تجفيف المصادر المالية للإرهاب. ويجمع كثير من خبراء الاقتصاد على أن المصارف هي أهم القنوات لتبييض الأموال، وخصوصًا المصارف التي تسمح قوانين دولها بذلك، ولهذا تعد تلك المصارف المحطة الأولى للتحويل إلى أماكن أخرى؛ لتصبح شرعية، ومن ثم متابعة بقية الإجراءات اللازمة من خلال التوظيف والاستثمار في المجالات المناسبة مثل: سوق العقار، والفنادق، والمجوهرات، وكذلك شراء الشركات المتعثرة، أو الخاسرة، «من خلال الخصخصة» إضافة إلى اقتناء الأسهم والسندات في البورصة.

وعلى اختلاف وسائل عملية الغسل؛ فإنها تمر بثلاث مراحل لجعلها شرعية، وإبعادها عن أي مساءلة قانونية، ثم توظيفها في الدورة الاقتصادية بصورة طبيعية، وتتمثل المرحلة الصعبة في أن تكون المصارف هي الطرف الأساسي في عملية الإيداع الأول للعملة، التي عادة ما تكون نقدية سائلة، ثم مرحلة التغطية التي تتركز فيها الجهود على إخفاء علاقة الأموال غير النظيفة بمصادرها الأصلية من خلال شبكة معقدة من العمليات والصفقات، وذلك لمحو أي صلة لهذه الأموال بماضيها القذر، ومن ثم مرحلة الدمج، أي: إعادة هذه الأموال إلى الأسواق الدولية عبر قنوات اقتصادية شرعية، وعن طريق تحويلات تبرزها استثمارات ومشروعات مالية مختلفة، تكسبها منظرًا لائقًا ونظيفًا، وتبعدها عن أي شبهة ممكنة، وهذا ما يعطيها حرية الحركة في صورة طبيعية.

ويرى عدد من خبراء الاقتصاد أن غسل الأموال وتمويل الإرهاب أصبحا من أهم الأخطار غير المنظورة التي تهدد الاستقرار العالمي في ظل العولمة. وقد طالب البيان الختامي للمؤتمر الدولي الأول حول الحوار الأمريكي الشرق أوسطي، حول مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، الذي انعقد بالقاهرة يومي ٢٢ و ٢٣ مارس ٢٠٠٦م بعدد من المطالب في هذا الشأن وعلى رأسها: «توحيد الجهود والمبادرات المتلاحقة التي تقوم بها المؤسسات المالية الدولية؛ لحرمان شبكات غسل الأموال، وتمويل الإرهاب من استخدام النظام المصرفي العالمي في تحقيق أغراضها».

يبلغ حجم غسل الأموال سنويًا نحو ٣ تريليونات دولار، بما يمثل ٥٪ من إجمالي الناتج العالمي



موظفو جمارك يصادرون بضائع مهربة

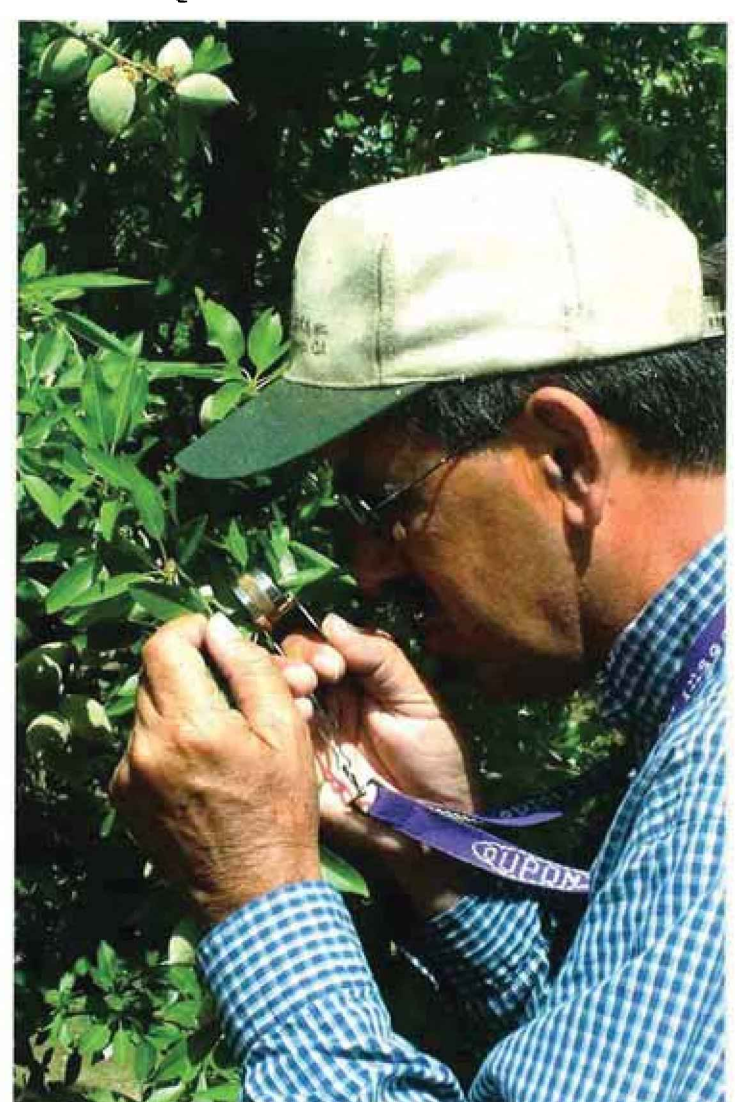
الجهود الدولية لمكافحة غسل الأموال

- بدأت هذه الجهود في عام ١٩٨٨م، من خلال اتفاقية مكافحة الاتجار غير المشروع في المخدرات، التي دخلت حيز التنفيذ عام ١٩٩٠م، كما تم توقيع اتفاقية المجلس الأوربي لمكافحة غسل الأموال عام ١٩٩٠م.
- مجموعة إجمونت: هذه المجموعة تم تأسيسها عام ١٩٩٥م، وهي مجموعة دولية تضم وحدات التحريات المالية في مختلف دول العالم و Financial intelligence units، وتضم في عضويتها - حاليًا - وحدة تحريات مالية، وتتكون هذه المجموعة من ١٥ مجموعة فرعية، منها: مجموعة التوسع، والمجموعة القانونية، ومجموعة التدريب، ومجموعة تقنية المعلومات، ومجموعة العمل التشغيلية، وعدد أعضائها ١٠١ دولة، وقد تم إعداد النظام الأساسي لهذه المجموعة الدولية في شهر نوفمبر عام ٢٠٠٥م، في أثناء الاجتماع السنوي لإجمونت الذي كان منعقدًا تلك المرة في بلغاريا.
- معاهدة الأمم المتحدة بشأن القضاء على مصادر تمويل الإرهاب عام ١٩٩٩م، التي تم التصديق عليها في يوم ١٠ يناير عام ٢٠٠٠م.

ومن أبرز ما تضمنته هذه المعاهدة:

- تقوم جميع الدول الأعضاء في معاهدة الأمم المتحدة للقضاء على مصادر تمويل الإرهاب باتخاذ التدابير الملائمة لتحديد أي أموال تستخدم لأغراض إرهابية، وتجميدها ومصادرتها.
- اتخاذ التدابير اللازمة لمصادرة الأموال المستخدمة لدعم الإرهاب، والعائدات المستمدة من هذه الجرائم.

المخدرات آفة تجتاح المجتمعات المعاصرة



على أن تشترك الدول الأخرى في اقتسام أموال الإرهابيين التي تمت مصادرتها.

- مطالبة الدول والأطراف باتخاذ خطوات من أجل التصدي لتمويل الإرهابيين بشكل مباشر، أو غير مباشر.
- إلزام الدول القبض على الفئات الإجرامية الممولة للإرهاب، أو المسؤولة مدنيًا، أو إداريًا عن مثل هذه الأفعال.

توصيات المجموعة الدولية للعمل المالي

اجتمعت المجموعة الدولية للعمل المالي بتاريخ ٣١ أكتوبر عام ٢٠٠١م، وهي هيئة مستقلة تضم ٢٩ دولة عضوًا، وتم الاجتماع في مقر أمانة هذه المجموعة بالعاصمة الفرنسية باريس، وأصدرت ثماني توصيات حول تمويل الإرهاب، وكيفية التصدي لذلك، خصوصًا أن هذه الهيئة أدركت أن تزايد عدد العمليات الإرهابية الدولية وخطورتها يستندان بالأساس إلى التمويل الذي يستطيع الإرهابيون الحصول عليه، وهذه التوصيات الثماني هي:

- التصديق على وثائق الأمم المتحدة وتطبيقها.
- تجريم تمويل الإرهاب، وعمليات غسل الأموال المرتبطة به.
- تجميد أصول الإرهابيين، ومصادرتها.
- الإبلاغ عن المعاملات المالية المريبة المتعلقة بالإرهاب.
- دعم التعاون الدولي وتقويته «المساعدة القانونية المتبادلة، وتبادل المعلومات».
- تعزيز ضبط أنظمة التمويل البديلة.
- تحسين تنظيم التمويلات المالية السريعة وتطويرها، التي تتم بالتلكس، أو الفاكس.
- مراجعة القوانين والتشريعات كافة الخاصة بالمنظمات غير الربحية، والكيانات الأخرى التي يمكن أن تستخدم بصفتها قنوات لتمويل الإرهابيين.
- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد عام ٢٠٠٣م، وهي الاتفاقية التي تم فتح باب التصديق عليها في ديسمبر عام ٢٠٠٣م، وقد تضمن الفصل الثاني منها المادة ١٤ بكاملها تحت عنوان: «تدابير منع غسل الأموال»، وهذه المادة تتضمن:

بلغ حجم صادرات المخدرات في كولومبيا وبيرو ما يوازي حجم الصادرات المشروعة



- على كل دولة طرف:
- أن تنشئ نظامًا داخليًا شاملاً؛ للرقابة والإشراف على المصارف، والمؤسسات المالية غير المصرفية، بما في ذلك الشخصيات الطبيعية، أو الاعتبارية، التي تقدم خدمات نظامية، أو غير نظامية في مجال تحويل الأموال، أو كل ما له قيمة، وعند الاقتضاء، على الهيئات الأخرى المعرضة بوجه خاص لغسل الأموال، ضمن نطاق اختصاصها، من أجل ردع جميع أشكال غسل الأموال وكشفها، ويتعين أن يشدد ذلك النظام على المتطلبات الخاصة، بتحديد هوية الزبائن والمالكين المنتفعين عند الاقتضاء، وحفظ السجلات، والإبلاغ عن المعاملات المشبوهة.
- أن تكفل - من دون مساس بأحكام المادة (السادسة والأربعين) من هذه الاتفاقية - قدرة السلطة الإدارية، والرقابية، والمعنية بإنفاذ القانون، وسائر السلطات المكرسة لمكافحة غسل الأموال (بما فيها السلطات القضائية، حيثما يقضي القانون الداخلي بذلك)، على التعاون، وتبادل المعلومات، على الصعيدين الوطني والدولي، ضمن نطاق الشروط التي يفرضها قانونها الداخلي، وأن تنظر لتلك الغاية في إنشاء وحدة معلومات استخبارية مالية، تعمل بصفتها مركزًا وطنيًا لجمع المعلومات المتعلقة بعمليات غسل الأموال المحتملة وتحليلها وتعميمها.
- تنظر الدول الأطراف في تنفيذ تدابير قابلة للتطبيق؛ لكشف حركة النقود والصكوك القابلة للتداول ذات الصلة عبر حدودها ورصدها، رهنًا بضمانات تكفل استخدام المعلومات استخدامًا سليمًا، من دون إعاقة حركة رأس المال المشروع، بأي صورة من الصور، ويجوز أن تشمل تلك التدابير اشتراط قيام الأفراد والمؤسسات التجارية بالإبلاغ عن إحالة أي مقادير ضخمة من النقود والصكوك، القابلة للتداول، ذات الصلة، عبر الحدود.
- تنظر الدول الأطراف في تنفيذ تدابير مناسبة، وقابلة للتطبيق لإلزام المؤسسات المالية، ومنها الجهات المعنية بتحويل الأموال بما يأتي:
  - أ- تضمين استمارات الإحالة الإلكترونية للأموال والرسائل ذات الصلة، معلومات دقيقة ومفيدة عن المصدر.
  - ب - الاحتفاظ بتلك المعلومات طوال سلسلة عمليات الدفع.
  - ج - فرض فحص دقيق على تحويل الأموال، التي لا تحتوي على معلومات كاملة عن المصدر.
- لدى إنشاء نظام رقابي وإشرافي داخلي بمقتضى أحكام هذه المادة، ومن دون مساس بأي مادة أخرى من هذه الاتفاقية، يجدر بالدول الأطراف أن تسترشد بالمبادرات ذات الصلة، التي اتخذتها المؤسسات الإقليمية والمتعددة الأطراف ضد غسل الأموال.
- تسعى الدول الأطراف إلى تنمية التعاون العالمي والإقليمي، وتعزيزه، ودون الإقليمي والثنائي بين

يجمع كثير من خبراء الاقتصاد على أن المصارف هي أهم القنوات لتبييض الأموال



السلطات القضائية، وأجهزة إنفاذ القانون، وأجهزة الرقابة المالية؛ من أجل مكافحة غسل الأموال.

الجهود العربية لمكافحة ظاهرة غسل الأموال

أولى مجلس وزراء الداخلية العرب مكافحة غسل الأموال، وتمويل الإرهاب اهتمامًا بالغًا، واتخذ في هذا المجال خطوات متعددة، تنوعت بين وضع الأطر القانونية، وتعزيز التعاون الإجرائي، وإعداد الدراسات والبحوث، وإلى غير ذلك من الإجراءات التي تستهدف محاصرة عمليات غسل الأموال، وتمويل الإرهاب.

ففي المجال التشريعي اعتمد مجلس وزراء الداخلية العرب، في عام ٢٠٠٣م القانون العربي النموذجي الاسترشادي لمكافحة غسل الأموال؛ بهدف توفير نموذج قانوني استرشادي، تستهدي به الدول العربية؛ لوضع تشريعات مكافحة غسل الأموال، أو تعديل التشريعات النافذة، وسبق أن اعتمد المجلس عام ١٩٨٦م القانون العربي النموذجي الموحد للمخدرات، الذي تضمنت بعض مواده نصوصًا خاصة بمكافحة غسل الأموال المتأتية من الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية التي دخلت حيز النفاذ بتاريخ ١٩٩٦/٦/٣٠م، وقد تضمنت المادة الخامسة من الاتفاقية نصوصًا خاصة بالإيرادات المتأتية من جرائم المخدرات، والتدابير اللازمة للتحفظ عليها، ومصادرتها، إضافة إلى تعزيز فعالية التعاون العربي، والإقليمي، والدولي، في المجال القضائي والإجرائي، وتبادل المعلومات المتعلقة بهذا الشأن.

كما اعتمد مجلسا وزراء الداخلية والعدل العرب عام ١٩٩٨م، الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، التي دخلت حيز النفاذ بتاريخ ١٩٩٩/٥/٧م، إذ تضمنت المادة التاسعة من هذه الاتفاقية نصوصًا تتعلق بتسليم العائدات المتحصلة من الجريمة الإرهابية.

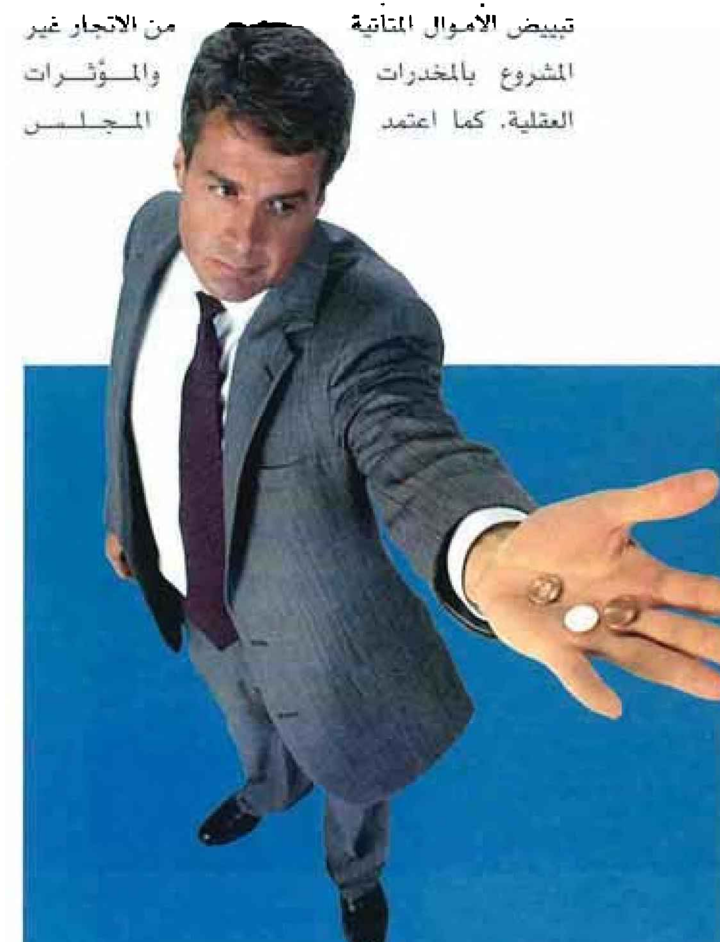
وفي عام ٢٠٠٢م، تولت لجنة متخصصة من المجلسين تعديل هذه الاتفاقية، بحيث تجرم تقديم، أو جمع الأموال، أيًا كان نوعها لتمويل الجرائم الإرهابية، كما أولى مجلس وزراء الداخلية العرب عناية كبيرة لموضوع آخر يتعلق بغسل الأموال، هو موضوع الفساد، فقد أقر المجلس في مطلع عام ٢٠٠٥م، الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد، التي تم إعدادها بالاشتراك مع مجلس وزراء

> **الهدف من غسل الأموال هو تحويل الأموال القذرة إلى أموال مشروعة؛ وذلك بأن يتم تمريرها عبر قنوات شرعية مصرفية**

العدل العرب. ووافق في مطلع عام ٢٠٠٦م على استكمال مشروع القانون العربي النموذجي لمكافحة الفساد، من قبل لجنة مشتركة من المجلسين، بحيث يشمل جميع الجوانب المنصوص عليها في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد. وكان المجلس قد اعتمد في عام ٢٠٠٤م، مدونة عربية استرشادية لقواعد سلوك الموظفين العموميين، تم تعميمها على الدول الأعضاء للاستفادة منها.

وهناك عدد من الدراسات المتخصصة في مجال مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، التي أصدرتها الأمانة العامة للمجلس، والتي تناولت - على سبيل المثال لا الحصر - وسائل الكشف عن عمليات غسل الأموال المتأتية من الاتجار غير المشروع في المخدرات، وأساليب غسل الأموال، ومسالكها، وسبل التعاون بين الأجهزة الأمنية والمصرفية لمواجهة وسائل الكشف عن عمليات تبييض الأموال المتأتية من الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية. كما اعتمد المجلس

تأتي صناعة تبييض الأموال أو غسلها في المرتبة الثالثة - عالميًا - من حجم التجارة الدولية



مجموعة من التوصيات المتعلقة بهذا الموضوع، والصادرة عن مؤتمرات القطاعات الأمنية المعنية، ومنها: حث الدول الأعضاء التي لم تضع قوانين لمكافحة غسل الأموال على إصدار قوانين وطنية بهذا الشأن، وكذلك دعوة الدول العربية إلى إنشاء وحدات للتحريات الخاصة بغسل الأموال، ودعوتها إلى تبادل المعلومات بين جميع القطاعات الأمنية والمصرفية، وتعزيز التعاون بينها في هذا الشأن، وكذلك تشجيع الدول الأعضاء على توعية المواطنين والشركات الاستثمارية بأساليب عصابات غسل الأموال، وإغراءاتهم بتنفيذ صفقاتهم.

أما بشأن التعاون العربي حيال هذه المشكلة، فإن الأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب تواصل التنسيق مع هيئات العمل العربي المشترك، ومنها: مجلس وزراء العدل العرب، الذي يجري التنسيق معه - حاليًا - لوضع مشروع اتفاقية عربية لمكافحة غسل الأموال، وتمويل الإرهاب. وهناك اتصالات حثيثة مع اتحاد المصارف العربية لإعداد دراسة مشتركة للخروج برؤية أمنية عربية موحدة، تستهدف قطع خطوط التنظيمات الإرهابية وقنوات تمويلها، وتجفيف مصادرها في الخارج. كما أن هناك تنسيقًا بين مجلس وزراء الداخلية العرب، واتحاد المصارف العربية ومجموعة العمل المالي لدول

الشرق الأوسط وشمال إفريقية Mena Fate؛ من أجل تشكيل فريق عمل من الخبراء والمتخصصين؛ لوضع قوانين عربية موحدة تستهدف بها المؤسسات المالية؛ لتحقيق التطبيق الأمثل لأحكام البنية التشريعية في مجال مكافحة غسل الأموال، وتمويل الإرهاب، في ضوء المتغيرات والتطورات الدولية بهذا الخصوص. وذلك تنفيذاً للتوصية السادسة من توصيات «المنتدى المصري لمكافحة غسل الأموال، وتمويل الإرهاب»، الذي عقد في شرم الشيخ في سبتمبر عام ٢٠٠٠م. وعلى الصعيد الدولي، فإن مجلس وزراء الداخلية العرب يحرص على دعم الجهود الدولية التي تبذل لمواجهة هذه المشكلة، من خلال حث الدول على الانضمام إلى الاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب لعام ٢٠٠٠م، وإلى الاتفاقيات والبروتوكولات الدولية ذات الصلة بالإرهاب وغسل الأموال، والعمل على التزام قرار مجلس الأمن رقم (١٣٧٣) بتاريخ ٢٠٠٠/٩/٨م، الخاص بمكافحة الإرهاب، وتجميد أموال المنظمات الإرهابية، واتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ التوصيات الخاصة الثماني، الصادرة عن فريق العمل المعني بالتدابير المالية بشأن مكافحة تمويل الإرهاب، الصادرة في شهر تشرين أول/أكتوبر عام ٢٠٠١م.

إنشاء مجموعة عمل إقليمية

في المدة من ١١ إلى ١٢ إبريل عام ٢٠٠٥م، انعقد اجتماع في البحرين لإنشاء مجموعة عمل إقليمية لمكافحة غسل الأموال في الشرق الأوسط، وقد أنشئت هذه المجموعة تحت اسم: «مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية؛ لمكافحة غسل الأموال، وتمويل الإرهاب Mena Fate»، التي تشكلت من ١٤ دولة عربية هي: المملكة الأردنية الهاشمية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، والجمهورية التونسية، والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، والمملكة العربية السعودية، والجمهورية العربية السورية، وسلطنة عمان، ودولة قطر، والجمهورية اللبنانية، وجمهورية مصر العربية، والمملكة المغربية، والجمهورية اليمنية، وقد انضمت إلى هذه المجموعة العراق وموريتانيا.

ولأن مخاطر غسل الأموال لا يمكن معالجتها بطريقة فعالة إلا من خلال التعاون بين دول المنطقة، فقد تمثلت أهم أهداف مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية Mena Fate، الواردة في مذكرة تفاهم تأسيس المجموعة، التي قام رؤساء وفود الدول الـ ١٤ الأعضاء بالتوقيع عليها فيما يأتي:

- اتخاذ إجراءات فعالة في جميع أنحاء المنطقة؛ لمكافحة غسل الأموال بطريقة فعالة، طبقًا للقيم الثقافية الخاصة بالدول الأعضاء، وأطرافها الدستورية، ونظمها القانونية.
- تبني التوصيات الخاصة بمجموعة العمل المالي حول مكافحة غسل الأموال وتنفيذها.

غسل الأموال يضر الاقتصاديات الوطنية

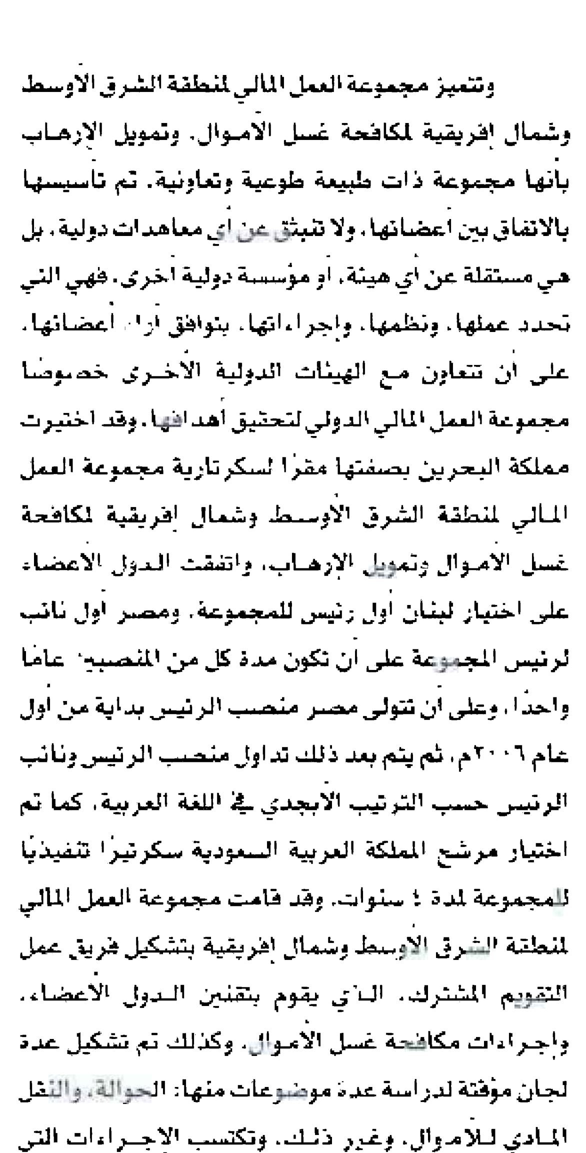




الحدود مصر للممنوعات

- تنفيذ معاهدات الأمم المتحدة واتفاقياتها ذات الصلة بالموضوع، وقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المعنية بمكافحة غسل الأموال.
- التعاون سويًا لتعزيز التزام هذه المعايير والإجراءات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية، والعمل مع المؤسسات الدولية الأخرى؛ لتعزيز التزام هذه المعايير والإجراءات في جميع أنحاء العالم.
- العمل سويًا لتحديد الموضوع المرتبط بعمليات غسل الأموال ذات الطبيعة الإقليمية، وتبادل الخبرات حول هذه القضايا، وتطوير الحلول الإقليمية لمعالجتها.

اعتمد مجلس وزراء الداخلية العرب، في عام ٢٠٠٣م القانون العربي النموذجي الاسترشادي لمكافحة غسل الأموال

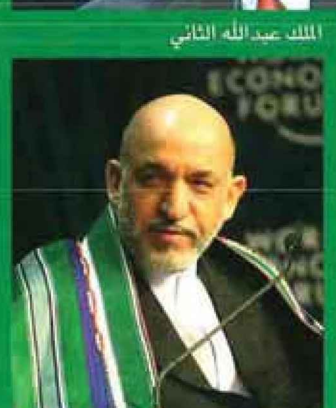


وتتميز مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية لمكافحة غسل الأموال، وتمويل الإرهاب بأنها مجموعة ذات طبيعة طوعية وتعاونية، تم تأسيسها بالاتفاق بين أعضائها، ولا تنبثق عن أي معاهدات دولية، بل هي مستقلة عن أي هيئة، أو مؤسسة دولية أخرى، فهي التي تحدد عملها، ونظمها، وإجراءاتها، بتوافق آراء أعضائها، على أن تتعاون مع الهيئات الدولية الأخرى خصوصًا مجموعة العمل المالي الدولي لتحقيق أهدافها، وقد اختيرت مملكة البحرين بصفتها مقرًا لسكرتارية مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية لمكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، واتفقت الدول الأعضاء على اختيار لبنان أول رئيس للمجموعة، ومصر أول نائب لرئيس المجموعة على أن تكون مدة كل من المنصبين عامًا واحدًا، وعلى أن تتولى مصر منصب الرئيس بداية من أول عام ٢٠٠٦م، ثم يتم بعد ذلك تداول منصب الرئيس ونائب الرئيس حسب الترتيب الأبجدي في اللغة العربية، كما تم اختيار مرشح المملكة العربية السعودية سكرتيرًا تنفيذيًا للمجموعة لمدة ٤ سنوات، وقد قامت مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقية بتشكيل فريق عمل التقويم المشترك، الذي يقوم بتقنين الدول الأعضاء، وإجراءات مكافحة غسل الأموال، وكذلك تم تشكيل عدة لجان مؤقتة لدراسة عدة موضوعات منها: الحوالة، والنقل المادي للأموال، وغير ذلك، وتكتسب الإجراءات التي تقوم بها مجموعة العمل المالي لمنطقة الشرق الأوسط، التي يرأسها محمود عبداللطيف من مصر، بأنها تتحرك بالتوازي مع التحركات الدولية، كما أن هناك عددًا من الأعضاء المراقبين في هذه المجموعة منهم: أمريكا، وفرنسا، وبريطانيا، والبنك الدولي، والأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي، وصندوق النقد الدولي.



المنتدى الاقتصادي الرابع بالأردن

ورؤى المستقبل



الملك عبدالله الثاني

الرئيس الأفغاني كرزاي



الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

افتتح العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني في الجمعة الأولى من جمادى الأولى سنة ١٤٢٨هـ (١٨ مايو ٢٠٠٧م) أعمال المنتدى الاقتصادي العالمي حول الشرق الأوسط، الذي انعقد قرب البحر الميت بالأردن. وقال في كلمته أمام نحو ألف مشارك من ٥٠ دولة: ان العام الحالي هو عام الفرص لإنهاء العنف، وتحقيق السلام، وبناء المستقبل الاقتصادي الإقليمي، مشيرًا إلى أن الدول العربية منهمكة في جهد رئيس لتحقيق تسوية للنزاع العربي الإسرائيلي. وقال: إن هناك فرصة تاريخية للتوصل إلى تسوية دائمة وعادلة وشاملة لهذا النزاع خلال العام الحالي.

وتابع الملك عبدالله الثاني أن السلام ليس سهلاً، ولكن الإسرائيليين والفلسطينيين من جميع القطاعات في المجتمع يقولون: إنهم بحاجة إلى إنهاء العنف. كما أن هناك إرادة عالمية جديدة لحل الأزمة، وأوضح أن غياب السلام وظروف الاحتلال أدت إلى تمزيق أوصال الحياة الفلسطينية، مشيرًا إلى أن ثلاثة من كل خمسة أشخاص يبحثون عن عمل لا يجدون وظائف.

وأشار إلى أن أحد التحديات المهمة التي تواجه المنطقة مشكلة المياه، «وإذا لم نخطط لتلبية هذه الحاجة الأساسية للمواطنين، فلن نكون في وضع نحارب فيه لأجل السلام، بل في وضع نحارب فيه من أجل البقاء على قيد الحياة». أما التحدي الثاني فهو الحفاظ على الموارد النفطية التي أنعم الله بها على المنطقة؛ بهدف إدامتها لمدة أطول، واستخدامها بصورة أنظف. أما التحدي الثالث الذي أشار إليه الملك عبدالله الثاني فهو تطوير البنى التحتية في المنطقة، التي بحلول عام ٢٠٢٠م، يقدّر أن يكون ٧٠٪ من سكانها في المدن. لذلك، فإن وجود نظام كفؤ للنقل بشكل ضرورة إستراتيجية كي تغدو المنطقة العربية كتلة اقتصادية قوية، تتميز بتنافسية أعلى في قطاع الصناعة وتوافر فرص توظيف مستديمة.

الملك عبدالله الثاني: العام الحالي عام إنهاء العنف، وبناء المستقبل الاقتصادي

وشهد المنتدى الذي استمر ثلاثة أيام، وحمل

عنوان «تفعيل التعددية»، حلقات نقاش بين قادة السياسة والأعمال والفكر وصناع القرار، حول القطاعات التي تؤدي دوراً في بلورة اقتصاديات المنطقة ومستقبلها، مثل الطاقة البديلة، والرعاية الصحية، والتأمين، والتقنيات، والسياحة، وغيرها، وناقش المنتدون فكرة «توظيف التنوع على أرض الواقع»، ولاسيما «التنوع الاقتصادي في الشرق الأوسط، حيث الحاجة ملحة إلى تعزيز السلام في منطقة تحفل بالتنوع الديني والعرقي.

وبحث المنتدى التنمية السياسية في الشرق الأوسط، والصراعات، وأعمال العنف التي تعصف بالمنطقة، بالإضافة إلى العنف في العراق، وعقدت على هامش المنتدى اجتماعات للدول الاحدى عشرة ذات الدخل المتدني، ومن بينها الأردن، والمغرب، وتونس؛ بهدف تخفيض الديون المترتبة عليها، ورفع مستوى معيشة سكانها.

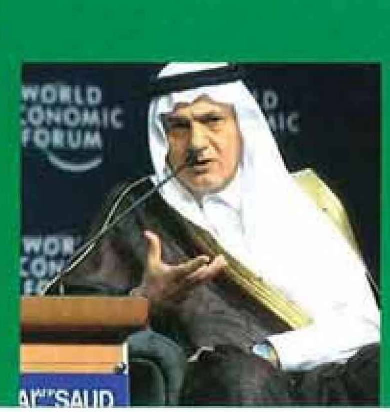
وأكد رئيس الوزراء الأردني معروف البخيت أن المنتدى الاقتصادي العالمي يشكل فرصة ذهبية لمناقشة القضايا الإقليمية والدولية المتعلقة بالبشرية وازدهارها.

وأشار البخيت في كلمة ترحيبية خلال حفل الغداء الأردني على شرف المشاركين في المنتدى في منطقة البحر الميت أن كثرة المشكلات التي تعاني منها المنطقة تتطلب من المجتمع الدولي التدخل لحلها، لفتح أبواب للتغيير الإيجابي في حياة شعوبها.

وعبر عن فخر الأردن باختياره مركزاً إقليمياً لاستضافة هذا المنتدى، الذي يشارك فيه نخبة من القادة والسياسيين والاقتصاديين والإعلاميين.

وقال: إن المجتمع الدولي أخفق في تنفيذ قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالقضية الفلسطينية على مدار العقود الماضية، وقال: إن تلك القرارات افتقرت إلى آلية

الأمير تركي الفيصل: على العرب والمسلمين أخذ زمام قضاياهم بأيديهم



الأمير تركي الفيصل





محددة لتنفيذها، إلى جانب اعتماد العالم أسلوب إدارة الأزمات بدلاً من حلّها.

ونوه إلى أهمية تفعيل المبادرة العربية، التي أكدتها قمة الرياض مجددًا بوصفها مشروع سلام عربي متكامل، يضمن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، واستعادة الحقوق العربية وضمان الأمن لإسرائيل.

وشدد البخيت على أهمية الحفاظ على وحدة العراق، وسلامة أراضيه، وأن تشمل العملية السياسية جميع مكونات الشعب العراقي، وأن تحفظ مصالحهم وحقوقهم.

وفي جلسة العمل الخاصة بالاستقرار في الشرق الأوسط، قال صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - في كلمته: إن الدور السعودي في حل قضايا المنطقة ليس جديدًا، بل هو ممتد عبر العقود الماضية، مشيرًا إلى أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز أعاد تنشيط هذا الدور، مستندًا إلى الثقل الديني، والمكانة الاقتصادية المهمة للمملكة في المنطقة والعالم.

وأكد التزام المملكة السعي إلى توحيد جهود الأطراف كافة؛ لأجل التوصل إلى حلول عادلة لقضايا المنطقة الرئيسة، ولا سيما القضية الفلسطينية، والأوضاع في لبنان، والعراق، وأفغانستان.

وعن إسهام الاقتصاد السعودي في رفد الاقتصاد العالمي، أوضح أن تحويلات المغتربين في المملكة إلى دولهم بلغت نحو ٥٠ مليار دولار، مما يسهم في تطوير اقتصادات بلادهم.

وأكد ضرورة أن يأخذ العرب والمسلمون زمام قضاياهم بأيديهم محذرًا من عواقب الاقتتال الدائر في فلسطين والعراق وأفغانستان، ووجوب التدخل عربيًا

وجود نظام كفؤ للنقل يشكل ضرورة إستراتيجية كي تغدو المنطقة العربية كتلة اقتصادية قوية

وإسلاميًا لمعالجة ما وصفه بالعلة التي أصابت الأمة في هذا الشأن.

وشدد على ضرورة وقف الاقتتال الفلسطيني الداخلي، وكذلك وقف القتال الفلسطيني ضد إسرائيل، داعيًا الفلسطينيين إلى النضال بأسلوب غاندي كطريقة أجدى لضمان حقوقهم.

وقال: إنه حان الوقت للمسلمين والعرب أن يتوقفوا عن هذه الممارسات، مضيفًا أن الاقتتال الفلسطيني أمر مؤسف، ويفتح أبوابًا للتدخل في شؤونهم من أطراف خارجية، وأمّل أن تنضم إيران إلى الجهود المبذولة لتحقيق الاستقرار في المنطقة.

ودعا الأمير تركي الفيصل إلى استصدار قرار من مجلس الأمن تحت بند الفصل السابع للحفاظ على وحدة الأراضي العراقية وسلامتها ضد أي أطماع إقليمية، وقال: إننا «نستطيع اتخاذ خطوات محددة في مجلس الأمن عبر تمرير قرار تحت الفصل السابع؛ لأجل سلامة العراق ووحدته، بحيث لا يسمح لأي دولة بتحقيق طموحات إقليمية على حساب العراق».

وقال وزير الخارجية الإيراني منو شهر متكي: إن بلاده تقع في مركز الأزمات التي تعصف بالمنطقة، التي تعد مركزًا لمصادر الثروات، وبخاصة الطاقة التي يستمد منها العالم نحو ٧٠٪ من حاجته.

الدور السعودي في حل قضايا المنطقة ليس جديداً، بل هو ممتد عبر العقود الماضية

وأضاف أن أزمات المنطقة تحتم التعامل مع الأبعاد الوطنية والإقليمية والدولية، منتقدًا البعد الدولي، وما سماه عدم كفاءة المنظمات الدولية خلال العقود الماضية، بل واستخدامها المعايير المزدوجة في التعامل مع قضايا المنطقة داعيا في البعد الإقليمي إلى تكاتف الأطراف الإقليمية وتعاونها، بعيدًا عن المؤثرات الداخلية والخارجية.

وقال الوزير الإيراني: «بلادي لا تريد محو أي بلد عن الخريطة»، وأضاف: «حتى تلاميذ المدارس الابتدائية يعرفون أنه لا يمكن استبعاد أحد البلدان من الخريطة». وأشار متكي إلى سياسات أمريكية خاطئة منذ احتلالها العراق لافتًا إلى أن الولايات المتحدة لم تصغ إلى الأصوات التي صدرت مبكرًا من المنطقة حيال خطأ تلك السياسات.

وأضاف: «أن الصوت هذه المرة صدر من داخل الولايات المتحدة ذات الاتجاه عبر تقرير هملتون، الذي يدعو إلى تغيير تلك السياسات الفاشلة في العراق».

وقال الرئيس الأفغاني حامد كرازاي: إن تدخل المجتمع الدولي حرر بلاده من الإرهاب والتعصب الأعمى، وحسّن الوضع الاقتصادي، وأتاح عودة الحياة البرلمانية والحزبية، ومكّن المرأة من أخذ مكانتها في المجتمع الأفغاني، وأسف لتجدد الهجمات التي وصفها بالإرهابية، والتي يذهب ضحيتها الأبرياء من أبناء الشعب الأفغاني.

وقال ولي عهد مملكة البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة: إن هناك دولاً فاعلة في المنطقة، لها دورها وحضورها في مواجهة التحديات، والتقدم لحل قضاياها، كالمملكة العربية السعودية، والأردن، ومصر، وهو الدور الذي يحظى بدعم البحرين، والدول العربية.

وعبّر عن قلقه من الوضع العراقي، مشيرًا إلى أهمية مشاركة فئات الشعب العراقي كافة في العملية السياسية، لأخذ زمام أمور بلادهم بيدهم. وأكد أن بلاده عازمة على المضي في نهج التغيير والإصلاح النابع من الداخل، وتجاوز الخلافات لما فيه مصلحة البحرين وشعبها.

وأوضح رئيس الوزراء الباكستاني شوكت عزيز حرص بلاده على إقامة أفضل العلاقات والسلم مع جوارها، مؤكدًا أن باكستان أكثر دولة لها مصلحة في استتباب الأمن والسلام في جارتها أفغانستان. وشدد على مبدأ الاحتواء في التعامل مع الصراعات والأزمات في المنطقة والعالم، محذرًا من أن سياسة العزل والإقصاء والكيل بمكيالين تفاقم





المشاركون يتابعون خطاب الملك عبدالله الثاني

الأزمات، كما هو الحال في العراق، وفلسطين، وأفغانستان. وشدد على مركزية القضية الفلسطينية في تحقيق الأمن والسلم الدوليين، اللذين لن يتحققا من دون حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه كاملة على ترابه الوطني، وأن يرى الضوء في نهاية هذا النفق.

وحول الأبعاد الاقتصادية، تحدث عدد من المختصين، فقال فادي غندور - رئيس شركة «أرامكس» للبريد السريع - إن على المؤسسات في العالم العربي أن تنظر أبعد من هدف تحقيق الأرباح، وأن تنشط في معالجة مشكلات المجتمع اليومية، وأن تسعى إلى مستقبل أكثر تطوراً.

وركّز خلدون المبارك - رئيس «مبادلة للتطوير» الإماراتية- في ضرورة التنويع، ليس فقط في القطاعات الاقتصادية، بل أيضاً في قطاع التعليم، من خلال مراجعة المناهج الدراسية في الدول العربية. وأضاف أن «المنطقة العربية حققت فائضاً مالياً إجمالياً يقدر بتريليون دولار منذ عام ٢٠٠٤م، واللافت أن معظم هذه الأموال لم يعد يذهب إلى الخارج، كما في السابق».

وعوّل سعيد المنتفق - رئيس شركة «تطوير» الإماراتية - على أهمية التعاون بين القطاعين العام والخاص، وعلى ضرورة تطوير الشركات العاملة في المنطقة، ودعا إلى بث روح المبادرة في الجيل الشاب من خلال المناهج المدرسية، وإلى تحسين معايير الحوكمة في الشركات؛ بهدف خلق قيمة ذاتية في أعمالها، وتسهيل انفتاحها على مجتمع الأعمال العالمي، وانخراطها معه.

وأطلق المنتدى «مجلس الأعمال الفلسطيني - الإسرائيلي»، الذي سيضم نخبة من رجال الأعمال الفلسطينيين والإسرائيليين، وسيعمل على «تعزيز العلاقات بين قطاعي الأعمال في فلسطين وإسرائيل، وتطوير جدول أعمال يدعو إلى الحوار لدعم إعادة البناء والإصلاح الاقتصادي، ودعم الجهود الرامية إلى تحقيق السلام، من خلال وضع إستراتيجية تهدف إلى تعزيز التعاون، وحل القضايا التي تعترض مسيرة الشعبين على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي».



المداولات في المنتدى

وقد أعلن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم - نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ورئيس مجلس الوزراء، وحاكم دبي - أمام المنتدى إنشاء «مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم» التي ستعنى بإطلاق جهود التنمية العربية الإقليمية.

كما أطلقت مؤسسة شواب للريادة الاجتماعية، للسنة الثانية على التوالي، خلال المنتدى الاقتصادي العالمي حول الشرق الأوسط المنعقد في البحر الميت - مبادرة تستهدف التعرف إلى شخصيات ريادية في الأردن.

وقالت المؤسسة في بيان: إن الرياديين الاجتماعيين يعدون أشخاصًا خلاقين يعمدون إلى توظيف حلول عملية، وقابلة للديمومة في معالجة المشكلات القائمة في كثير من الحقول، بما فيها الصحة والتعليم والبيئة، وإيجاد مدخل إلى التكنولوجيا، وإيجاد الوظائف.

وحاضرت ثريا السلطي - الفائزة بلقب المشروع الريادي الاجتماعي لعام ٢٠٠٦م في الأردن - عن مشروع «إنجاز العرب» منتدى البحر الميت هذا العام مع ١١ من طلبتها الذين نالوا المكافأة.

ويعنى مشروعها الفائز بتشجيع الشباب الأردني، من جميع المستويات التعليمية، على تحسين مهاراتهم؛ من أجل تعزيز فرصهم المهنية، من خلال توفير التدريب والدعم الرقابي لقادة الأعمال الناجحين والمحترفين. ووصل عدد الطلبة المتقدمين للمشروع إلى نحو مئة ألف طالب من أرجاء الوطن العربي منهم ٦٥ ألف طالب من الأردن.

كما شاركت الشريك الفائز والمديرة التنفيذية لمؤسسة (إنديفرو غلوبال)، ليندا روتنبرغ، بفعاليات المنتدى الاقتصادي العالمي.

وتأسست «إنديفور» في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٩٧م مستلهمة فكرة مبتكرة تقوم على التعرف إلى الرياديين ذوي التأثير الكبير في الأسواق الناشئة، ودعمهم بوصف ذلك وسيلة لإيجاد نمو اقتصادي مستديم.

وعلى مدى السنوات العشر الأخيرة دأبت إنديفور

على تعزيز الوعي بأهمية الرياديين في المجتمعات، وقدرتهم على التأثير في الأسواق الناشئة. وفي حال حصولهم على موافقة دولية، ودعم مناسب يمكنهم أن يخلقوا الآلاف من الوظائف، وأن يولدوا ملايين الدولارات على شكل أجور، وأن يكونوا نماذج ملهمة في بلادهم.

وكان رياديو إنديفور قد وفروا أكثر من ٢٨ ألف وظيفة عالية القيمة، وحققوا عوائد زادت على ٣٧٥،١ مليون دولار خلال عام ٢٠٠٥م.

ومن الفائزين بجائزة مؤسسة شواب المصري حلمي أبو عليش من «مجموعة سيكيم»، الذي حضر أيضًا وقائع المنتدى الاقتصادي العالمي بصفته مدير إدارة أول شركة مصرية تقدم الأساليب الزراعية البيو - ديناميكية. وتسيطر «سيكيم» على السوق المحلي المصري في مجال الأطعمة العضوية، والصناعات الدوائية النباتية، وتتبع بنجاح للسوق العالمي.

وتتبنى «سيكيم» نظرة تقوم على أن جني الأرباح يمكن أن يسير يداً بيد مع التقدم الاجتماعي والثقافي. وهي تزود المستخدمين والمجتمعات الزراعية عبر البلاد بفرصة لتحسين نوعية تعليمهم وصحتهم، ونوعية حياتهم بشكل عام.

تحويلات المغتربين في المملكة إلى دولهم بلغت نحو ٥٠ مليار دولار، مما يسهم في تطوير اقتصادات بلادهم

ومن الجدير بالذكر أن هذه المبادرة أطلقتها مؤسسة شواب بالتعاون مع جريدة الغد الأردنية.

وعلى هامش أعمال المنتدى وقع الأردن عددًا من الاتفاقيات المحلية والعالمية بقيمة ٥،٢ مليارات دولار، مع شركات رائدة في دول الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، والكويت، وتركيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وايرلندا، وفرنسا، والمملكة المتحدة، واليابان، والصين، والهند، وتشمل الاتفاقيات قطاعات متنوعة، مثل: الطاقة، والنقل، والتمويل، والصناعات الخفيفة، والتنقيب.

وفي ختام أعمال المنتدى، قال كلاوس شواب رئيس المنتدى: «آمل في يوم ما، في إحدى السنوات، أن نتمكن من عقد هذا اللقاء في بيت لحم، بعد أن يكون قد تحقق السلام إلى الحد الذي يمكننا من الذهاب إلى بيت لحم لنحتفل أخيرا بالسلام والمصالحة والعدل والتقدم».

وأضاف «يجب أن ننهي هذا الاجتماع بصوت الشباب، هذا هو التزامنا بتحسين وضع العالم، أن نعمل من أجل الشباب، ففي نهاية المطاف كل هذه الاجتماعات لها هدف واحد ألا وهو خلق حوار، وخلق فهم أفضل».

وأوضح شواب أن الخطوات التي تم اتخاذها هنا يجب أن تعبد الطريق أمام مستقبل اقتصادي عظيم لهذه المنطقة، تقودنا إلى حل عدد من القضايا السياسية، التي ما زالت تواجهنا حتى الآن».

وأعلن المنتدى، الذي يتخذ من جنيف مقرًا له، أنه سيعقد مؤتمر قمة في مايو/أيار من العام المقبل في منتجع شرم الشيخ بمصر.

يذكر أن هذا المؤتمر الذي يضاهي منتدى «دافوس للشرق الأوسط» انعقد أول مرة في الدار البيضاء عام ١٩٩٤م، ثم في الأردن، ومصر، وقطر.



الحكومة الإلكترونية المتنقلة

أبو بكر سلطان أحمد

الرياض - السعودية



مع الحكومة الإلكترونية .. العالم بين يديك

انتشر في الآونة الأخيرة مصطلح الحكومة الإلكترونية، وتم تنفيذ مشروعات الحكومة الإلكترونية في بعض البلدان بدرجات متفاوتة من المستوى. ويمكن تعريف مصطلح الحكومة الإلكترونية E govermet بأنها «الحكومة التي تستخدم تقنيات المعلومات والاتصالات؛ لتحسين خدماتها إلى المواطنين، والقطاع العام، والمؤسسات الحكومية الأخرى». وبعضهم الآخر يقصر التعريف على توفير المعلومات - رقميًا - للمواطنين، وإجراء المعاملات معهم على الإنترنت. كذلك يمكن تعريفها «بتحول الحكومة التقليدية باستخدام تقنية المعلومات والاتصالات؛ لتلبية متطلبات المواطنين، وقطاع الأعمال، ورفع كفاءة الإدارة الحكومية».

والواقع أن المصطلح لا يقتصر على استخدام الإنترنت في النشاط الحكومي فقط، بل يشمل جميع تقنيات المعلومات والاتصالات الأخرى مثل: الهاتف الثابت، والفاكس، والراديو، والتلفاز، ثم حديثًا الهاتف المتنقل، والاتصالات اللاسلكية.

وفي الألفية الثالثة انتشرت - بشدة - الاتصالات اللاسلكية الشخصية، كالهواتف المتنقلة، والحواسيب المحمولة، والكفية، والأجهزة الرقمية المساعدة. وحديثًا ظهر «الجيل الثالث 3 G» من نظام موحد للاتصالات البعيدة والرقمية المتنقلة، التي تدعم الوسائط المتعددة، وترتبط مع الإنترنت و«الويب» في الأجهزة المتنقلة المحمولة على اليد، أو في عروة معطف لذلك كان من المنطقي امتداد استخدامها في الحكومة الإلكترونية كجزء فرعي لها تحت مصطلح «الحكومة المتنقلة M- Government». وبذلك تصل الخدمات الحكومية الرقمية إلى المواطنين والمسؤولين في أثناء تنقلهم وترحالهم من دون الارتباط بمكان حول العالم، أو الارتباط بزمان طوال ٢٤ ساعة في اليوم، و٧ أيام في الأسبوع.

وليست «الحكومة المتنقلة» بديلاً عن «الحكومة الإلكترونية»، بل هي امتداد لها. وعلى الرغم من أن الأجهزة المحمولة الشخصية (ومنها الهواتف المتنقلة) أصبحت واسعة الانتشار، ولها مميزات لا يختلف عليها اثنان، وكان لها تأثير اقتصادي واجتماعي ملموس، إلا أنها ما زالت تفتقر إلى ميزة استقبال كميات كبيرة من المعلومات المعقدة، مثل تلك التي تتوافر في الحواسيب، مع أنه يمكنها الاتصال مع الإنترنت. فمثلاً مازالت «الرسائل القصيرة SMS» محدودة في عدد الحروف، وحتى المساعدات الرقمية الصغيرة، أو الحواسيب الكفية والجيبية - التي يتوافر فيها الاتصال بالإنترنت، وإمكانية استخدام البريد الإلكتروني - تعاني من مساحة الشاشة المحدودة، وأنها مصممة أصلاً لتكون جهازًا يقدم خدمات صوتية في أثناء التنقل، وليست مرئية. وتحتاج التطبيقات المتنقلة، والوسائط المتعددة إلى بنية تحتية تقنية عالية المستوى، وشبكة واسعة النطاق، وباهظة التكاليف.

تجارب وتطبيقات

الأمن المتنقل:

من التطبيقات المهمة في مجال أمن المواطنين، استعمال رجال الشرطة الحواسيب المحمولة المتصلة لاسلكيًا بشبكة الإنترنت، والشبكة المحلية لإدارة الشرطة، وإدارات وزارة الخارجية المختلفة المعنية، عبر ما يسمى - حاليًا - «النقاط الساخنة Hotspot»(١) عالية السرعة اللاسلكية. وتقليديًا، كان عندما تصل شكوى عن حادث سرقة للشرطة، فإنها تذهب إلى مكان الحادث من دون معلومات مسبقة عما ينتظرهم هناك، وهذا يعد قصورًا شديدًا، ويعرض رجال الشرطة لمخاطر غير محسوبة، لذلك قامت إدارة الشرطة في «سيلسكون بيتش» بالولايات المتحدة برفع فعالية تنقلاتها، وكفاءة أدائها، وجودة خدماتها، في حماية المواطنين، بتوفير اتصال لاسلكي مستمر بين سيارات الشرطة وشبكة الإدارة الرئيسة بإنشاء «نقطة ساخنة Hotspot» متنقلة تعتمد على بروتوكول الإنترنت، ومتصلة أيضًا بإدارة مكافحة الحريق. ومع تركيب كاميرات في البنوك والمحلات التجارية وفي سيارات الشرطة، وحواسيبهم المحمولة، يمكنهم معرفة ما يحدث في مكان الجريمة قبل ذهابهم إليه، والإعداد له مقدمًا بما يلزم لمكافحته.

وفي بلدة ساليدا، بولاية كولورادو في الولايات المتحدة، استخدمت الشرطة تقنية الاتصالات اللاسلكية لمكافحة الجريمة، باستخدام نظام واي فاي Wifi (٢) عند تردد ٢.٤ ميجاهرتز؛ لتغطية مساحة البلدة، بحيث توفر شبكة اتصالات لاسلكية مع الحواسيب المحمولة في سيارات الشرطة، وكل سيارة مزودة بهوائي خارجي وحاسوب لاسلكي يتصل بمراكز الشرطة عن طريق هوائي رئيس فوق أحد جبال البلدة، ومن خلال هذا النظام، عندما يلاحظ رجال الشرطة سيارة مشتبهًا فيها، أو شخصًا يثير الريبة بتصرفاته، فإنه يتوافر لديهم معلومات من الشبكة اللاسلكية، بما في ذلك قواعد البيانات، وصور المجرمين ويتيح لهم النظام إدخال بيانات، وإرسال التقارير الإلكترونية - أيضًا - بينما هم يتجولون بسيارتهم.

الخدمات العامة المتنقلة

يمكن للحكومة المتنقلة توفير الجهد والوقت لمواطنيها؛ بحصولهم على الخدمات العامة الحكومية على هواتفهم المتنقلة، ففي ولاية كاليفورنيا، يستطيع المواطنون استقبال بيانات خدمات الكهرباء، وبيانات أماكن ازدحام المرور، وأحوال الطقس، والتقارير الحكومية على أجهزتهم اللاسلكية المتنقلة. وفي سنغافورة، وفرت الحكومة خدمة الاستعلامات عن أرقام هواتف المسؤولين والجهات الحكومية باستخدام الرسائل القصيرة. ويمكن للمواطن اختيار أن تصله معلومات برسائل قصيرة عن: تجديد رخصة السيارة، وتجديد جواز السفر، والطرق المزدحمة





بالسيارات، وإعلانات الحكومة، وإعلانات الوظائف المطلوبة.. إلخ.

وفي المملكة المتحدة، أضافت الشرطة الإعلانات التحذيرية من عمليات إرهابية، وانتشرت هذه الخدمة حتى بلغ عدد الشركات المشتركة أكثر من ١١٠٠ شركة، وبلغ عدد المشتركين في خدمة التحذيرات الإرهابية بالبريد الإلكتروني أكثر من ٥٠٠ بقليل. وفي هونج كونج، قامت الحكومة بإرسال رسائل قصيرة عبر الهواتف المتنقلة إلى نحو ٦ ملايين مواطن لتصحيح الشائعات المنتشرة عن مرض «سارس» المشهور، والإجراءات اللازمة لمقاومة المرض. كذلك يمكن الاتصال في الاتجاه العكسي: أي: من المواطن إلى الحكومة. ففي الفلبين يمكن للمواطن استخدام الرسائل القصيرة لسؤال ممثليهم في البرلمان عن الخدمات التي يقدمونها، أو إرسال تعليق عليها. وفي الصين يمكن لنحو ١٥٠ مليون هاتف متنقل أن يرسل رسائل قصيرة إلى مندوبيهم في الكونجرس الوطني.

تسديد الفواتير المتنقل

لا توفر الرسائل القصيرة الاتصال من المواطنين إلى الحكومة، ولكن يمكنها القيام بالمعاملات في الاتجاه العكسي: أي: من الحكومة إلى المواطنين. فمثلاً قامت

الأجهزة المحمولة ما زالت تفتقر إلى استقبال كميات كبيرة من المعلومات المعقدة

يمكن للحكومة توفير الجهد والوقت لمواطنيها بحصولهم على الخدمات على هواتفهم المتنقلة

ولاية كاناتاكا الهندية بحفظ سجلات أراضي المواطنين إلكترونيًا، ولكن كانت المشكلة أن خادم الملفات الذي يحفظ هذه السجلات ليس في متناول القرويين حيث يبعد نحو ٧٠ كم من مركز الولاية الرئيس، ولكن لا يتوافر لدى القرويين الفقراء هواتف ثابتة، فضلاً عن المتنقلة، وكان الحل في شبكة لاسلكية واسعة النطاق لتخزين معلومات الأراضي وإرسالها باستخدام نقاط اتصال، لكنها متنقلة يتم تركيبها على حافلات النقل العام التي تمر على القرى عادة.

وبذلك يستطيع القروي العادي طلب المعلومات الخاصة عن أرضه من خلال حاسوب مجهز بإمكانية Wifi، في أحد أكشاك القرية العامة، ويتم تخزين الطلب في الحاسوب إلى حين مرور الحافلة المجهزة بنقطة الاتصال المتنقلة، حينئذ يتم اتصال لاسلكي بين الحاسوب والحافلة، فتستقبل الطلبات من قاعدة بيانات الحاسوب، وترد عليها ببيانات أخرى، وعندما تعود الحافلة إلى المركز الرئيس في البلدة حيث موقع اتصال مع الإنترنت، يتم نقل المعلومات إلى الأجهزة الحكومية عن طريق الإنترنت بواسطة نظام Vsat(٤) أو إنترنت كافيه، والنتيجة هي خدمة تقنية لاسلكية واسعة النطاق من مناطق بعيدة إلى الأجهزة الحكومية بتكاليف قليلة تناسب البلاد النامية، والقرى المتباعدة.

في سنغافورة، قدمت المكتبة الوطنية خدمات نظام الرسائل القصيرة للاستعلام عن حالة استعارتهم الكتب

وفي سنغافورة، قدمت المكتبة الوطنية خدمات نظام الرسائل القصيرة التي تمكن رواد المكتبة من الاستعلام عن حالة استعارتهم الكتب والمراجع، وإرسال رسالة تذكيرية حين يحين تاريخ إعادة المراجع المستعارة إلى المكتبة. كذلك يمكنهم تجديد الإعارة، أو دفع غرامات التأخير باستخدام هواتفهم المتنقلة.

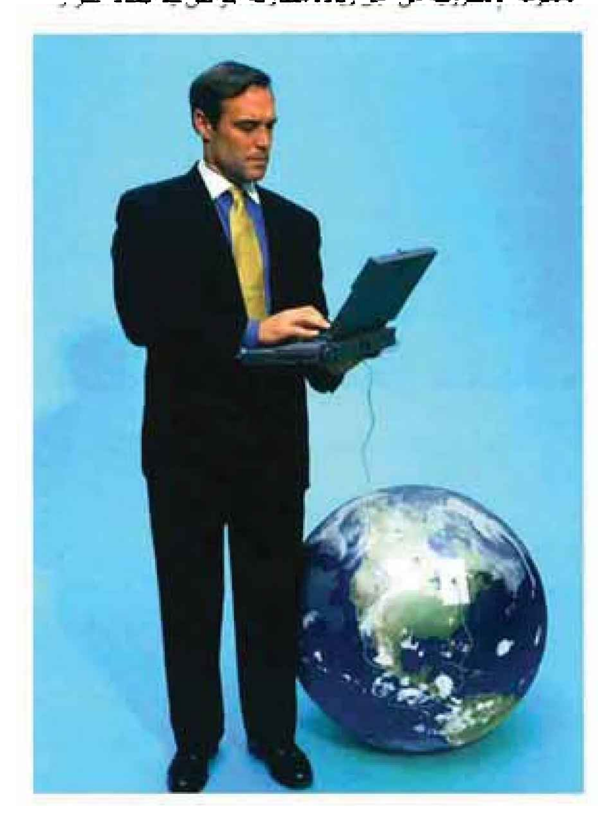
وهناك أمثلة أخرى في الدول الصناعية، فكانت أول دولة في أوربا هي النرويج، وفيها يمكن لدافع الضرائب إرسال رسائل قصيرة تحتوي على رقم الهوية، وكود بدلاً من إعادة نموذج الضرائب بالبريد العادي، واستفاد من هذه الخدمة نحو ١,٥ مليون نرويجي. وفي فنلندا، تستعمل تذاكر «رسائل قصيرة» في مرافق النقل العام في هلسنكي، ويمكن طلب هذه التذاكر بإرسال نص، ثم يتم الرد بفاتورة على الهاتف المتنقل للمستخدم.

وعلى الرغم من أن انتشار التسديد المتنقل مازال محدوداً، لكن من المتوقع أن تتطور من التطبيقات البسيطة للمحتوى الرقمي إلى خدمات متكاملة، ومعاملات إلكترونية بين الأجهزة الشخصية المحولة والبنوك والمؤسسات ومع الحكومة. ويتوقع «منتدى العالم اللاسلكي» أن اليابان، والولايات المتحدة، وألمانيا، والمملكة المتحدة، ستكون أكثر البلاد استخداماً للتسديد المتنقل، وأنه سيكون هناك نحو ٢٠٠ مليون مستخدم للتسديد المتنقل يتعاملون في نحو ٤٧,٢ بليون يورو في عام ٢٠٠٦م في هذه البلاد، بينما سيبلغ هذا المبلغ ٥٥,٣ بليون يورو على مستوى العالم.

الديمقراطية المتنقلة

يسمى استخدام الأجهزة الشخصية المتنقلة، والرسائل القصيرة في التصويت لانتخابات المجالس البلدية، أو البرلمانات «التصويت المتنقل Mvoting»، ويساهم هذا الاستخدام في تحسين العملية الديمقراطية، ونزاهة الانتخابات. ومع عدم وجود تجارب ذات بال في هذا المضمار في البلاد المتقدمة، إلا أن تجربة المملكة المتحدة في «التصويت الإلكتروني» بما في ذلك التصويت عبر الهواتف المتنقلة، تهدف لاكتشاف طرائق حديثة لزيادة مساهمة المواطنين الإنجليز في اتخاذ القرار السياسي. ويتم في ماليزيا اختيار أعضاء المجالس البلدية

الحكومة الإلكترونية من أجل زيادة مشاركة المواطن في اتخاذ القرار





باستخدام الرسائل القصيرة عن طريق هواتفهم المتنقلة، أو المساعدات الرقمية الشخصية.

لكن من ناحية أخرى، هناك محاذير أمام انتشار استخدام الهواتف المتنقلة في التصويت، من أهمها أمن المعلومات وسريتها، ففي عملية التصويت التقليدية يتم التأكد من هوية الناخب، وأنه تم تسجيله في قائمة الناخبين، بينما في حالة التصويت المتنقل يبرز السؤال كيف نتأكد من أن الناخب قد تم تسجيله ولم يسئ استخدام التقنية بالانتخابات أكثر من مرة، أو قام بالانتخاب بدلاً عن شخص آخر؟ لذلك تم إعطاء الناخبين في ليفربول، وشيفيلد بإنجلترا رقم هوية شخصي Pin إذا أرادوا الانتخاب برسائل قصيرة.

نجحت الهيئة السعودية للتخصصات الصحية في إرسال نتائج الامتحان عبر رسائل قصيرة على الهاتف المتنقل

ففي دراسات حديثة باسكتلندا وويلز عن رأي الجمهور في استخدام التصويت الإلكتروني تبين أن نحو من ٤٠ إلى ٥٠ ٪ من الذين تم سؤالهم يفضلون استخدام التصويت الإلكتروني بما في ذلك التصويت المتنقل. ومع ذلك، بينت دراسة أخرى في المملكة المتحدة أن كثيرًا من المواطنين لا يفضلون استخدام التصويت عبر الهاتف المتنقل، وكانت إجابات كبار السن سلبية، وعدّوا هذه الطريقة الإلكترونية غير مناسبة؛ لأنهم لا يستطيعون استخدام التقنية الحديثة. أما الصغار الذين يستخدمون الرسائل القصيرة بكثرة، يرون أن هذه الطريقة تعد خيارًا سهلاً، ولكن قليلاً منهم لديه الرغبة لاستخدامها، على الرغم من أنها سهلة وملائمة وسريعة، وكانت وجهة نظرهم أنها طريقة عبثية للاستخدام في التصويت، وأن الرسائل القصيرة مسلية للاتصالات مع أقرانهم وغير مناسبة للأعمال الجادة، مثل: الانتخابات.

وستؤثر نتائج هذه الدراسات في انتشار الحكومة المتنقلة، مثال ذلك مشكلات إرسال رسائل فكاهية

وساخرة عبر أنظمة الحكومة المتنقلة في الفلبين. لذلك يمكن اقتراح أن تكون أنظمة التصويت المتنقل إحدى قنوات الانتخابات الديمقراطية بجانب التصويت التقليدي في مراكز الاقتراع، وعبر البريد العادي، وعبر الإنترنت، وعبر الهاتف الثابت أيضًا.

والقضية الأخرى، هي جعل النظام سهل الاستخدام للشخص العادي. فمثلاً يجب التغلب على مشكلة نسيان بعض الأشخاص لرقم هويتهم الشخصية. كذلك مشكلة صعوبة استخدام لوحة مفاتيح الهاتف لإدخال اسم المرشح. وأخيرًا، يجب أن يسمح النظام بإعادة خطوات الانتخاب واختياراته في أي مرحلة من مرحلة الانتخاب: إذا احتاج الأمر إلى ذلك. ويجب - أيضًا - أن تكون سعة النظام واسعة وكافية بقدر: لتسمح بازدحام نظام الاتصالات الهاتفية بكثرة الناخبين في أوقات الذروة مثلما يحدث في التصويت التقليدي حين تزدحم مراكز التصويت بطوابير الناخبين.

الإدارة المتنقلة

تقدم الحكومة المتنقلة - أيضًا - وسيلة لتحسين الأداء الحكومي للجمهور، ومع ذلك لا يوجد سوى حالات قليلة في الدولة المتقدمة التي تستخدم الإدارة المتنقلة. ولكن هناك محاولة ولاية فلوريدا لمقاومة البعوض باستخدام ٦١ مركبة لاسلكية مجهزة بمبيدات حشرية لمنع انتشار البعوض، فوق مساحة أكبر من أربعة آلاف مليون متر مربع. ويقوم نظام لاسلكي بمراقبة مواقع البعوض، واتجاهاته، وسرعته، والمبيدات الحشرية، آليًا في جميع المركبات، التي ترسل معلومات لاسلكيًا إلى خريطة رقمية في مركز إدارة المقاطعة. وتسجل الخريطة الرقمية ما تقوم به كل مركبتها وأين تقوم برش المبيدات، أو إسقاط الكيماويات وسرعة المركبة. ويتمكن بذلك موظفو الإدارة في المركز الرئيس من متابعة المركبات وتقدمها، وتوجيه الأفراد القائمين بالمقاومة. ويوفر النظام تقريرًا آنيًا وتاريخيًا عن الرش خلال مدة زمنية معينة، وتحليل التكاليف.

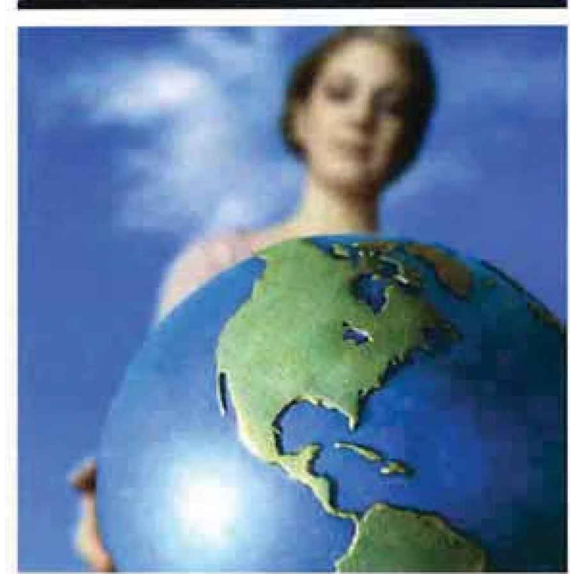
وكجزء من مبادرة حكومة دبي المتنقلة M Dubai، تم إطلاق خدمة الاستعلام عبر الرسائل القصيرة على رقم هاتف معين. ويتمكن المواطنون من خلالها الاستفسار عن موعد إقلاع الطائرات، وحركة المرور، والمشروعات الحكومية لرجال الأعمال بصورة محددة موضوعية، وبما قل ودل وفي أثناء التجوال، أو السفر.

الصحة المتنقلة

نجحت الهيئة السعودية للتخصصات الصحية

الحكومة الإلكترونية





في عملية إرسال نتائج امتحان التصنيف المهني الصحي عبر رسائل قصيرة على الهاتف المتنقل. حيث قامت الهيئة بإرسال أكثر من ٥٠٠٠ رسالة قصيرة تخبر فيها الممارسين الصحيين (أطباء، صيادلة، تمريض، فنين) باجتيازهم امتحان التصنيف المهني عبر رسالة قصيرة واردة تتضمن رقم التسجيل المهني للممتحن وكلمة «ناجح». وتقدم حكومة مالطا معلومات صحية عبر الهاتف مثل الإقلاع عن التدخين، والحمية، والإيدز.

وحديثًا، قدمت عدة شركات أمريكية حلولاً لاسلكية لمراقبة قلوب المرضى من بعد. وفي أحدها، يرتدي مريض القلب جهازًا خفيف الوزن «رسم قلب» يرسل بيانات الرسم لاسلكيًا إلى جهاز «مساعد رقمي شخصي بي دي إيه PDA» (٥) خاص بالمريض. ثم يقوم هذا بإرسال الرسم عبر الشبكة الخلوية إلى المركز الطبي. ويتم ذلك دوريًا، أو عندما يشعر المريض بأعراض قلبية، أو إذا طلب الطبيب في المركز الطبي بيانات عن قلب المريض عبر الشبكة اللاسلكية، أو حتى إذا شعر المساعد الرقمي الشخصي بمشكلة في قلب المريض. ويتم تحليل البيانات في المركز الطبي الذي يقوم بإخطار المريض لاسلكياً على جهاز PDA الخاص بالمريض إذا وجد أن الحالة أصبحت تشكل تهديدًا له.

الهوامش والمراجع

١- خدمة الرسائل القصيرة (أقل من ١٤٠ إلى ١٦٠ حرفًا) من الهواتف الخلوية وترسل في نظام جي إس إم GSM بالتزامن مع الصوت والفاكس والبيانات.

٢- منطقة جغرافية محدودة تتم تغطيتها بجهاز يتيح الاتصال بين الأجهزة المتنقلة والشبكات الواسعة والإنترنت، ويتوافر في الأماكن العامة، مثل مجمعات التسوق، والمطارات.

٣- مجموعة مواصفات لإرسال البيانات لاسلكيًا.

٤- نظام اتصالات نقال صغير هوائي يخدم قطاعات محددة خاصة، مثل البنوك، أو فروع المستشفيات.

٥- حاسوب شخصي صغير خفيف الوزن، يجمع بين إدخال بيانات بالقلم على شاشته ويتعرف إلى الكتابة اليدوية، وتنظيم الأمور الشخصية، مثل المواعيد، ودليل الهاتف، واستخدام البريد الإلكتروني، والإنترنت، والاتصالات اللاسلكية.

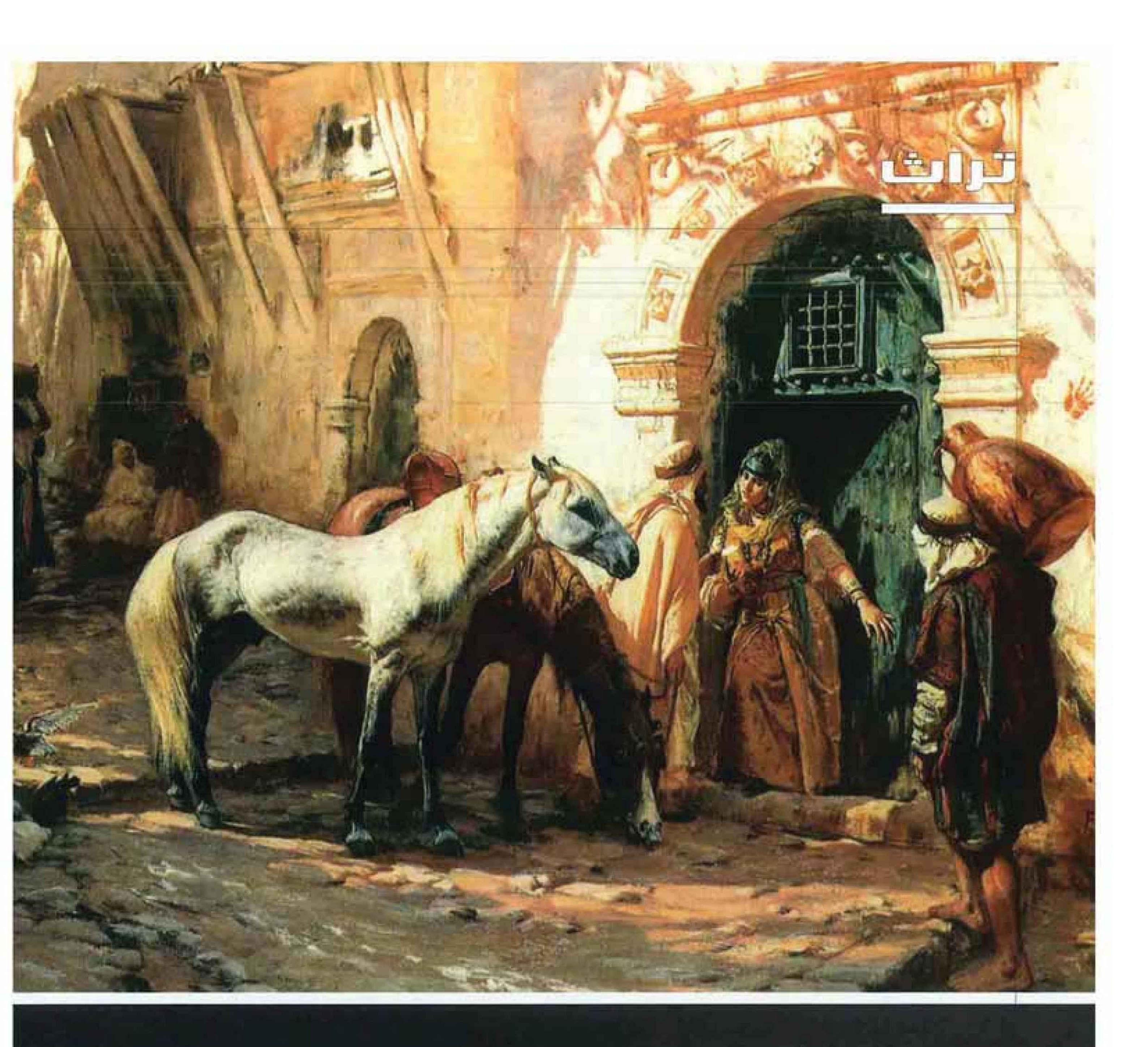
أبوبكر سلطان، مترجم، الاتصالات الشخصية اللاسلكية، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، ١٩٩٨م.

- أبو بكر سلطان، الاتصالات اللاسلكية في الألفية الثالثة، الفيصل، العدد ٣٠٢، أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠١م.

- http //www egov4dev.org/mgovdefn htm
- http //www cisco com/univercd/cc/td/doc/product/access/mar/3200/mar conf/m620scnr htm#wp1057430
- http://www vivato net
- http //app.sgdi gov/sms help.asp
- The Wireless Institute   The wireless Internet Opportunity for Developing Countres" Info Dev. w21 un ict task force. 2003
- http://www.nlb.gov.sg/Ourlibraries/ourlib membership Guide asp
- http://www.skatteetaten no/
- http://www.add2phone.com/pressevent09 21 2001 html
- http://www.mobilepaymentsworld.com/recentarticles/jun 05 03art02. html
- http://www e-devexchange org/eGov/mgovapplic.htm
- http://www compasscom com/press/compasscom avl used by fl Orida htm

- عصر الحاسب، العدد ٣٣، مارس ٢٠٠٤م.
- الملتقى الصحي، العدد ٤٥، أكتوبر ٢٠٠٤م

- http //www gov mt/newsletterarticle. asp?a=68&= 2
- Philip E Ross, Managing Care Through The AIR IEEE Spectrum, V 41 N 12 DECEMBER 2004



إنطاق الحيوان

في تراثنا الأدبي

عبدالكريم الأشتر
حلب ـ سورية



في تقاليد العرب التي يحفظها تراثها المتداول، حب الحيوان، والأنس به إلى حد المبيت معه وإلى جانبه، في بعض المواطن، والتعلم منه. وقد ألفوا كتبًا ضخمة تتبعوا فيها أطوار حياته، ووصفوا ألوان استجاباته، ودقائق تكوينه، وخلطوا ذلك كله بالحكايات الطريفة، فتكونت موسوعات، وصل إلينا بعضها، على مثال: «كتاب الحيوان» للجاحظ في سبعة مجلدات، و«حياة الحيوان» للدَّميري (ت ٨٠٨هـ) في مجلدين، وضاع كثير منها في زحمة الأحداث، التي توالت على الأمة منذ فجر تاريخها الثقافي حتى اليوم. وقد نعثر على أطراف منها في بعض كتب التراجم والأسمار.

ففي القرآن الكريم دور ملحوظ للحيوان المُنْطَق، في إكمال دلالات العظة من الأحداث المحكيّة فيه، على مثال: الهدهد والنمل في حكاية النبي سليمان، الذي ورث ملك النبي داود، وعُلّم منطقَ الطير، وأوتيَ من كل شيء، حتى أصبح الطيرُ من جنوده: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملةٌ يا أيها النملُ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمانُ وجنوده وهم لا يشعرون فتبسَّم ضاحكًا من قولها وقال ربِّ أوزعني (١) أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ...(٢)، وتفقد الطيرَ فقال مالي لا أرى الهُدْهدَ أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنَّه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غيرَ بعيد، فقال أحطتُ بما لم تُحِط به(٣) وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم(٤) وأوتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم...﴾(٥).

ونجد الحيوان في أسماء السوَر: «سورة النحل، وسورة العنكبوت» ونقرأ عن دَور الحمامة التي حملتْ إلى النبيِّ نوح البُشْرى بنهاية الطوفان. وفيه بعد ذلك قوله الجامع: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾(٦).

ولو أنا رجعنا إلى ما في التراث عن حيوان بعينه، أنطقوه وخاطبوه وجدنا ما وصل إلينا منه عن الكلب وحده، في الكتب المفردة والجامعة، وفي الأشعار والأسمار مقدارًا يصعب حصره، ووجدنا فيه (عن هذه الطريق التي يكون الكلب فيها رمزًا أو قناعًا) ، من حقائق النفس البشرية، ما كنا نظن أنا لا نجد مثله.

ثم إن في أمثال العرب عن الكلب وما أضافوه إليه، صورًا كثيرة لوجوه الحياة في مجتمعهم، تمثل تقاليدها المرعيّة وأسلوب حياتها، وتشرح طباع الكلاب وتصف هيئاتها في كل حال من أحوالها، في النعاس واليقظة، والصحبة والانفراد، والحرص والبخل، والوفاء والألفة (٧).

ومثله يكون في كل حيوان عرفه العرب في صحرائهم، وبواديهم، وقراهم، ومدنهم على السواء، ولا



سيما الحصان والناقة. ففي تراثنا صفحات أنطقناهما فيها ومنحناهما من إحساسنا وإدراكنا قدرًا جعلهما يعقلان ويفكران. بل يتحولان . أيضًا . إلى رمز من رموز الحكمة. يعظ ويحذر ويضرب الأمثال. على مثال ما نجده في (كليلة ودمنة)(٦).

على أن هذه الصلة التي أقمناها، بيننا وبين الحيوان. لم ننفرد بها. بل أقامت مثلها شعوب أخرى، على مثال: (خرافات الحكم اليوناني إيزوب Aisopos . القرن ٧ ـ ٦ ق.م. وأمثال الشاعر الفرنسي لافونتين La Fontaine . ت ١٦٩٥م). بل لعل الحضارات القديمة جدًا عرفتها على صورة من الصور تكشفها الآثار المحفورة والمرسومة على جدران المعابد).

ثم إن الإنسانية استخلصت لنفسها، من طول

في أمثال العرب عن الكلب وما أضافوه إليه، صور كثيرة لوجوه الحياة في مجتمعهم، تمثل تقاليدها المرعية وأسلوب حياتها

مخالطتها الحيوان، مجموعة من الرموز الشائعة، جسّدتها فيه: فالوفاء للكلب، وحب الأذية للعقرب، والطيبة للحمار، والذكاء للجُرَذ، والدَّأب للنملة، والحزن للحمامة. وعن طريق الحيوان أوصل الإنسان بعض ما في نفسه. فقد قالوا مثلاً: إن ابن المقفع رمى، من وراء ترجمته لكتاب (كلية ودمنة) إلى التعريض بحكم أبي جعفر المنصور، وما وقع فيه، في مطلع الدولة العباسية، وترسيخ سلطانها من الجور وملاحقة المشبوهين من رجال الدولة الأموية الذاهبة.

وقالوا أيضًا(٧): إن رجلاً، في بعض مراحل العصر العباسي، اسمه أبو بكر العلاف (ت ٢١٨هـ)، كان له غلام يحبه، فهويَ هذا الغلام جاريةً من جواري الوزير علي بن عيسى (ت ١٩٥هـ)، ففطن به الوزير فقتله وقتلها معه، وسُلخا وحُشيت جلودهما تبنًا، ولم يجرؤ أبو بكر على رثائه (أو رثاء ابن المعتز في عهد المقتدر قاتله، أو ابن الفرات، في أقوال أخرى)، فرثى هرًّا فقده (ذبحه جيرانه، إذ كان يدخل أبراج حمامهم ويأكل فراخها) في قصيدة طويلة مشهورة، مطلعها:

يـا هـرُّ فـارقـتَـنـا ولم تَـعُـد
وكـنـتَ فـيـنـا بـمـنـزل الـولـدِ





وجاء فيها مثل قوله:

ألم تخف وثبة الزمان كما
وثبت في البرج وثبة الأسد!
عاقبة البغي لا تنام، وإن
تأخرت مدة من المدد!
أردت أن تأكل الفراخ ولا
يأكلك الدهر أكل مضطهد(10)!

ثم إن صلة الإنسان بالحيوان صلة يقويّها الجنس، فكلاهما من جنس واحد. ولو نطق الحيوان كان إنسانًا. ولو استعجم الإنسان كان حيوانًا يمشي على اثنتين، مثل العصفور والديك والبطريق. ولأبي حيّان التوحيدي، في كتاب (الإمتاع والمؤانسة). كلمة يقول فيها: «إن أخلاق الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع الإنسان. وذلك أن الإنسان صفو الجنس الذي هو الحيوان، والحيوان، كدر النوع الذي هو الإنسان»!

فهكذا نرى في بعض الحيوان صفات نجدها في الإنسان، ونرى في بعض الإنسان صفات نجدها في الحيوان: ففي بعض الناس غدر الذئب. وفي بعضهم قدامة الحمار. وفي بعضهم صبر الجمل، وفي بعضهم ذكاء الجُرَذ، وفي بعضهم وداعة الحمَل. وفي بعضهم حرارة الثور. وفي بعضهم استكانة الدجاج. وفي بعضهم احتمال البغل!.

وقد حاول بعض كتّابنا وشعرائنا، منذ القديم. أن يتكلم هو بلسان الحيوان، ويحسّ إحساسه، على نحو ما نعرف من شكوى الناقة التي نهض بها صاحبها (المثقّب العبدي - ت نحو ٥٧٨م) في موعد السُرى، وهي لا تزال متعبة من طول الترحّل:

إذا ما قمتُ أرحَلُها(11) بليل
تأوّهُ آهة الرجل الحزين!
تقول إذا دَرَأتُ لها وَضيني(12)
«أهذا دينُه أبدًا وديني؟
أكلَّ الدهر حَلٌّ وارتحالٌ؟
أما يُبقي عليّ وما يَقيني(13)»!

وشكوى حصان عنترة وهو في قلب المعركة:

ما زلت أرميهم بغُرّة(14) وجهه
ولَبانه(15) حتى تَسَرْبَلَ بالدم
فازورّ من وقْع القنا بلبانه
وشكا إليّ بعبرة وتحمحُم
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى
ولكان، لو علم الكلام، مُكلّمي

وفي الشعر الذي رُوي عن بعض الرجّاز، أرجوزة يُلصق فيها الشاعر قلبه بقلب مطيّته فيتحسس حنينها واشتياقها من دون أن تنطق بهما، إذ تنوب الحركة عن الكلمة. فالموقف هنا عميق الصلة بالكلمة من حيث هي علامة بالصوت والدلالة معًا، وبذلك تقوم صلتها بالإنسان. على أنها هنا تتقدمه: تفصح هي عما يكتم هو:

دعِ المطايا تنسم(16) الجَنوبا
إن لها لنبَأً عجيبا
حنينُها، وما اشتكت لُغوبا(17).
يَشهد أن قد فارقت حبيبا



مـا حـمـلـتْ إلا فـتـى كئيبـا
يُسِرّ مما أعلنت نصيبـا (١٦)
لـو تـرك الـشـوقُ لـنـا قلوبـا
إذن لآثـرنـا بـهـنّ الـنُّـيـبـا (١٧)
إن الـغـريـب يُـسـعـد الـغـريـبـا

ويقوم الحوار الصريح، أحيانًا، بين الشاعر وحيوانه، على مثال الحوار بين النَّجاشي الشاعر والذئب الجائع العطشان، حين عرض عليه الشاعر أن يُشاطره طعامه، وقد لقيَه في طريق السفر، يعوي على ماء آسن:

فقلت لـه: يـا ذئـب، هـل لـك في فتًى
يـواسـي بـلا مَـنٍّ عـلـيـك ولا بُـخـلِ
فـقـال: هـداك الله لـلـرُّشـد! إنـمـا
دعـوتَ لمـا لم يـأتـه سَـبـعٌ قبلي
فـلـسـتُ بـآتـيـه، ولا أسـتـطـيـعُـه
ولاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فَضْلِ
فقلت: عليك الحوضَ، إني تركته
وفي صفوه فضلُ القلوص من السَّجْلِ (١٨)
فـطـرّب يـسـتـعـوي ذئـابًـا كـثـيـرةً
وعـدّيـتُ، كـلٌّ مـن هـواهُ عـلـى شُـغْـلِ

ونذكر من بعد حمامة أبي فراس الأسير في ديار الروم، وقد أثار هديلها شجنه، فترجمه في شعره، إذ الهديل في الموقف علامة بالصوت والدلالة أيضًا (١٩):

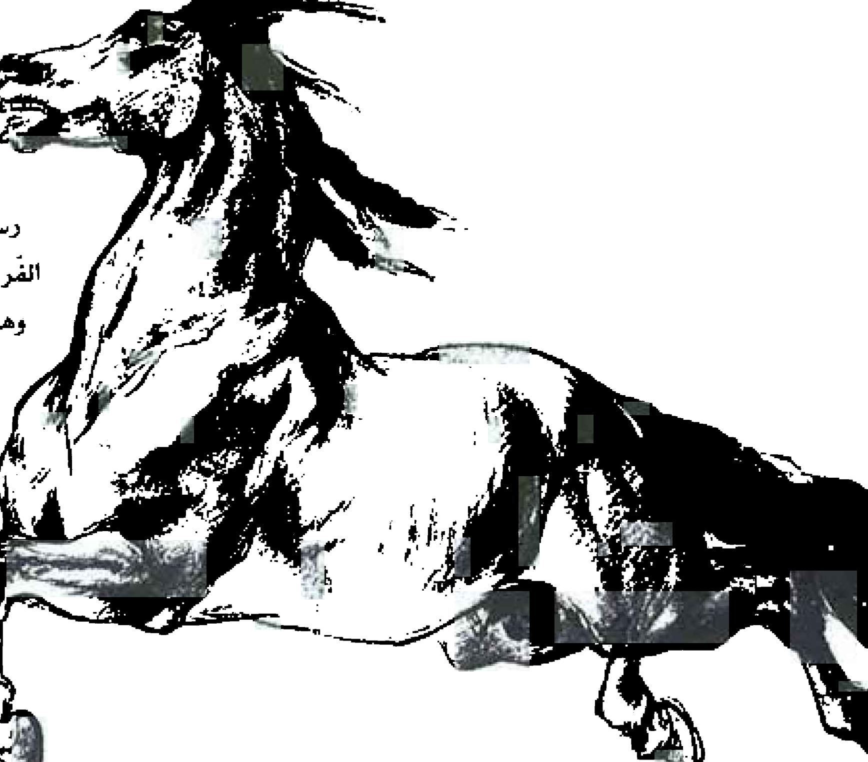
أيـضـحـكُ مـأسـورٌ وتـبـكـي طـليـقـةٌ
ويـسـكـتُ محـزونٌ ويـنـدبُ سـالي

وحصان المتنبي في شِعب بوّان الجميل، في الطريق إلى شيراز:

يـقـول بـشـعـب بـوّان حـصـاني:
أعـن هـذا يُـسـار إلى الـطـعـان؟
أبـوكـم آدم سـنّ المـعـاصـي
وعـلّـمـكـم مـفـارقـة الجـنـان!

ولو تتبعنا صور الحيوان المُنْطق في التراث، منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، احتجنا إلى وقت طويل، وإنما نكتفي - هنا - بالوقوف على بعض الرموز الكبيرة عند مَن أفرد كتبًا ورسائل، بتمامها، أو أجزاءً منها، للتعبير عن مقاصده فيها، على لسان الحيوان، على مثال أبي العلاء المعري، الذي امتلأت رسائله - وقد جمع فيها بين تعليم اللغة، في أبعد آفاقها، وبناء عوالمه الإبداعية من خلالها - بالحوار بين أنواع الحيوان، حتى أفرد إحدى رسائله الضخمة لحوار طويل أجراه على لسان الفَرس ولسان البغل (رسالة الصاهل والشاحج)، وهي، كما يقول المحقق (٢٠): «تمثيلية يؤديها شخوص من البهائم، موضوعها تصوير جَفْلة الناس من حوله، لما يُتوقع من نهوض (باسيل) ملك الروم لغزو حلب، وعَبَثِ أولي الأمر وتقصيرهم.

وفي نقطة اللقاء بين



الصاهل والشاحج وصفٌ لحال الشاحج، حتى لو أن الله بقدرته أنطقه، لجأر مما يكابد من عناء، ونصب، معصوب العينين، منطويًا على همومه وهواجسه».

ثم تصل به الحال أن يصنع بيتين من الشعر يرجو أن يحملهما «خاله» الصاهل إلى (عزيز الدولة) الذي كان يكرم الشعراء!

وفي رسالته الثانية الذائعة الصيت التي رد فيها على كتاب وصله من أحد كتّاب حلب، (ابن القارح)، وسماها «رسالة الغفران» يدور الحوار بين حيوان الجنة (وقد ينقلب بعضها إلى صورة آدمية، مثل: إوزّ الجنة وحيّاتها). وفي كتبه كتاب مفقود اسمه «القائف - من القيافة» وصلتْ منه، في عصر أبي العلاء نسخٌ إلى الأندلس،

صلة الإنسان بالحيوان صلة يقويها الجنس، فلو نطق الحيوان كان إنسانًا، ولو استعجم الإنسان كان حيوانًا

واقتطف منه الكُلاعي في كتابه «إحكام صنعة الكلام» نقولاً قليلة، وقال: إنه وضعه على مثال كليلة ودمنة، ولكنه «أكثر منه ورقًا وأفسح طلَقًا (...)، وأطيب شميمًا وعبَقًا». وفي «رسالة الهناء» أنطق الأسد والفأر والعصفور، وقال كلمته الدالة على قدرات المخيلة لديه: «ويجوز أن يُنطق الله جبال الروم، ويضع على لسانها قولاً» وفي كتابه «سجع الحمائم» يضع، على ألسن حمائم أربع، كلامًا في العظة والحثّ على الزهد، (وهو في أربعة أجزاء، ومن المؤسف ألا يصل إلينا)، على مثال كتابه «عظات السُّوَر» الذي يُنطق فيه السورة بالشكوى من شذوذات اللغة فيها، و«رسالة الملائكة» التي حاور فيها (رضوان) حارس الفردوس، وأعلن الحاجة إلى تعليم أهل الجنّة العربية!

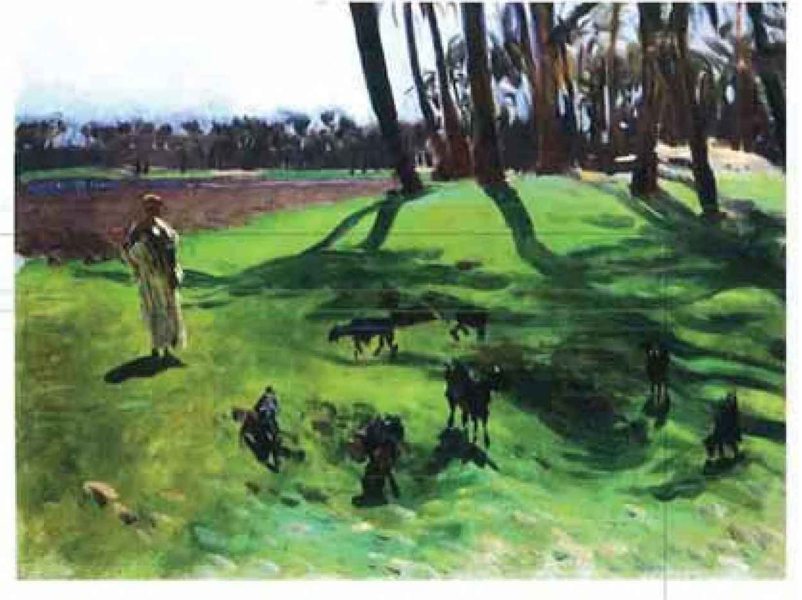
كَلَفٌ بإضفاء الروح على الأشياء، والنُّطق بلسان الحيوان، وغيره، تحدوه مخيِّلة نشيطة، تفسح له أفقه في الداخل، تعويضًا من ظلام الخارج المقفل، مما تشير إليه صور الليل والصحراء المرددة في شعره.

وكذلك الرافعي الأصم، في أيامنا، الذي أدار، في (وحي القلم) حوارًا بين قِطّين، وصاغ حكايات على مثال الحكايات في كليلة ودمنة. وكذلك الدكتور إسحق موسى الحسيني الذي كتب «مذكرات الدَّجاجة» العاقلة التي نادت بالسِّلْم، والكارثة الفلسطينية على الأبواب (١٠)!

ومثل (أمين نخلة - ت ١٩٧٦م) في كتاب «المفكرة الريفية» في ما سماه «صلاة العنز في الريف»:

ربِّ! سجدتُ لك على ركبتيّ، وخفضت قرنيّ هذين من فرْط الخَشْية، فامسح الأرض عشبًا وورقًا أخضر، وأطلقْ حياض الماء واملأ الصهاريج، ومُدَّ بساط الظل في أذى الهواجر.

ربِّ! واجعل قلوب الرُّعيان تخفق من رحمة، وعصيّهم





تملّس من ليان، وقصبات مزاميرهم تسيل من طرب.

ويارب! أسألك بالغمام إذا نهض، والغيث إذا سقط، وبهذه اللّجج من الخضرة، ألا ترسل بي إلى المدينة!

وفي الأدب الشعبي ـ على تنوع أشكاله ـ صور كثيرة من إنطاق الحيوان، لعل أقربها إلينا (الموال الشرقاوي) الشائعة نماذجُه في شمال سورية وأريافها، على مثال قوله:

كم نُوب اخش الدار ولّقى خُلّتي ماهن
ورجعت باكي ودمعي غرّق الماهن (٢٥).
جيت اشتكي يا طير يالتورد على ماهن
بلّغ سلامي لَحباب القلب والروح
جاوَب ليَ الطير وقال لي: يا معنّى روح
يكفي فؤادَك ضَنى، حاجه تجي وتروح
أحباب قلبك غدُوا ماهنْ على ماهنْ!

الغرض مما قلناه، في الفقرتين السابقتين، عن إنطاق الحيوان في تراثنا الأدبي، الإشارةُ إلى بعض ما رمى إليه كاتبوه من الشعراء والكتّاب: من استخلاص العظة والعبرة، أو الاحتيال على إيصال ما في النفس، في بعض مراحل الشدة أو القهر والجور، أو استيفاء النزعة الفنية في صياغة الفكرة، أو تصوير الإحساس، على نحو يُعمّق أثرهما في المتلقي، ويقوّي قدرته على الاستجابة، أو الميل إلى الهزل حيث يثقل الجدّ على النفس.

ونقف، من الشعر، عند شوقي الذي لا بد أن يكون قرأ ـ وهو في فرنسا ـ أمثال: لافونتين: Fables التي صاغها على ألسنة الحيوانات، مثل: خرافة الطيرين، والحمار والكلب، والحصان والحمار، والأرنب والسلحفاة، والحصان والذئب. وصاغ بعضها على ألسنة الناس والأقدار مثل: الحطّاب والموت، والذئب والصياد، ولا يبعد أن يكون قرأ أيضًا خرافات الحكيم اليوناني إيزوب، فرأى أن يضع في الشعر العربي، ما يشبهها.

فنظم جملة من القصائد التعليمية الصغيرة، بلغت حدًا من الشهرة جاوزت فيه - على الأغلب - ما كان شوقي نفسه ينتظره لها، فانتشرت، وردّدتها الناشئة العربية في مدارسها، وتعلمت منها الحكمة والولاء للأرض، والوفاء للوطن وأهله.

ما أدري: أكان شوقي يعرف أن في الشعر العربي القديم شعرًا نُظم على ألسنة الحيوانات، وحكى حكاياتها، مثل شعر وزير السلاجقة (ابن الهبّارية - ت ٥٠٩هـ) الذي نظم فيه حكايات (كليلة ودمنة)، وشعر المقطّعات الهزلية في العصر العباسي، وبعض شعر البرذَوْنيّات الذي نُظم في رثاء البراذين (٢٠) وعلى ألسنتها أحيانًا. ولكنه، في ظني، لم يقصد إلا إلى محاكاة لافونتين، على نحو ما قصد، في مسرحياته، إلى محاكاة المسرحيات الكلاسية (مسرحيات راسين Jean Racine ١٦٣٩ - ١٦٩٩م، وكورني Pierre Corneille ١٦٠٦ - ١٦٨٤م بخاصة).

فلنقرأ - مثلاً - واحدًا من رائعته التي سماها «ولد الغراب»، متوقفين عند دقة الوصف وجمال التصوير، في مطلعها، وحلاوة الإيقاع في اختيار المفردة وبنائها في الجملة الشعرية:

في بعض الناس غدر الذئب، وفي بعضهم فدامة الحمار، وفي بعضهم صبر الجمل، وفي بعضهم ذكاء الجُرَذ

وممهّد في الوكر من
ولد الغراب مُزَقَّقِ
كرُوَيْهبٍ متقلّسٍ
متأزّرٍ متنطّقِ
لبس الرّماد على سوا
د جناحه والمفرقِ
كالفحم غادر في الرما
د بقيّةً لم تُحرقِ
ثلثاه منقار ورأ
س، والأظافر ما بقي
ضخم الدماغ على الخلـ
ـوّ من الحجا والمنطق

ثم حين رضي عن استيفاء التقديم وجمال التصوير، ووقف بباب الواقعة، ابتدأ الحكاية على نحو سريع، فدفع قارئه في صلب الحدث:

من أمه لقيّ الصغيـ
ـر من البليّة ما لَقِي!
جلبت عليه ما تذو
د الأمهاتُ وتتقي
فُتنت به فتوهمت
فيه قُوى لم تُخلقِ
قالت: كبرتَ فثِبْ كما
وثب الكبار وحلِّقِ
ورمتْ به في الجو لم
تحرِص ولم تستوثقِ
فهوى فمُزِّق في فنا
ء الدار شرَّ مُمزّقِ

ثم انعطف هنا، في لمسة مأساوية توشك أن تكون لها ضجّة ملحمية، فوصف ما أثار سقوط الصغير الجميل،

في السماء، من الردود المروّعة:

وسمعتُ قاقات تردّ
د في السماء وترتقي
ورأيت غربانًا تفرّ
قُ في السماء وتلتقي
وعرفت رنّة أمه
في الصارخات النُّغّق
فأشرتُ فالتفتت فقلـ
ت لها مقالة مشفقِ:
أطلقته. ولو امتحنـ
ت جناحه لم تُطلقي
وكما ترفّق والدا
ك عليك لم ترفقي...!

على هذا المثال صاغ شوقي حكايات الحيوان، فوضع على ألسنتها، كما فعل إيزوب ولافونتين، وابن المقفع، وحكماء الهند، وشعراء آخرون، ما أراد أن يقول بلسانه للناس جميعًا، في رعاية النشء، والتمسك بالوطن، على نحو يفوق، في تأثيره الخطاب المباشر، مثل قوله على لسان إحدى عصفورتَي الحجاز:

عصفورتان في الحجا
ز حلّتا على فننْ
في خامل من الريا
ض لا نَدٍ ولا حسنْ
بينا هما تنتجيا
ن سَحَرًا على الفننْ
مرّ على أيكهما
رُوحٌ سرى من اليمن
حَيّا وقال: «دُرّتا
ن في وعاء مُمْتَهن
لقد رأيتُ حول صنـ
عاءَ وفي ظل عَدَنْ
خمائلاً كأنها
بقيّة من ذي يَزَن»[١١]
الحَبُّ فيها سكّر
والماء شهدٌ ولبَنْ
لم يرها الطير ولم
يسمع بها إلا افتتنْ
هيا اركباني نأتها
في ساعة من الزمنْ».
قالت له إحداهما
والطير منهنّ الفطنْ:

المراجع والهوامش

١. الهمني.
٢. سورة النمل: ١٨.
٣. يعني: أطلع على ما لم يطّلع عليه سليمان.
٤. بلقيس ملكة سبأ.
٥. سورة النمل: ٢٠ - ٢٣.
٦. سورة الأنعام: ٣٨.
٧. انظر مثلاً ما يقوله الجاحظ عنه في (كتاب الحيوان).
٨. ترجمه، في القرن الثاني للهجرة، ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) عن البهلوية، ولم يبق في يد الإنسانية إلا صورته العربية. وقد سمي الكتاب باسم أخوين من بنات آوى (كليلة ودمنة) وردت أخبارهما في بابين فقط من أبواب الكتاب (باب الأسد، والثور، وباب الفحص عن أمر دمنة)، ولا يبعد أن يكون ابن المقفع ترجم بعضه، وأضاف إليه حكايات وحكمًا متفرقة التقطها من حكم الفرس، أو الهند، أو اليونان، على أن نسبة الكتاب إلى الهند تؤيده الأخبار والأسماء ومجريات الأحداث، جُمعت متفرقاتها وترجمت إلى الفارسية، وأضيفت إليها حكايات

«يا روح! أنت ابن السبيـ

ل ما عـرفـتَ مـا السَّكَن

هـبْ جنـة الخُـلْـد اليمن

لا شيء يعدل ذا الوطنْ».

إن في صلة الإنسان بالحيوان، وإنطاقه بهمومه هو، وهموم الإنسان، ومحاورته فيها، وعيًا عميقًا باتساع أفق الحياة، وإغناءً لإحساس الإنسان بقرب ضفتيها إحداهما من الأخرى، وإدراكًا لمعانيها وحقائقها، وتمكينًا لمشاعر الإخاء بين كائناتها جميعًا، يعين على التخفيف من نزوع الإنسان إلى القطيعة عنها، والاستعلاء عليها، ويقوّي نزوعه إلى تملّي صور الجمال في عوالمها، وفي اغتناء بتجارب كل ذي روح، وتعزيزٌ للمثل الإنسانية ومطامحها في تقوية القدرة على المحبة والألفة الجميلة، وكُره الشرّ والختْل والأثرة. وفيها، بعد هذا، تلوين لأساليب الخطاب الأدبي وإرهاف للغته، وتشقيق لطُرقه في التخييل والتمثيل والسرْد والحوار والتصوير، يدني كاتبه من عالم غنيّ بالغرائب، ويدني المتلقي، صغيرًا كان، أو كبيرًا، من الجمع بين الفائدة والمتعة، ويشدّه إليه.

عالم، كما رأينا، شاعت صوره في جميع الثقافات، وعرفته الحضارات القديمة والحديثة.

وفي أدبنا نماذج كثيرة منه بلغت من غنى المضامين وتنوع الأشكال، وحققت من صفات الإبداع الفني، ما أصبحت صورها معها أمثلة تنسج الأجيال على منوالها، في التعبير عن همومها ومطامحها.

أخلاقية أخرى كتبت على ألسنة الحيوان (لعله الطبيب برزويه كما ورد في الكتاب أو غيره). وفي الفهرست للنديم خبر يذهب إلى أن مترجم الكتاب عن الهند (السنسكريتية) راهب سرياني اسمه (بودا) تُرجم عنها إلى الفهلوية، وعنها نقله ابن المقفع إلى العربية. ولكن الرواية التي نقلها الكتاب (كسرى أنو شروان أنفذ برزويه الطبيب إلى الهند لجلب الكتاب) تذكرها مصادر أخرى لعلها أخذتها عن الكتاب. سمعة الكتاب مدوية، دخل تراث العالم وخالط ثقافاته، وهو أقوى الآثار العالمية التي أنطق فيها الحيوان، وفيه وفي رسائل ابن المقفع الأخرى (رسالة الصحابة، الأدب الكبير، الأدب الصغير) تتجلى بواكير النثر الفني في العربية، وإليها يستند من ينسب نشأته إليه.

٩. انظر نكت الهميان للصفدي (١٣٩).

١٠. على أن أناسًا لا يذهبون في تفسير الرثاء مذهب الرمز، حتى إن الصفدي (نكت الهميان ١٤٣) يقول: «وأنا شديد التعجب ممن يزعم أن هذه القصيدة رُثي بها غير هر! فإن تقريبها من الرمز يقتضي أن يصف صاحبها بالقدرة على التخفي، واكتمال الصنعة الفنية، إذ لا نقرأ فيها غير صفات الهررة!

١١. ادفعها إلى الرحيل.

١٢. بزأ: دفع أو أقام. والوضين: حزام الهودج، يشدّه استعدادًا للسير، والدين هنا: العادة.

١٣. يحميني.

١٤. بقعة البياض في الجبين.

١٥. اللَّبان: الصدر.

١٦. نشم رائحة الجنوب.

١٧. اللغوب: التعب.

١٨. يحس شيئًا من الحنين الذي تحسه المطية.

١٩. الناب: الناقة المسنّة.

٢٠. القلوص: الناقة الشابة، والسّجل: الدلو.

٢١. في أساطير العرب أن الحمامة تبكي فقد زوجها الهديل، إلى آخر الزمان.

٢٢. بنت الشاطئ

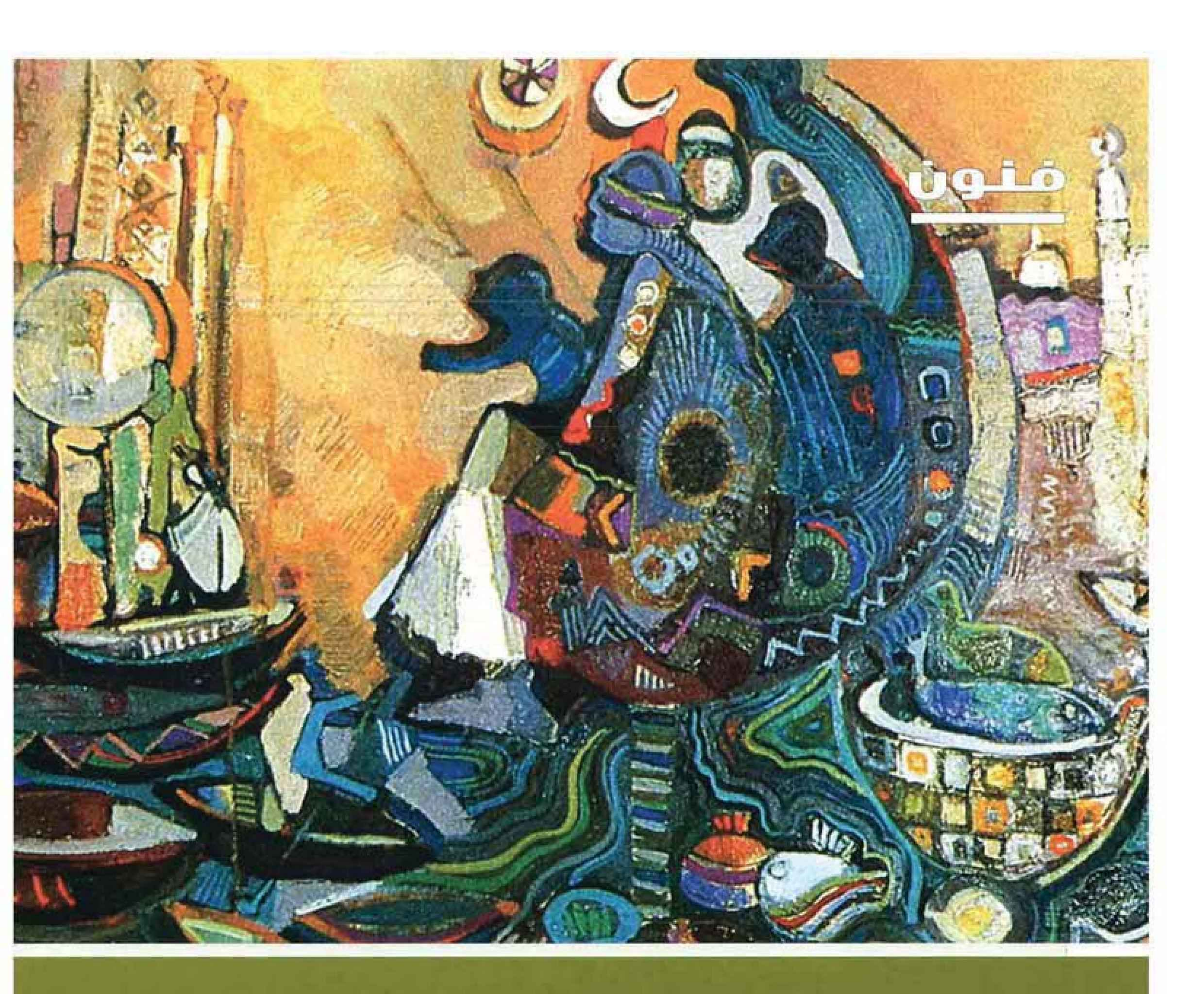
٢٣. الطلق: الشاو.

٢٤. أنكر لي، في حديث خاص، أن يكون قصد القصية في الكتاب، وأن تكون خطرت له معانيها على الإطلاق، وهو يكتبها.

٢٥. الكتف.

٢٦. دواب الأحمال الثقيلة.

٢٧. (زمن الثورة بالأحباش، ٥٧٠م).

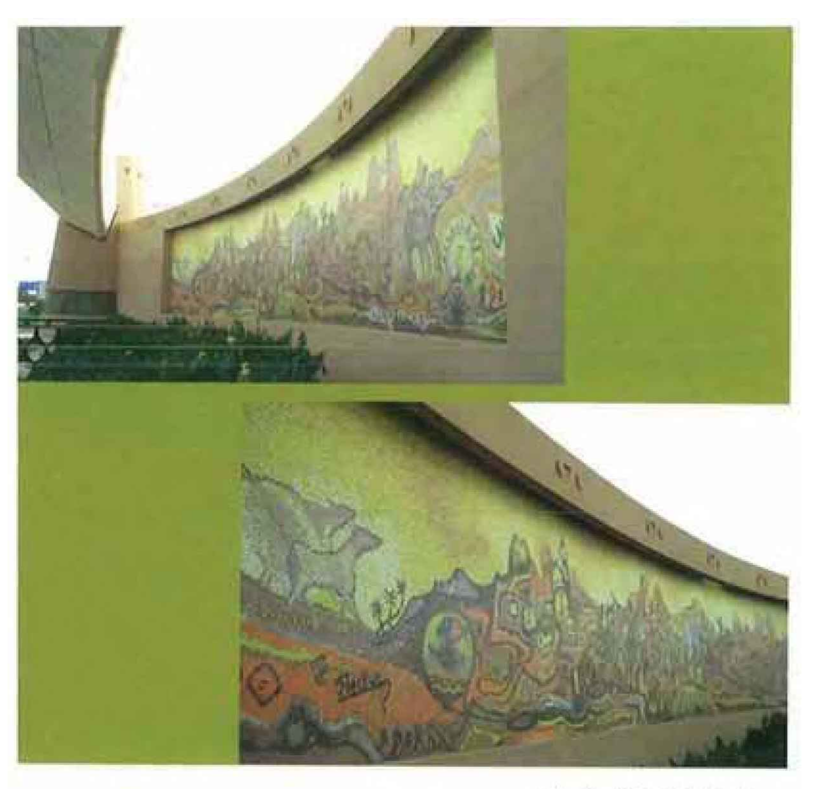


الرضوي..

اقتران الأصالة بالمعاصرة

علي عبدالله مرزوق
الرياض - السعودية

من أحياء مكة الشعبية التي ولد فيها في سنة ١٣٥٠هـ، وتوفي سنة ١٤٢٧هـ انطلق الدكتور عبدالحليم عبدالرحيم رضوي نحو العالمية بنصوص بصرية تمثل التراث، وتعشق الماضي.


مدخل مطار الملك خالد بالرياض

رائد الفن التشكيلي

عشق الرضوي الفن التشكيلي منذ نعومة أظفاره، فكانت مدرسته الابتدائية أولى انطلاقاته، وبعد تخرجه في الثانوية العامة في عام ١٩٥٨م، التحق بأكاديمية الفنون الجميلة في روما؛ لدراسة هندسة الديكور، وتخرج فيها في سنة ١٣٨١هـ، فكان أول طالب سعودي يوفد لدراسة الفن التشكيلي في الخارج، ثم بالأكاديمية العليا للفنون الجميلة في العاصمة الإسبانية مدريد في سنة ١٣٩٩هـ، ثم عاد بعدها حاملاً درجة الدكتوراه محترفاً الفن التشكيلي، فتفتحت له أبواب النجاح، وتوالت مشاركاته التشكيلية الجماعية، ومعارضه الشخصية في عدد من العواصم العربية والعالمية، فعرض في كل من البرازيل، وسويسرا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبلجيكا، وهولندا، وإيطاليا، وإسبانيا. وخلال هذه المدة أظهر الرضوي تأثراً ملحوظاً برموز التشكيل العالمي، وتنقل خلال مشواره الفني بين اتجاهات ومدارس تشكيلية متنوعة، إلى أن استقرت فرشاته في المدرسة «التعبيرية».

ومع تتلمذه في أكاديميات عالمية إلا أن ذلك لم يفقده هويته، إذ نشتم في أعماله رائحة التراث، وأصالة الإبداع، فنصوصه البصرية دوائر متحركة، وخطوط متقاطعة، وألوان حالمة وعصرية، تحتفي بعبق الماضي.

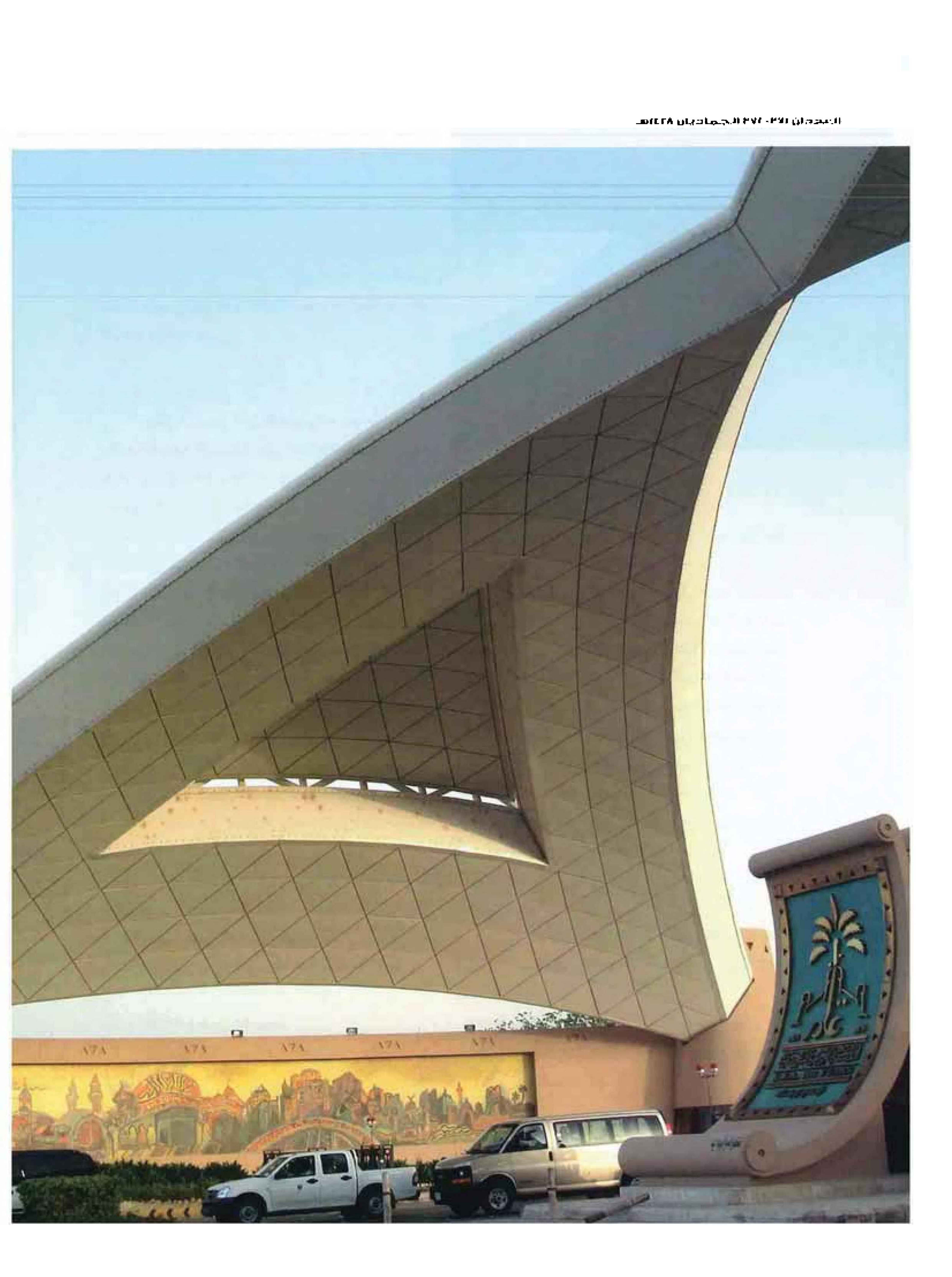
دفء الأزقة وحنان البيوت

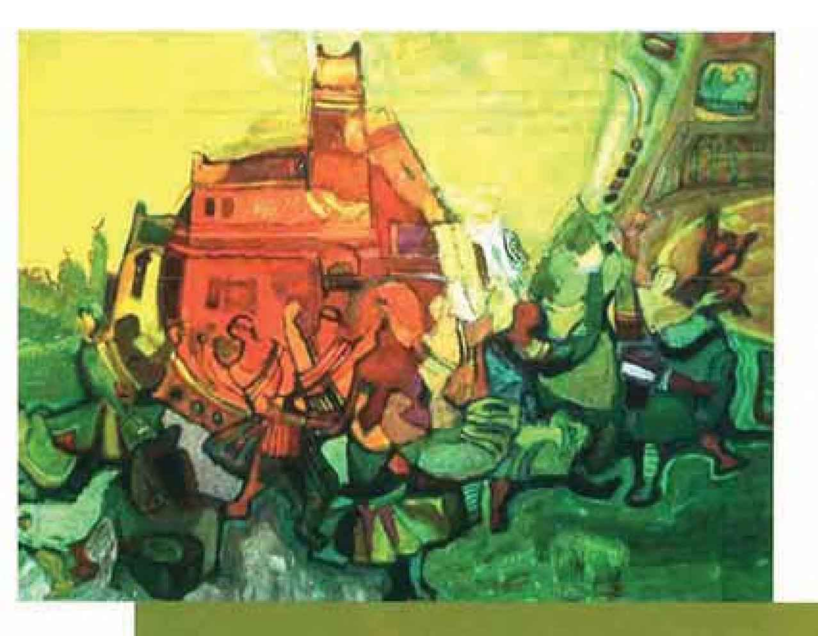
وبينما أشكاله تبرز إلى الأمام تارة، وتنغمس في الأرضية تارة أخرى، مما أوجد نوعاً من الوحدة والألفة بين الشكل والأرضية، نجد موضوعاته تجسد التراث بكل أشكاله وصوره (حي شعبي، رقصة، منازل، الصياد). كلها عناوين وأسماء موضوعات تحيلنا إلى دفء الأزقة، وحنان البيوت التقليدية، التي تُظهر الفرح - دائمًا - عندما كانت تكتسي أجمل (الموتيفات) الزخرفية، التي تتراقص على جنباتها في إيقاع موسيقي ينسجم مع إيقاعات ألوانه وتقاسيمها، وكأننا نشاهد فلماً وثائقياً عن المكان والزمان، اللذين عاشهما أجدادنا باحتفالاته ورقصاته الشعبية، كل ذلك صيغ وفق (بانوراما) «تعبيرية»، فاستطاع بذلك أن يزاوج بين الأصالة والمعاصرة، أصالة الماضي وعصرية الفن الحديث بمدارسه واتجاهاته الفكرية المتعددة.

شخوص تقرأ واقعنا

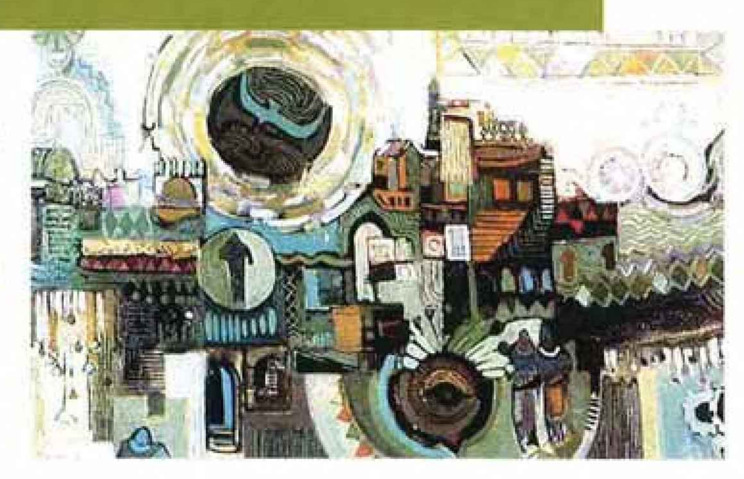
تعبيريته جعلت شخوصه تبدو غير واضحة المعالم، غير أننا حينما نقترب منها نعرفها جيداً، لكونها تقرأ تاريخنا وتصف واقعنا.

إبداعاته تحمل هم الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، والعمل على رسم هوية محلية تنبع من معطيات





أظهر الرضوي تأثراً ملحوظاً برموز التشكيل العالمي، وتنقل خلال مشواره الفني بين اتجاهات ومدارس تشكيلية متنوعة



التراث من خلال دراسة معمقة له، وتحليل لمفرداته. ومن ثم إعادة بنائه، وفق صيغ وتراكيب بنائية حديثة.

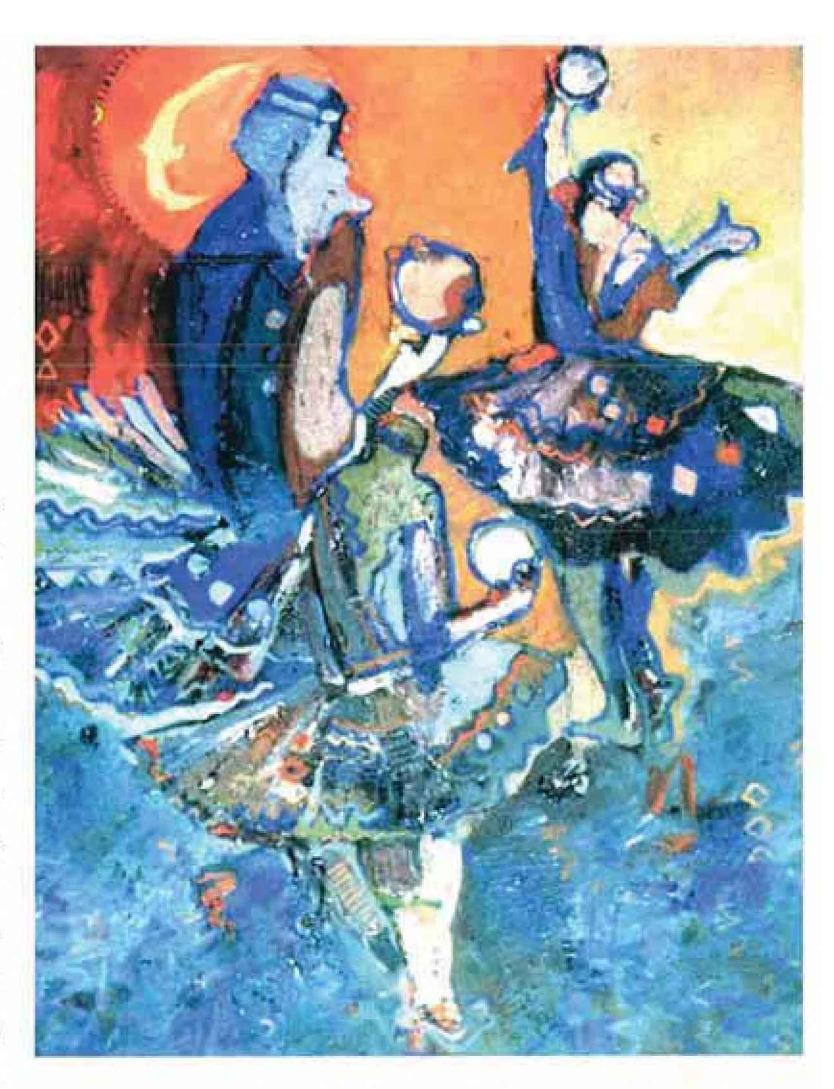
رسالة السلام

أما (البؤس، أين الضمير، القدس يناديكم، الشهادة)، فكانت عناوين لأعمال تصور المآسي التي تتعرض لها بعض البلدان الإسلامية، بينما حمل آخر معارضه التشكيلية «الفن من أجل السلام» رسالة السلام، وكان يطمح أن يجوب بقاع العالم، لكن القدر سبقه؛ لتبقى الرسالة خالدة على مر الزمن.

أعمال خالدة

كان الرضوي من أوائل المساهمين في تجميل مدينة جدة بلوحة جدارية ملونة بالزيت الأزرق ومشتقاته، تلاها مجسمان صغيران لا يزيد ارتفاع أحدهما على مترين ونصف المتر مع القاعدة. كان يعمل بيديه رافضاً الاستعانة بالمؤسسات والشركات التي تنفذ عادة مثل هذه المشروعات الفنية.

أما أول أعماله الكبيرة فكانت أمام وزارة الخارجية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي سنة ١٣٩٩هـ وهي لوحة أسمنتية بواجهتين. كتب على الوجه الأول الآية ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ تحيط بها أغصان زيت الزيتون رمزاً للسلام والمحبة. وعلى الوجه الثاني كتب ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً﴾ تحيط بها أمواج البحر وطيوره رمزاً للصفاء والمودة.



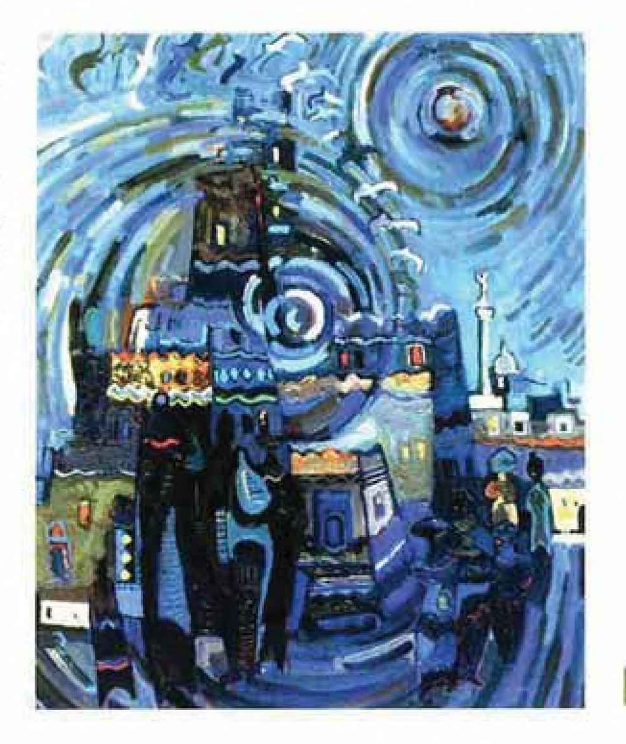
وفي محاولة منه للدخول إلى عالم تنسيق المواقع، صمم «حديقة الشعراء» ونفذها في سنة ١٣٩٤هـ بجوار ميدان البيعة، دمج فيها التشجير، والإضاءة، وممرات المشاة، إلى جانب أشكال جمالية متنوعة، وتعد من أوائل مشروعات تنسيق المواقع والحدائق العامة.

ثم نفذ بعد ذلك ٢٠ مجسماً جماليًا في جدة نذكر منها: جرة الفول، وجدة الماضي والحاضر، والمحبرة، وتوازن العلم والفن والحياة، والطيور، والكرة والقدم، والكرة ودائرة المعرفة، والمنارة البيضاء.

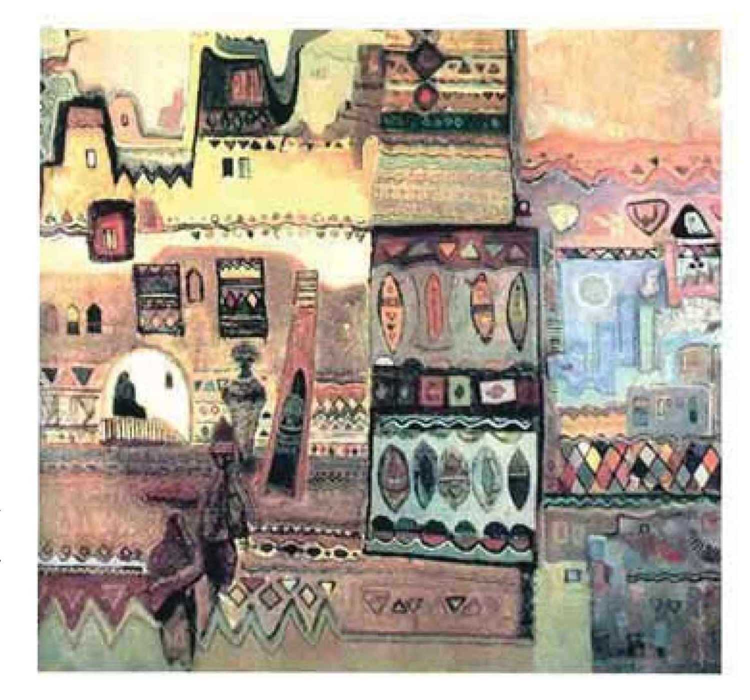
وأنت تبحر في نصوص الرضوي التشكيلية تشعر بنوع من الألفة تأسرك، وتأخذك نحو الداخل بفعل تداخلات دائرية، تتكرر في لوحاته المسندية، وتجذبك من دون أن تشعر إلى الغوص في أعماقها، كأنك آثاري تنقب في البحر عن بعض الآثار الثمينة الغارقة.

عالم المغناطيس الجذاب

هذه التجربة بكل أبعادها نستطيع أن نطلق عليها «الدائرية» لكونها تتشكل بفعل مجموعة من الدوائر التي تتكرر في أعماله، وتتحرك في اتجاهين مختلفين: تارة من الداخل إلى الخارج والعكس، وتارة أخرى نجدها تتحرك حول محورها في تنافر، وتجاذب يتوافقان مع خاصية



كان الرضوي من أوائل المساهمين في تجميل مدينة جدة بلوحة جدارية ملونة بالزيت الأزرق ومشتقاته



«المغناطيس»، التي يقول عنها الرضوي: أحاول أن أبحث عن عالم المغناطيس الجذاب عن طريق المزاوجة بين الحركة والشحنات الانفعالية، وبين المشاعر والأفكار، التي تجعل الإنسان يتطلع إلى السلام والحب اللذين يوحدان العالم الإنساني.

أما التشكيلي عبدالرحمن السليمان، فيفسر الدائرة في تجربة الرضوي بقوله: «بدت أعماله منذ عام ١٩٨٧م تبحث في معطيات الدائرة الواحدة، فلوحة السعادة مثلاً من الأعمال التي يطغى فيها الجانب الأخضر، ودرجات الأزرق، وعنصران آدميان يقفان أمام دائرة كبيرة لعلها الحياة، ودائرة أخرى تصغرها تتشكل فيها إيحاءات آدمية، أو زهور بدت اللوحة أكثر ديناميكية، ليستمر باحثاً من خلال الدائرة التي استقلت عن كونها

تحمل إبداعات الرضوي هم الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، والعمل على رسم هوية محلية

خلفية، وظهرت مع خيول ومبان وطيور وغيرها»[1].

كما تطرق إلى أعماله نقاد عالميون مبرزون، وصنفه عفيف بهنسي في كتابه ضمن رواد الفن الحديث في البلاد العربية.

وقد أقام أكثر من ١٠٠ معرض شخصي في عدد من البلدان العربية، والعواصم الأوربية، إضافة إلى مشاركاته في كثير من المعارض الجماعية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وله عدة أعمال جداريات، أهمها ما هو موجود في مطار الملك خالد الدولي في العاصمة الرياض، الذي صمم كذلك بوابته، ومطار الملك فهد الدولي.

اختير رئيساً لرابطة الفنانين العرب في مدريد، واقتنت أعماله متاحف الفن الحديث في إسبانيا، والأردن، والمغرب، وتونس، ومتحف زيورخ، إضافة إلى صالة الفن بسان ماركو في روما، وحصل على كثير من الجوائز أهمها: وسام القائد من البرازيل، وأصدر كتاباً بعنوان (قضايا معاصرة في الفن التشكيلي والفكر الاجتماعي)، وآخر بعنوان (الحياة بين الفكر والخيال).

المراجع

١- مسيرة الفن التشكيلي السعودي. عبدالرحمن ابراهيم السليمان. الرئاسة العامة لرعاية الشباب. وكالة شؤون الشباب. الادارة العامة للنشاطات الثقافية. ١٤٢١هـ.

٢- قصة الفن الحديث. محمد سعيد فارسي. ط١. جدة. دار البلاد للطباعة والنشر. ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣- رواد الفن العربي الحديث. عفيف البهنسي. دار الرائد العربي. بيروت. لبنان. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص١٧

٤- مختارات من أعمال الفنانين التشكيليين في دول الخليج العربي. مكتب التربية العربي لدول الخليج. المملكة العربية السعودية. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

استطلاع



حمص

أم الحجارة السود

هشام إسماعيل عدرة

حماة - سورية



ذكرها الرحالة العربي ابن بطوطة في كتابه: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار». فقال: «سافرت إلى مدينة حمص، وهي مدينة مليحة. أرجاؤها مؤنقة، وأشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة، وأسواقها فسيحة الشوارع. وجامعها مميز بالحسن الجامع. وفي وسطه بركة ماء. وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم. وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله ورسوله. وعليه زاوية ومسجد. وعلى القبر كسوة سوداء. وقاضي هذه المدينة جمال الدين الشريشي من أجمل الناس صورة. وأحسنهم سيرة».

أما ابن فضل الله العمري فقد ذكرها في كتابه: (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) فقال: «كانت حمص معظمة عند الروم. كرسي ملكهم. ولم يزل يشار إليها بالتعظيم. وهي في وطاة ممتدة على جانب العاصي في شماله. والمدينة مبنية بالحجر الأسود الصغير. وبها الحجر الأبيض أيضاً. لكن الأكثر هو الأسود. ويستدير لها سوار. وبها قلعة لا تمنع. وحمص تتلو إسكندرية مصر في ما يعمل فيها من القماش الفائق على اختلاف الأنواع. وحسن الأوضاع».

... إنها مدينة حمص التي تقع في قلب المنطقة الوسطى من سورية. وتبعد عن دمشق العاصمة ١٦٠ كيلو متراً. وتتوسط المدن السورية. إنها جارة العاصي. وأمامها الفتحة البحرية الشهيرة التي تسمح بدخول هواء البحر الأبيض المتوسط الرطب. فيحيل طقسها ومناخها إلى غاية في الروعة والجمال..

أغرت بمناخها البطل الفاتح خالد بن الوليد فسكن فيها أواخر حياته وتوفي على أرضها. ودفن في تربتها. فاقترن اسمها باسمه. مدينة ابن الوليد!.. واشتهر بناؤها بطراز خاص. وشكل مميز يغلب الحجر الأسود. فسميت مدينة حمص: أم الحجارة السود!..

حمص ذات تاريخ عريق منذ آلاف السنين، وكانت المحطة الثالثة في الأرض السورية على طريق الحرير

تاريخ حمص القديم والإسلامي

حمص: كانت إحدى الإمارات العربية التي قامت في بلاد الشام نحو مطلع القرن الثاني قبل الميلاد: كما البتراء وتدمر. وهي ذات تاريخ عريق منذ آلاف السنين. وكانت المحطة الثالثة في الأرض السورية على طريق الحرير الذاهب إلى البحر الأبيض المتوسط بعد دورا أوروبوس وتدمر. والدور المميز الذي قامت به حمص يبتدئ من الشخصيات التاريخية التي أنجبتها المدينة. وحكم بعضها

الإمبراطورية الرومانية. وفي عام ٢٩٥م قسمت سورية إداريًا إلى أربعة أقسام وهي: حمص، وصور، وإنطاكية، وأفاميا. كان ذلك في بداية عهد البيزنطيين. بعد ذلك حكمها العرب الغساسنة حتى عام ٥٨٢م. وفيما بين عامي ٦١١ و٦١٤م غزا شهر برز الساساني سورية، وبقي فيها عشرة أعوام إلى أن حاربه هرقل فيما بين عامي ٦٢٢ و٦٢٧م.

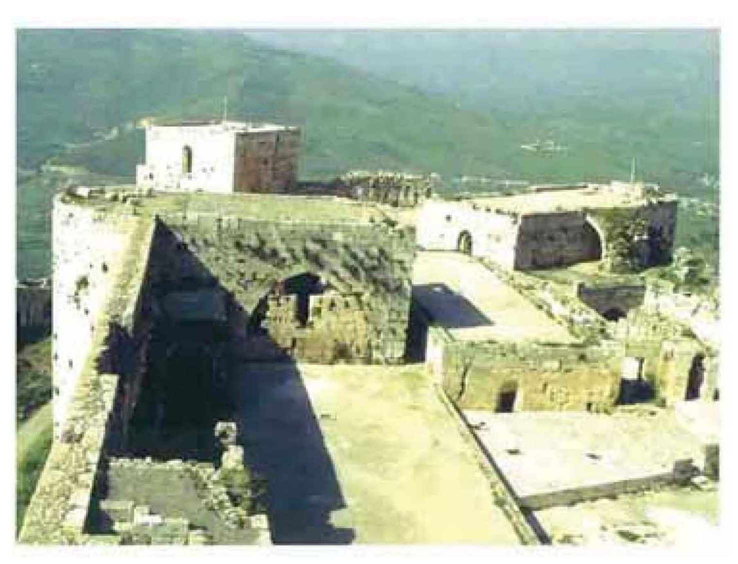
الفتح الإسلامي لحمص

في عام ٦٣٦م من تاريخ حمص، كانت حمص على موعد مع الفتح الإسلامي لها بقيادة خالد بن الوليد. وكانت راية ميسرة العبسي أولى رايات المسلمين على مشارف حمص. وقد دخل العرب المسلمون مدينة حمص من دون قتال في السنة الـ ١٥هـ، ولكن بعد اعتصام بالأسوار، ودفاع من قبل حاميتها البيزنطية القوية دام سنتين بعد سقوط دمشق. وصالح أهل حمص أبا عبيدة بن الجراح، والسمط بن الأسود اللذين نزلا بباب الرستن من سورها، وحلت بها قبائل من طيئ، وجمر، وكلب وهمدان. وقسمت سورية أربعة أجناد عسكرية هي أجناد حمص، ودمشق، وفلسطين، والأردن.

أقام في حمص عدد من الصحابة، ووافت المنية بعضهم، فضمت تربة حمص رفات سيف الله خالد ابن الوليد، كما ضمت أضرحة ومقامات نسبت إلى عبدالرحمن بن جعفر الطيار، وعمر بن عبدالعزيز، وأبي عمر الغباري، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وكعب الأحبار، وعبدالله بن مسعود.

في العهد الأموي تركز اهتمام الأمويين في أثناء حكمهم على تمتين صلاتهم بأبناء البادية من العرب الرحّل، فبنوا قصر الحير الشرقي كحصن ضخم، وقصر الحير الغربي في بادية حمص.. وقد تناقصت أهمية مدينة حمص تدريجيًا أيام الأمويين، وكذلك أيام العباسيين ضمن الدولة الكبرى، التي تهتم بالفتح وحماية الأطراف النائية، فأصبحت أخبارها أقل أهمية بالنسبة إلى المؤرخين. وخضعت حمص سنة ٣٢٣هـ/ ٩٢٤م لسيف الدولة الحمداني، وارتبطت بحلب حتى سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م، وكان أبو فراس الحمداني أحد ولاتها.

هاجمها البيزنطيون عدة مرات، وأحرقوها، ودمروا جامعها الكبير. وحكمها أمراء الجالية من بني مرداس. واحتلها الصليبيون مرتين. وفي عام ١١١١م احتلها عماد الدين زنكي بعد حصارها، وجعلها بعدئذ عاصمة لجيوشه؛ وذلك لأهميتها العسكرية في وجه الصليبيين. كما حكمها بعده ابنه نور الدين بن محمود الذي جدد بناء الجامع الكبير، وأعطاه اسمه (الجامع النوري الكبير). خلفه ابنه أسد الدين شريكوه الذي قصد مصر مع صلاح الدين لمحاربة الصليبيين، وبعدها آلت حمص إلى الأيوبيين سنة ٥٧٠هـ. وفي أيام المماليك استطاع أمير حمص (الأشرف) الانتصار على جحافل التتار سنة ٦٥٨هـ. ودخلها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢هـ. وبنى فيها مسجد خالد بن الوليد. بعد ذلك خضعت حمص للسلطنة العثمانية بعد عام ١٥١٦م، وعدّت أحد الألوية الخمسة المرتبطة بطرابلس.



حمص ومواقعها الأثرية

يذكر المؤرخ شمس الدين الدمشقي عن حمص ما يأتي: (من حسن بناء حمص أنه لا يوجد دار إلا وتحتها في الأرض مغارة، أو مغارتان وماء ينبع للشرب، وهي مدينة فوق مدينة)

وقد دل التنقيب العلمي الأثري أن بعضًا من هذه المغاور ليست إلا أقبية بيوت قديمة بني فوقها بعد أن تهدم بناؤها السطحي.

واكتشف في حمص كثير من الآثار، منها المقابر الأثرية التي وجد فيها مجموعة سرج، وأثاث جنائز، وكؤوس، (Calic)، وقوارير، وألبسة الميت، وفخاريات، واكتشف فيها أقراط ذهبية، وخيوط وأنسجة مذهبة، ونقود مصكوكة في حمص، وأنطاكية، والقسطنطينية، منها الرومي والبيزنطي والعربي.

وفي متحف حمص الوطني توجد آثار من العهود السورية القديمة، واليونانية، والرومانية، والعربية الإسلامية



مواقع أثرية تعكس حضارة عريقة

قلعة حمص والأوابد الأخرى

قلعة حمص على غرار القلاع الأيوبية والمملوكية المدنية في القرنين (١٢ و١٣) الميلاديين تعلو منحدرها الذي يحيط به الخندق أبراج مربعة وكأنها مدينة ملكية.

في حمص عدد من الصحابة، ووافت المنية بعضهم، وضمت تربة حمص رفات سيف الله خالد بن الوليد

مازال عمران أحدها في الشمال الشرقي متكاملاً في مظهره الخارجي، ترتفع القلعة نحو ٣٢ مترًا، اعتنى بها الملك المجاهد شيركوه بن محمد، نقش على الحجر بتاريخ ٥٩٤-٥٩٩ هـ، كما رممت مديرية الآثار والمتاحف السورية برج القلعة الشمالي عام ١٩٥٢م، وأبرزت السور، وكشفت دونه بابًا ومدخلاً، ينفذ إلى القلعة، يشبه إلى حد ما مدخل قلعة حلب، واكتشف في القلعة أيضًا صهريج بعمق ٢٧ مترًا مكون من بضعة طوابق، لها أدراج، طول ضلع مربعه/٥/ أمتار، ويعدّ من الفن المعماري الأيوبي النادر.

في حمص أيضًا الجامع النوري الكبير: الذي يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي وهو ذو مدخل جميل مميز،

كانت حمص إحدى الإمارات العربية التي قامت في بلاد الشام نحو مطلع القرن الثاني قبل الميلاد

بناه نور الدين زنكي. وهناك كنيسة أم الزنار التي اكتشفت فيها في عام ١٩٥٣م، تحت المذبح زنار السيدة العذراء.

كما تشتهر حمص بحماماتها العامة ذات النموذج التركي؛ التي بنيت في العهد العثماني. ومنها حمام العثماني، وحمام الباشا، وحمام العصياتي.

أما بيوتها الأثرية القديمة فمنها بيت الزهراوي، وبيت الشامي، وبيت مركوح، وبيت الدروبي. وهي على شاكلة البيوت الشامية. لكنها تتميز باستعمال الحجر البازلتي الأسود إلى جانب الحجارة البيضاء.

وفي حمص أسواق قديمة، كالسوق العتيق، والطويل وغيرهما وأسواق شعبية تعرض الصناعات التقليدية.

جامع خالد بن الوليد، المعلم الأبرز في حمص

كما ذكرنا فإن حمصًا تعرف بمدينة ابن الوليد، فهي تضم رفات سيف الله المسلول خالد بن الوليد. وجامع خالد بن الوليد في حمص يتمتع بشهرة واسعة بين السياح العرب والأجانب. وحظي بزيارته كل سائح يؤم حمصًا عابرًا أو مقيمًا.

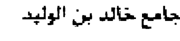
ويذكر المؤرخ الأثري رياض البدري: من المؤكد أن الظاهر بيبرس أدرك ضريح خالد. فبنى فوقه مسجدًا صغيرًا. وكان المسجد الحالي بقرية سيدي خالد قديمًا. وقام بإصلاح قبره سنة ٦٤٤هـ. ولم يكن قبر خالد آنذاك إلا مقامًا من المقامات التي كثرت في حمص في ذلك العصر، ولم تذكر أوصاف عن بناء هذا القبر. وأكبر الظن أنه كان كالمدارس والمدافن الأيوبية والمملوكية التي نشأت آنذاك. وكان تجديد الملك الظاهر بيبرس لمقام خالد في أثناء عبوره حمصًا للإغارة على مدينة سيس عاصمة أرمينيا الصغرى (كليلية). وهي الآن بلدة صغيرة جنوب الأناضول. وتشير إلى حادثة مروره كتابيتان أثريتان مهمتان لا تزالان محفوظتين في جانب مقام خالد بن الوليد في مسجده الحالي. وهما مكتوبتان بخط نسخي جميل.

الكتابة الأولى: على باب خشبي، وهي مؤلفة من خمسة أسطر من الخط النسخي المملوكي، ونصها: «بسم الله.. أمر بإنشائه على حرم قبره سيف الله وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد، رضى الله عنه، مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الخوارج





سياح في وسط المدينة



جامع خالد بن الوليد



والمتمردين محيي العدل في العالمين مالك البحرين صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك إسكندر الزمان. صاحب القرآن بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين. أعز الله سلطانه عند عبوره حمص للغزاة ببلاد سيس: وذلك شهر ذي الحجة سنة أربع وستين وستمئة».

الكتابة الثانية: على حشوة خشبية وهي مؤلفة من الخط النسخي المملوكي. ونصها شبيه بنص الأولى.

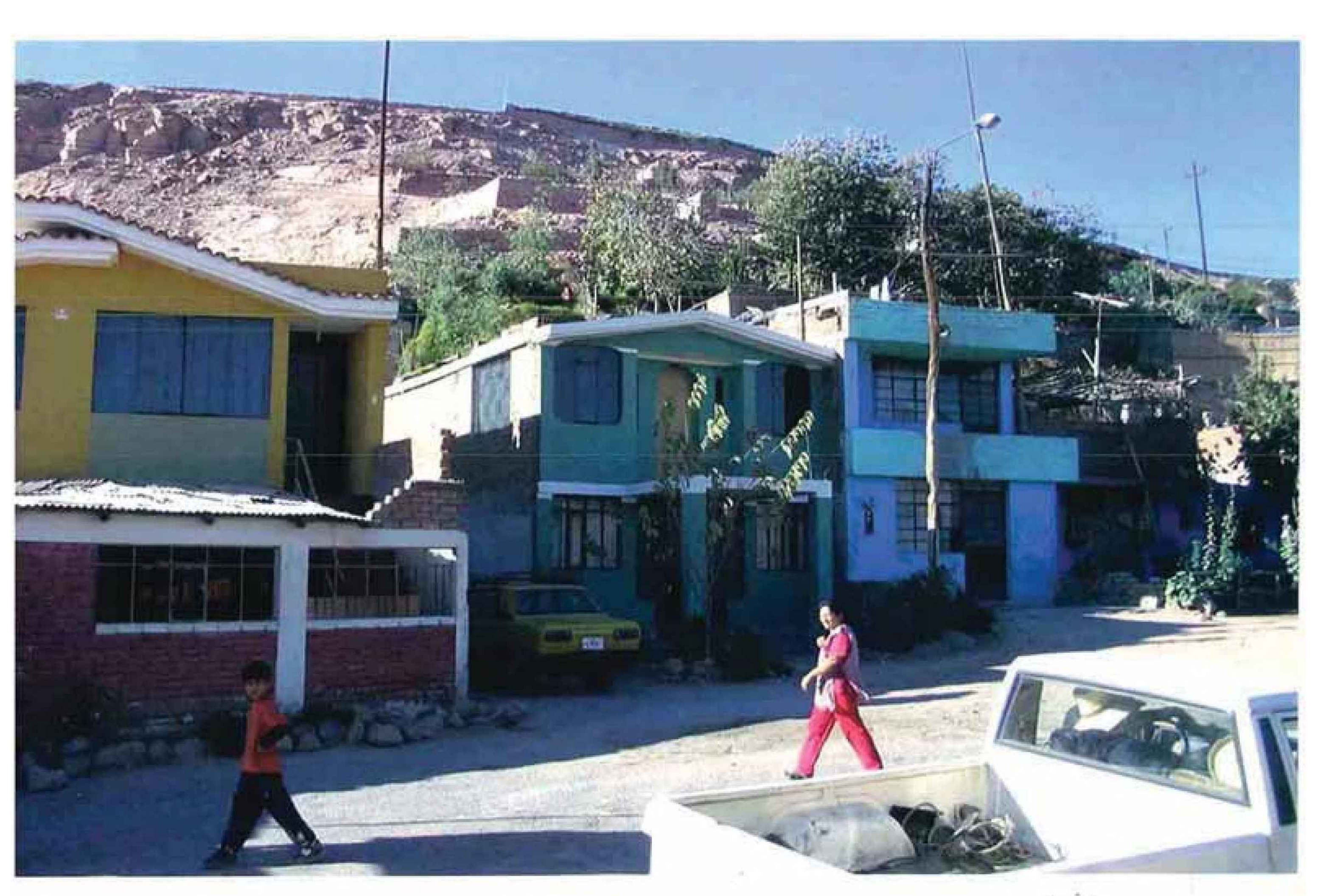
تناقصت أهمية حمص تدريجيًا أيام الأمويين، وكذلك أيام العباسيين ضمن الدولة الكبرى

وفي مقام خالد بن الوليد كتابة أثرية على لوح خشبي: تذكر بانتصار آخر أحرزه المماليك على الصليبيين في عهد السلطان الملك الأشرف خليل بن السلطان سيف الدين قلاوون سنة ٦٩١هـ، وتتألف هذه الكتابة من ثمانية أسطر مدرجة على لوح خشبي بالخط النسخي.

ولابد من الإشارة إلى تابوت أثري نفيس جدًا من الخشب المزدان بالألوان كان يحيط بقبر خالد بن الوليد. وقد أصلح هذا التابوت في المعمل الفني التابع للمديرية العامة للآثار والمتاحف، وأنقذ من التلف، وحفظ في المتحف الوطني بدمشق. ويتألف شكله من متواز للمستطيلات. وله قاعدة سفلية، يقوم فوقها صف من ستة محاريب ضامرة في كل من الجانبين العريضين. وثلاثة في كل من الجانبين الضيقين وكل هذه المحاريب مملوءة بالزخارف الهندسية والنباتية البارزة. ثم يأتي فوقها صف آخر من الزخارف الكتابية النسخية.

الجامع الحالي: قبب معدنية ضخمة ومآذن باسقة

بناء جامع خالد بن الوليد الحالي: مبنى عثماني يتميز بقببه المعدنية الضخمة التي تتوهج تحت أشعة



من أحياء حمص

الشمس، ومئذنتيه الباسقتين، وبالأروقة النحيفة المبنية بالحجارة السوداء والبيضاء المتناوبة في صفوف أفقية على الطريقة الهندسية السورية التقليدية. وبناء الجامع الحالي يعدّ من أحدث المباني الأثرية في حمص، حيث بني مكان المقام المملوكي الذي تقدم ذكره، وقد رأى والي الشام ناظم باشا في عهد السلطان عبدالمجيد الثاني أن يجدده، فهدم الجامع القديم، وأقام مسجدًا حديثًا بدلاً عنه، فأتى بقببه البيضاء المحيطة بالقبة الكبرى ومئذنتيه الرشيقتين على نسق جوامع إستامبول، وانتهى من بناء الجامع المذكور في عام ١٩١٢م وله حرم مربع الشكل تقريبًا (٣٠،٥×٣٠،٥) فوقه قبة قطرها (١٢) مترًا، وترتفع إلى ٣٠ مترًا، وفي صدر الحرم ثلاثة محاريب، وفي الزاوية الشمالية الغربية ضريح ثالث لعبدالله بن عمر بن الخطاب، كما قيل. وصحن الجامع واسع، وأبعاده (٣٦×٤٧) مترًا.

وفي عام ١٩٧٢م قامت الحكومة السورية بإجراء ترميمات وإصلاحات في الجامع، انتهت في منتصف عام ١٩٧٤م. وكانت محافظة حمص قد قامت عام ١٩٦٠م، برفع المقابر الموجودة غرب الجامع، وتنظيم المنطقة وتجميلها، وأزالت المرتفع القائم في مدخل حمص الشمالي، وأحالت المنطقة إلى حديقة جميلة مزينة بالأشجار والأزهار بتنسيق فني بديع يليق بجمال الجامع وصاحبه.

نهر العاصي وبحيرة قطينة وحمص ..

نهر العاصي الذين ينبع من نبع الهرمل في لبنان، يدخل أراضي محافظة حمص من بلدة القصير، ويتجه نحو مدينة حمص حيث يتجمع أيضًا في بحيرة شهيرة بجانب حمص تبعد عنها ١٥كم تسمى بحيرة قطينة، وتبلغ مساحتها ٦٠كم٢، وهي غنية بالأسماك وتعدّ أول سد مائي

احتجز مياه العاصي منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.

وبالقرب من البحيرة يوجد تل النبي من (قادش) حيث جرت إحدى معارك التاريخ المهمة بين الحثيين والمصريين بقيادة رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

ويكاد نهر العاصي بعد البحيرة لا يسير خطوة واحدة إلا وترافق سهله الفيضي من يمين وشمال أقنية تروي بساتينه، وحول أبناء حمص قسمًا من هذه البساتين إلى مقاه ومتنزهات عند الميماس. وأشيدت بجوارها منشآت خاصة لمهرجان ومعرض تقليدي معروف يحتفل به كل عام على غرار معرض دمشق الدولي.

ويتمتع الزائر برؤية مياه العاصي الوفيرة الانسيابية والأشجار الوارفة عن يمين وشمال، وشبيه بذلك وضع عدد من الحدائق والمقاهي والمتنزهات على ضفاف قناة الري الرئيسة.

يجد الفرد فيها جميعًا متعة الجو العائلي اللطيف، كما يجد الأطفال في أراجيحهم وملاعبهم الخاصة بجناحهم في كل مقهى ومتنزه هناك متعتهم الخاصة بهم.

لقد أعطى نهر العاصي وبحيرة قطينة مدينة حمص جمالاً أخاذًا، وموقعاً سياحيًا فريدًا.

جماليات البناء في بيوت حمص: أم الحجارة السود!...

بيوت حمص القديمة مبنية بالحجارة السود: ولذلك كما ذكرنا في البداية. تسمى مدينة حمص (أم الحجارة السود) حتى إن أحد شعراء حمص في المهجر خاطبها قائلاً:

قلبي يرى فيك المحاسن كلها
يا حمص يا أم الحجار السود

وقد كان سكان مدينة حمص يحصلون على أحجار مبانيهم البازلتية مقطعة بأشكال موشورية (مكعبات . كعاب) من المقالع القريبة منها. وهي أحجار مشذبة نسبيًا. أما أحجار الجدران المتجهة إلى ساحة المنزل الداخلية، وسطح أرض الديار، وأقواس النوافذ والأبواب: فلا بد من قطعها بأشكالها الهندسية المناسبة مع موقعها، وتشذيبها (نحتها) بشكل دقيق. ولتزيين جدران المساكن البازلتية يعمد كثيرون إلى إضافه أشكال هندسية من الأحجار الكلسية البيضاء ضمنها. ويلاحظ في المساكن الحمصية القديمة، وفي تقسيماتها الداخلية استعمال الأخشاب بكثرة. وبخاصة منها المزخرفة بالرسوم والأشكال الهندسية. بطريقة الخراطة والحفر. وبخاصة الأبواب والنوافذ والخزائن، وأطراف الكتابيات، والمصب، واليوك، والطاقة.. كما لا ينسى أصحاب هذه البيوت عمل فجوات خاصة في جدران ساحة الدار الداخلية (طاقة) للزينة، أو لوضع القناديل، أو الجرار فيها في أيام الصيف، حيث تقضى السهرات في باحة الدار.

وشوارع حمص القديمة كلها مرصوفة بالحجارة البازلتية السوداء، حيث إن طرقاتها وأزقتها كانت جلها مرصوفة باللبون (الأحجار المنحوتة)، كما كانت طرقات المدينة الخارجية من السور إلى الخندق غالبًا ما تنتهي بأدراج.

المراجع

١. جولة قام بها الكاتب في مدينة حمص.
٢. ربوع محافظة حمص بين الماضي والمستقبل، د. عماد الدين الموصلي، وزارة الثقافة، دمشق، عام ١٩٨١م.
٣. مجلة الحوليات الأثرية، المجلد ١٩.
٤. العمارة العربية الإسلامية في سورية، د. عبدالقادر ريحاوي، وزارة الثقافة، دمشق، عام ١٩٧٩م.

محمد الخير حامد عبدالعزيز

الخرطوم - السودان

اعلم تمامًا.. سيدي
لن تستريح خُطاك
فوق جَماجم الآهات..
أو يخبو النضالْ
أتظن أنك مُهلكي؟؟..
لن تَغْفرَ السنواتُ ما أفسدْتَهُ
وجنيتَ أنتَ حياله دهرًا وأوْثقتَ الحبالْ
لن تفِّر من الحقائق
من أوار المدّ
من كبد الإسار
ونحْس غايات المالْ
لتعودَ أنتَ وتاجُكَ الموسوم
بالتّحليقِ فوقَ مآثرِ الضعفاءِ
مرفوعًا على قِمَمِ البيوتِ
وناطحاتِ الذّل أو فوقَ الجبالْ

❖❖❖

لَنْ تمرَّ علينا غايتُكَ النّبيلة.. والموشحة
بإطراءِ الكلام ومزجِ آياتِ الجلالْ
بالحزنِ..
مدفوعًا بوحي تَغَلْغُلِ المأساة
بالوخزِ الهُلاميِّ السؤال
بالرّقةِ الفياضة.. الشكوى
وتسويفِ التحدّي بالدلال
لن نشتكي؟؟
بالبوح للنفسِ بمكنونات أشجانٍ
وندفنَ رأسنا تحت الرمالْ
أوَ تَرجعُ الأيامُ

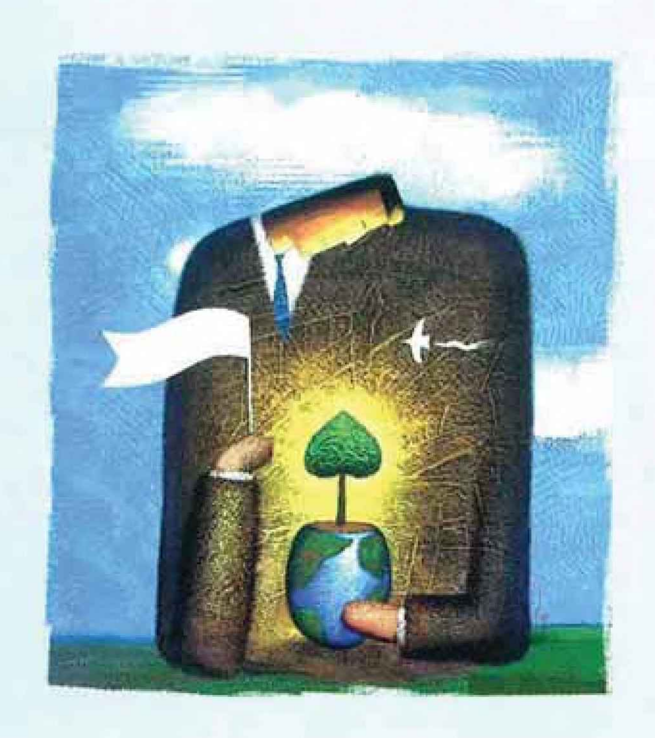
ما قَدْ ماتَ فينا
وانقضى وهمًا فَحالَ إلى خيالْ؟؟

❖❖❖

هل بالدموع..
نُصادقُ الأحزانَ والأوهامَ
نغرقُها بدفقِ الحرفِ
ثم نهادن التحراق والألم الطويلْ؟؟
لن نَبْنَي الأمجادَ
أو وطنًا..
يُدغدغُ مشتهانا
يَستفيضُ تعاظمًا
ويُعيدُ فينا المستحيلْ

❖❖❖

ليستْ خُطانا كالتي سَبَقتْ
وظلُّ السعدِ يتبعها نَشَاوَى
على مداراتِ الطريق
الزهو والتصفيقُ زيّن جيدها
فمشت وجرح أساك يلعق سعدها
يلتذ بالوله الطليقْ
والكونُ منها
في براءة طفلة خجْلى
تحاورُ حلم لحظات مضتْ
أو ثدي أم حانيةْ
قد مَدّ طوْقًا للنجاة
وضاءَ سوسنه بريقْ
يا أنت..
يا مغروس..



في جنات أفراح زهَتْ..
ضنتْ.. خبتْ..
رقَتْ..
وحالتْ لحريقْ
يا أيها الإنسان
يا وجعًا يهز جوانح الإشفاقِ
يا إرهاصتي الثكلى.. ويا دمعي الدفيقْ
متى جراحك تندملْ؟؟.
تستنفر اللحظات، ثورتها دماك
فتتجلى سُدف الظلام
ومن سباتك قد تفيقْ؟

النشرة

سالم المساهلي
الكاف - تونس

بعد النشرة..
أنظرُ وجهَ أبي
يَستجلي العَبْره..
يُطلقُ حينًا زفره...
«لا تَعِدُ النشرةُ بالغيثِ
ولا بالخضره..»
ويمرّ على التلفازِ ثقيلا
تُرهقُه الحَسره..

❖❖❖❖

بعدَ النّشره..
تنقلبُ الشاشةُ سوقًا حرّه،
وأخي المفتونُ الغارقُ..
في أسماءِ الشُّهره،
تتكدّسُ في عينَيْه الرَّغبه
وأبي ما زال يُحوقل...
«الوحش السّفاح يقررُ ضمَّ الصخره..
يا جنّاتُ... ما للقهوة مُرّه.؟»

❖❖❖❖

تنظر «جنّاتٌ» في عينيه..
المرّةَ.. تلْوَ المرّه
وهي تُتمتم: «القهوة ليست مُره..
ابحثْ عن آنسة أُخرى..
تسقيك الحُلوه..»
لكن أبي يتفطّنُ..
ينظرُ في عَينَيها وهو يقول:
«أنت امرأةٌ تنقُصك الخبره..
قُلتُ: اللقمةُ مُرّه..
إن الخبزةَ مُرّه..»

❖❖❖❖

يا مقْلاعَ الطفلِ «بغزّه»
يا إقلاعَ الروح بِغزّه
أعلنْها هزّه..
فالغَطُّ تَجاوزَ سقْفَ الدار،
وانقلب الصّقرُ

إلى وزّه،
أعلنها هزّه
فالكلُّ يُحملق في الأشلاءِ
على التلفاز،
والثورُ الهائجُ ينشرها
في وجه القمَّهْ..
النشرة لا تتأخَّرُ عن موعدها
بالمرّه
والناسُ تَحيَّر فيها الحرفُ العربيُّ
من الياء إلى الهمزه،
وهي تؤمِّلُ من كهفِ الغيب،
أن يَطْلَعَ «حمزه»..

❖❖❖❖

هل كذبَ التاريخُ علينا..؟
عن عرَبٍ كانوا أُمَّه..؟
يتداعى المجدُ لهم
وتُشَدُّ الهمَّه..؟
يمشون على الأرض نخيلا
يطوون العمرَ إباء
في وَهْجِ الأزْمَه..؟
هل كذب التاريخ علينا
عن عربٍ ركبوا الرِّدَّه
وأراحوا...
في زمن الشدّه..؟
لم تبقَ الساعةَ أوتادٌ
في عصَب الخيمه..
كي تشتدَّ مع الأيام..
أو تحمي «خَوله»
فلتتسامحْ يا «طَرفه»
في هتْك الستر..
لم يبقَ الساعةَ ما يُغني
عن كَشفِ العَوْرَه..



محمد مهدي الحمادي

القطيف - السعودية

حميمية الأجــواء في المد والجــزرِ
تــداعبُ أغـصـاني وتنسابُ في صدري
إذا هاجنـي شـوقٌ، يُؤنبُني شوقي
وإنْ بتُّ في جمر فـأنتِ لظى جمري
أظـلُّ وحـيـدًا بـين أجـداثِ غُربتي
أعـانـقُ أشـلائي، ويخنقني فكري
أعيشُ عـذاباتي وأحـيـا تعاستي
فيسكنُ حدُّ السيفِ بالقلبِ والنحرِ
شُعوري استباحَ الصبرَ، لكنْ تمردتْ
جــراحٌ مـريـراتٌ، فـأرّقـني صبري
فتلكَ انتماءاتي كشيطانٍ هاجسٍ
تلبَّسني واحتلَّ فكري ولم أدرِ
هوَ العشقُ حدَّ المسِ يجتاحُ عالمي
ويسكنني روحًا - كما الروح - بالسحرِ
أنـا الـهاربُ المشنوقُ في كلِ بقعةٍ
وأنتِ كنهرِ الشوقِ في داخلي يجري
أنـا... أنتِ والأضـواءُ صارتْ كئيبةً
فهل ينتهي ليلي؟ ليبدأني فجري
أزيحي ظلامَ الحزنِ فالشمسُ ترتدي
لباسًا من الأفـراحِ تلهبُ لي شِعْري
أنـا رجـلٌ صـارَ الغـرامُ حقيقتي
وأنـتِ مـلاكٌ يرتوي عَـذْبَـهُ عمري
لماذا نعيشُ القهرَ؟ مـادام حُبُنا
سيُخمدُ بـركانًا منَ الحـزنِ والقهرِ
بعينيكِ نـورٌ لـو حياتي تمردتْ
سيبقى أنيسي إن تَوَحّشْتُ في قبري
ميـاهكِ تُحيينـي وتُطفي لواعجي
فصُبّي محيط العشقِ واحتضني بحري
حـزينٌ وقيدي دائمًا ما يُذلُّني
ففكّي القيودَ السودَ، واقتلعي أسري



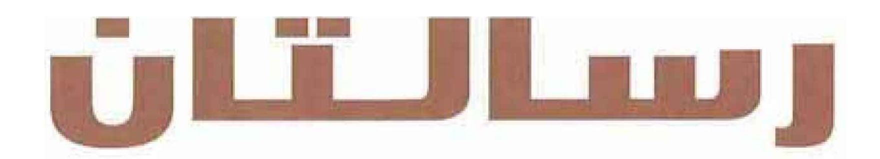


حمزة عبد الرحمن هوساوي

مكة المكرمة - السعودية



تسعٌ وعشرونَ في قلبي لها وترُ
لا الماءُ عندي ولا دوحٌ ولا ثمرُ
تسعٌ وعشرونَ فوقَ الأرضِ تحملُني
قسرًا على ألمي تعدو بيَ الجُزُرُ
مسافرٌ والمدى غيبٌ وراحلتي
أنّى اتجهتُ بها بالصمتِ تعتذرُ
لا الضوءُ يسرقُني في جوفِهِ حُلُمًا
ولا الربابةُ في قلبي لها وترُ
ولا الظلالُ لها دفءٌ لذاكرتي
إنّي اشتعلتُ، رمادي الآنَ يُحتضرُ
كم زرتُ صوتي، وكم ناديتُ قافيتي
وكم على شفتي الأوزانُ تنكسرُ
كم وردةً في دمي أهديتُها أملي
كلُّ الذي من دمي أهديتُها هدرُ
أغدو مكاني وكفُّ البحرِ تجذبُني
كيفَ ابتدأتُ هنا؟ ما زلتُ أنتظرُ
يا رحلةَ الشوكِ في أعماقِنا قُبَلٌ
نحوَ الشروقِ وبرقُ الشوقِ يستعرُ
مُدّي إليَّ ضيائي، واشربي أرقي
سئمتُ والدربُ في عينيكِ ينتحرُ
سئمتُ أصداءَ ليلٍ عاقرتْ قلمي
فكلُّ طيفٍ جرى بالعشقِ يندثرُ
قلبي تحطّمُهُ الأزهارُ ذاويةً
وفي المرايا خيوطُ الفجرِ تنشطرُ
وفي ارتعاشِ الصدى للموتِ ذاكرةٌ
تنزُّ عندَ التماسِ الصحوِ تنفجرُ
هيّا اغسلي لغتي بالنورِ واعتنقي
نبضَ احتراقي ففي عينيكِ ينصهرُ
رُشّي عطورَ الهوى في كلِّ زاويةٍ
كلُّ المدائنِ إن فاحَ الهوى قمرُ



فاسيلي شوكسين

ترجمة: هاشم سليمان حمادي

دمشق - سورية

رأى فيما يرى النائم قريته. لكأنه يسير وضفة النهر.. في ذلك المكان من النهر، حيث الحور، يخيم صمت مطبق. وليس ثمة كائن من حوله. القرية قريبة. لكنها خاوية على عروشها.

هل يعقل أنه لا يوجد أحد؟. ثم قذف بحجر في الماء، فهوى نحو القاع من دون صوت. وألقى بحجر آخر، أكبر، فغرق الحجر بصمت. وتملكه الخوف. -لابد أن شيئًا ما قد حدث-. وهنا استيقظ. ولم يعد يجد إلى النوم سبيلاً. بل وجد نفسه نهبًا للذكريات. تذكر قريته.. البيوت الطينية. الدروب المغبرة. القرّاص عند السياج. الدجاج على المزابل. ومن خلف القرية تمتد السهول والأراضي المحروثة. وتميل الشمس إلى الغروب، فتتوهج قبة السماء حتى منتصفها. وثمة بحيرات صغيرة. يصبح ماؤها عند الغروب مصقولاً جدًا، فينعكس الغروب عليها كما لو أنها مرايا. يا لروعة الجلوس لدى هذه البحيرات الصغيرة. والخلود للتفكير.. ويتسلل إلى قلبه، مقرونًا بالصمت المطبق، إحساس بالقلق على كل ما في الوجود. فينتابه بعض الحزن. لكأن ثمة من يهمس في أذنه: مهلاً. مهلاً يا صاح.

وفي البعيد البعيد يندفع قطيع من الخيول في الغسق. وفوق الدرب تحلق سحابة من الغبار. وتتوقف. لكأنها معلقة في الهواء. ومن جديد يخيم الصمت. يا له من صمت مطبق، حط على الأرض بكلكله!.

ورويدًا رويدًا يرخي الليل سدوله. ولكأنه لم يبق على الأرض أحد غيرك. يتملكك الخوف. ولا تشعر بالوحدة لكنك نهب للقلق.

حاول الرجل أن يعود إلى النوم. لكنه لم يجد إليه سبيلاً. فنهض بكل حذر خشية أن يوقظ زوجته، وارتدى «البيجاما». ثم انتقل إلى غرفة أخرى. وأشعل الضوء، وجلس إلى الطاولة، وراح في تفكير عميق.

- يا إلهي. ما هذا الذي يجري لي؟.. يبدو أنها الشيخوخة. لكأنني أودع كل شيء.

وتملكه حزن لا يطاق، وكاد يبكي من فرط الندم.

يبدو أن كل الأحلام التي راودته آنذاك، عند ضفاف البحيرات الصغيرة الهادئة، قد تلاشت، ولم تتحقق..

أخرج الرجل، واسمه نيقولاي إيفانيتش ورقة، وبدأ يكتب لصديق الطفولة:

«صديقي العزيز إيفان سيميونيتش، سلامات! لقد خطر لي أن أكتب إليك. فورًا رأيت قريتنا في المنام، فشعرت بالحنين. وجلست أكتب ليلاً، مثل بلزاك. تذكرت كيف تخرجت وإياك في المعهد، ألا تذكر؟! وكيف جئنا لوداع مسقط رأسنا؟ تهندمنا مثل... شيء مخجل حقًا. كنت في قميص أبيض مستورد، بينما كنت أنت في سترة بحار. كنا نسير في الشارع، ونحن في كامل الأناقة، بينما الآخرون غارقون في أعمال الحصاد. وأذكر أننا صادفنا مينكا دوكوتشايف في ثياب العمل القذرة، وهو في طريقه إلى ورشة الحدادة؛ لإصلاح شفرات الحصادة. ولم نجد ما نتحدث به معه، لكأننا أصبحنا غرباء.. تذكرت مينكا فشعرت بالخجل. لماذا تهندمنا آنذاك، والناس في عز موسم الحصاد؟ أما حينذاك، فكنا نعدّ سلوكنا طبيعيًا، لا غبار عليه..! سفر برلك! جئنا لوداع تلك الأماكن، التي كثيرًا ما شاهدتنا، ونحن ننقل أكداس الحصاد، ونشارك في جمع القش، ونرعى العجول، ونتشيطن.. كان لدي في جيبي زجاجة فودكا، ولديك زجاجة نبيذ، ولم يكن معنا سوى كأس واحدة. جلسنا عند أحد التخوم، تحت شجيرات البتولة، وتبادلنا الكأس... وهات يا تفاخر - يا لنا من عبقريين، الآن تخرجنا في المعهد، وأصبح يشار إلينا بالبنان، ورحت أقرأ بعض القصائد الحمقاء، أما أنت فأذكر أنك وقفت على يديك، ومن ثم رحت تضرب بيدك على صدرك، وأنت تزعق: «تصور كيف كان آباؤنا، وكيف أصبحنا نحن - مهندسين»، كنا فخورين - آنذاك - أننا أول من يحصل على شهادة عالية في القرية، لكم رقصنا وغنينا آنذاك.. وإلى جوارنا كانت حقول الشعير تنتظر، لكن الأمر سيان بالنسبة إلينا، حتى إنني قذفت بالزجاجة إلى هناك، وقد خطر لي: «لا بد أن أحدًا سيجدها في أثناء الحصاد، وقد يكون مينكا نفسه، وهي تلمع تحت أشعة الشمس». بعد ذلك غلبنا النوم، ولم نستيقظ إلا وقد مالت الشمس إلى الغروب، واكتشفت أن قميصي المستورد قد تجعلك مثل... وشعرت بألم في رأسي، وبالخجل من تصرفنا، لم ترفع نظرك إليّ، وكذلك أنا لم أنظر إليك، لسبب ما، أذكر هذا جيدًا...».

- كوليا!

- نعم.

- ماذا تفعل؟.

- لا شيء نامي.

- اعتقدت أنك خرجت.

- نامي.

... زوجتي استيقظت، إنها ترقد وهي في غاية الشبع والسمنة، وتفوح منها روائح العطور، كما تفوح - سامحني يا ربي - من معمل العطور، تلك هي الأحوال يا فانيا، إنني أشعر بالحزن، ربما نكون قد ابتهجنا آنذاك عبثًا، ها قد مرت.. كم من الأعوام؟ أما أنا فلم ألحظ كيف مرت، لقد ازددت سمنة ألوم زوجتي، لكنني أنا نفسي لا أكاد أستطيع دخول الباب، أذهب إلى المنتجعات والمصحات.. لكنني لم ألحق تذوق طعم الحياة، الأولاد يكبرون، لكنهم - بصراحة - لا يسرون الخاطر، فهم يعرفون الآن كثيرًا، ويناقشونك بحماسة في شتى الأمور، أعتقد أننا كنا أفضل، ربما أكون قد شخت، لا أعرف، وماذا عنك أنت؟ هلا كتبت إلي، من يدري فقد تصيب الجلطة، وينتهي كل شيء، لو أننا نلتقي، ما رأيك؟ فنتذكر الطفولة، إن لدينا ما يستحق الذكرى، لقد انعدمت حياتنا في العمل، ولم نحقق شيئًا، هلا كتب

إلي. حاول أن تجد وقتًا لذلك.

فجأة شعرت بالوحدة. ولا أحد يفهمني مثلك. وأعتقد أن حياتك ليست بأفضل. طيب. كبير المهندسين. وماذا بعد؟ هل تفهم كلامي؟ المطاعم. الموسيقا. ولكن ماذا بعد ذلك؟ أهذا ما يسمى علية القوم؟ إيه.. حين أتذكر كيف كنا نشوي حبات البطاطس في الليل. أشعر بدفء في روحي. آه من لي بالعودة إلى الأيام الخوالي. إلى حياة الريف. والسهرات حول النار الموقدة. والحكايات عن الجن!! إيه فانيا. فانيا.. ماذا يعني هذا؟ ما رأيك؟ أم أن كل شيء على ما يرام؟ لعل الشيزوفرينيا الخفيفة قد حلت علي ضيفًا. هل يحدث لك مثل هذا. أم لا؟ أصدقني القول. إلى أين تسافر صيفًا؟ إلى غاغرا المقملة؟ لم أعد أتحمل رؤية غاغرا ❖ هذه. لكن جرب أن تلمح إلى رغبتك في زيارة القرية. مستحيل. وإلا أصابتها نوبة هستيريا. ومع هذا لسوف أتمرد الآن. وليكن ما يكون. سوف أذهب إلى القرية. فقد نفد صبري. هل ترافقني؟ دعنا نذهب معًا. فلتذهبا إلى غاغرا. أما نحن فإلى القرية. صدقني أنني أشعر بالخجل من نفسي. هذا ليس اعترافًا كنسيًا. بل إنه نداء الروح. وإجمالاً فإن أموري ليست على ما يرام يا إيفان. للوهلة الأولى قد يبدو كل شيء طبيعيًا. فالعمل جيد. ومع هذا أشعر وكأن قلبي يكاد ينفطر. ويشدني الحنين. وتنتابني الرغبة في التخلي عن كل شيء. هلا كتبت لي يا إيفان. أرجوك. لقد تغير عنواني. بعد الترقية. إنني بانتظار رسالتك».

نيقولاي

أطفأ نيقولاي إيفانيتش الضوء. ثم استلقى على السرير. ولمدة طويلة ظل يغالب الأرق.

وصل نيقولاي إيفانيتش إلى العمل. كما هي العادة. في العاشرة إلا خمس دقائق. كان حليق اللحية. نضرًا. على الرغم من التشوش في رأسه. اضطر البارحة لتناول قرص منوم. كان يمشي عبر الممر. يرد التحية على مرؤوسيه. ويبتسم لهم. فيبتسمون له بدورهم.. وقد أوقف أحدهم. وسأله عن شيء ما. وحين سأله أحدهم جاء رده موجزًا ومفيدًا. الجميع في العمل يكنون له الاحترام.

نهضت السكرتيرة الحسناء. وافتر ثغرها عن ابتسامة ساحرة. فلمع في رأسه: «يا لها من امرأة فاتنة حقًا». وإجمالاً فإن مثل هذا الخاطر كان يلمع في رأسه كل صباح تقريبًا.

- طيب ماذا لدينا؟

- إذن أولاً. لقد اتصلوا بنا هاتفيًا..

اتصلوا. طالبوا. طلبوا. توسلوا. حذروا.. وحلقت الروح عاليًا. وراح هذا الشعور يحل محل ذاك تارة: «اسمع! لست ألعب معك لعبة القط والفأر! للمرة الأخيرة أحذرك». وتارة: «عزيزي. حبيبي.. ماذا بوسعي أن أفعل؟ طيب فكر. ماذا؟ لو أن ذلك يتوقف علي..» وأخرى: «إنني أفهم. أفهم كل شيء ولكي لا أحمل نفسي فوق طاقتها. سيكون جاهزًا في الثامن والعشرين. أ؟ كلمة شرف. سوف نبذل قصارى جهدنا. لن نخذلك». لكن أكثر ما كان يعجبه: «اسمع! لست وإياك في حلقة دراما. ولسنا نتدرب على «عطيل». لا داعي للقسم. فأيمانك لا تجدي نفعًا. فما أحتاج إليه هو المواد خلاص». كما كان يعجبه أيضا «ما رأيك؟ .. طيب ما العمل؟ وأنا لا أعرف أيضًا. ما جدوى التقارير؟ إن مكتبي ينوء تحت ثقل التقارير. هل أستخدم تقاريرك بديلاً عن الرولمانات؟ حاول. فقد تتمكن. لا أعرف. هذه مشكلتك».

في غمرة العمل ودوامته نسي نيقولاي إيفانوفيتش أمر الرسالة. وكان في الصباح قد أخذها معه. لكن لا وقت لديه فقد جاءه الصحفيون من صحيفة المحافظة.

- طيب. ماذا أقول لكم يا رفاق؟... ليس لدينا

ما نتفاخر به بعد. ننفذ الخطة.. نعم. لكن.. - أربع خطوات على السجادة الوثيرة في هذا الاتجاه، وأربع في الاتجاه الآخر. يتوقف أمام المراسلين. ثم يرسم على وجهه تلك الابتسامة، التي لم تخذله أبدًا، والتي كان خصومه يصفونها بـ «خشبة الإنقاذ» - لكن ما لدينا من العزم والتصميم يتجاوز ما هو وارد في الخطة. ولا أكتمكم سرًا أننا ننوي في المستقبل القريب تجاوز نسبة المئة وعشرة - المئة وخمسة عشر... - الحسابات موجودة. الناس متحمسون، مندفعون، وسنتمكن من ذلك.

وبعد التقاط عدة صور خلف المكتب، انتقلوا إلى الورشة، وهناك التقطوا الصور. لكن نيقولاي إيفانيتش كان هنا كثير الحديث مع العمال والمعلمين. وبعد ذلك سلم المراسلين إلى كبير المهندسين، وعاد إلى مكتبه.

- اتصل دميتري فاسيليفيتش، فأخبرته أنك في الورشة - قالت السكرتيرة.

- صليني به.

كان الحديث مع دميتري فاسيليفيتش جيدًا، فشعر بالغبطة التامة.

وتوالت أفواج المراجعين، والاتصالات.

- نعم نيقولاي إيفانيتش؟ - ردت السكرتيرة.

- لست موجودًا الآن، فأنا في الورشة.

- طيب.

تناول نيقولا إيفانيتس رسالة الليل، وقلبها بين يديه، وفكر قليلاً ... ثم عاد فدسها في جيبه، وبدأ يكتب أخرى:

«إيفان إيفانيتش! سلامات يا عجوز! لقد تذكرتك فقررت الكتابة إليك. كيف حياتك وصحتك؟ كيف العمل. نادرًا ما يكتب بعضنا لبعض. يا لنا من كسولين. كل شيء عندي على ما يرام. ألف وأدور.. تارة أعمل زفة لهذا، وتارة تكون الزفة لي - هكذا تجري الأمور. لا وقت للضجر. إجمالاً لست أشكو. إلى أين تنوي السفر صيفًا؟ اكتب لي فربما نسافر معًا! لقد خطرت لي فكرة أن نسافر وإياك إلى القرية. لكن، وكما يقال، العين بصيرة واليد قصيرة. فلسوف تعلن زوجتانا العصيان. غالبًا ما تراودني القرية في الأحلام. اسمع، ما رأيك أن نسافر إلى مكان ما معًا؟ المهم أن لا يكون إلى غاغرا*، ليأخذها الشيطان. ما رأيك بالفولغا؟ هيا «طبق» نصفك الآخر وأنا نصفي الآخر: نغريهما بالسهر حول النار الموقدة. بصيد السمك. أو بأي شيء آخر. سنقيم في إحدى القرى، على الضفة ونستأجر كوخًا.. ما رأيك؟ هيا يا شيخ! قسمًا بالله لن نشعر بالملل. فكر بالأمر. إن أموري على أحسن ما يرام، والأولاد يترعرعون. كل شيء تمام التمام المهم أن لا نتشاءم، وأن نبقي رأسك عاليًا. اكتب لي على عنوان المعمل - أفضل.

أعانقك. صديقك نيقولاي».

.. وعند المساء قرأ نيقولاي إيفانيتش في غرفته كلتا الرسالتين، بينما زوجته تجهز طعام العشاء. وبعد أن انتهى من قراءتهما ظل لمدة طويلة جالسًا لا يريم، ومن ثم رمى بكلتا الرسالتين في درج الطاولة، ثم قال بصوت عال:

- الشيطان وحده يعرف كيف.

- ماذا تقول؟ - جاء صوت الزوجة.

- لا شيء.. إنني أحدث نفسي. هل العشاء جاهز؟

- الآن سيكون جاهزًا. هل أنت متضايق من شيء؟

- أبدًا. فكل شيء على ما يرام. هاتي لي الصحف من فضلك.

* غاغرا: منتجع على ساحل البحر الأسود.



ليلى صبار ❖
ترجمة: أحمد عثمان
الإسكندرية - القاهرة

أرى امرأة على بغلة بيضاء.

غريبة.

ماذا ستفعل في قريتنا ومن أرسلها؟ إذا كان الشيطان، فأنا لا أرى مساعديه، الواحد على اليمين، والآخر على اليسار.

امرأة وحيدة، على بغلة، لا يرافقها أحد، لا عم ولا ابن. تعرف الطريق، لا أرى خادمة على قدميها، ولا راعيًا يقودها.

الغريبة، ماذا ستفعل في قريتنا؟ إنها شابة، عارية الرأس، بلا حجاب، ولم تتمنطق بحزام صوفي، في الشمس، يبرق شعرها بلون الذهب، هذه المرأة ليست امرأة. إذا دخلت إلى منازلنا، لن يبقى الرجال بها، وسوف يختفي الأطفال من مهدهم، بحيث تتوقف الغريبة قبل البستان الأول، عند المدرسة، لم يبن بعد من قبل نساء جيلنا، والحوائط غير منتصبة حسبما القواعد، ولا الهيكل ولا السقف، ولا حتى عارضة من خشب قوي لكي تحمل المبنى، ولا حتى موقد. أنه بناء خال، ويظل خاليًا وإذا سكنته المرأة، ستهتم به، دم الديك لن يحمر أعلى الباب، وجلد البقرة الأصفر غير متشقق، على الحائط.

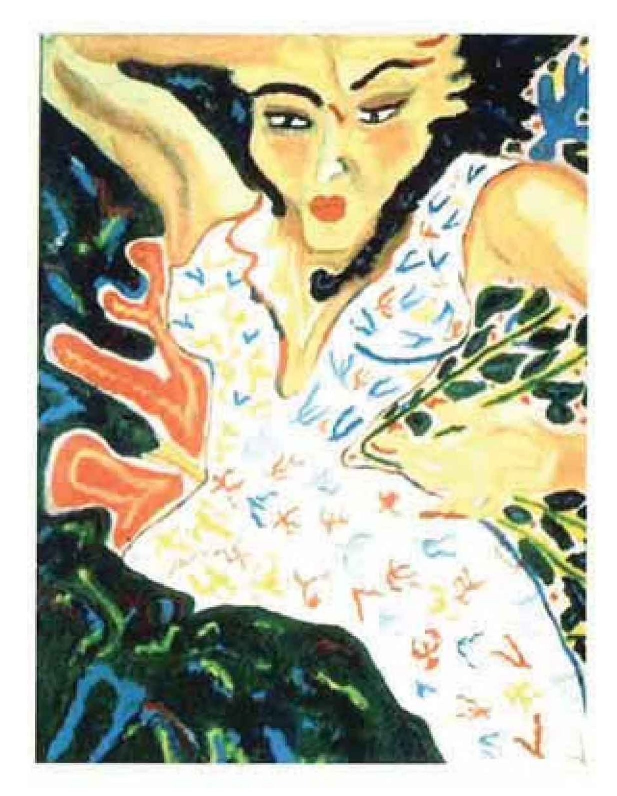
إنه منزل الخائن.

تتقدم الغريبة، على البغلة البيضاء، نحو القرية، لا ينتظرها أحد، لم تعلن عن قدومها، والكبار لن يستقبلوها.

من طرف الطريق، تهبط، بعد بستان ثري قريتنا الوحيد، وتدخل إلى المنزل الملعون، حيث لن ترفع العارضة مهد الوليد، لا توجد عارضة، ولا طفل، هذه المرأة وحيدة، سوف تغلق منازلنا، إنها..

عندنا، من دون رجل، لن تنتفخ بطنها مثل بطوننا، كل عام، لن يمارس أحد النسج لها، أي صوف سيكون مباحًا بين يديها؟ من يتجاسر؟

هذه المرأة ليست امرأة وحيدة مهملة من قبلنا، ستبقى وحيدة، أخاف من الغريبة، إنها هي، ولا أعرف،



من خطفت حبيبي. غائبي. رحل ترك المنزل الخالي بلا طفل في المهد المعلق. لا أشعل نارا. والجن ينتحب. غادر الباحة وشجرة الرمان. لم أر أزهارها الحمراء. رحل إلى المدينة التي تتنزه النساء فيها عاريات. كما قالوا لي. كما أعتقد. وهو يمشي في الشوارع. ويجلس إلى المقاهي التي تذهب النساء ذوات الشعر اللامع. رأوه مع غريبة.

إذا كانت تحمل رسالة من حبيبي. إذا كانت تعلن عودة من أناديه كل يوم. عند الشجرة المباركة. في الأعلى. شعرها محلول. عارية حتى الحزام. أجمل من غريبات المدينة. أجمل من المرأة التي على طريق القرية. أنادي الزوج الحبيب ثلاث مرات ولا يأتي. هذه المرأة ستكتب لي رسالة سيحملها حمام الزاجل. طائري المفضل. إلى من تأخر عني. لن ترفض رسالة حب. الغريبة التي بلغت المدرسة ساحرة. سوف تخط الرسائل السرية. لعودة الحبيب. لم تخطف الرجل الذي أحببته. لم تجعله يحيد عن الجبل. القرية. منزلي. الفراش الذي نسجته لكلينا.

إنها أختي.

في كل ليلة. تحت الوسادة. الحجاب الذي سطرته الغريبة يحميني من الذئاب التي تعوي بعدم عودته. لا أسمعهم. رأيت المرأة جالسة قبالة صخرة السيل. تكتب لي وقد ألهمها الماء النقي. ثوبها جف على الصخرة الملساء. ثوب مديني. بخطوط زرقاء وبيضاء. رفيعة في الأعلى وسميكة على قدها. لم أر حزامها. ولا أعرف إن كانت تمتلك مثلي حزاما من الصوف. ضحكات وصيحات الغسالات لم تمنعها من الكتابة. أغنية حب غنيتها بلغتنا في الجبل الموحش. أغنية عن حبيبي. تكتب. تجد أكرر الكلمات والأبيات. أرى العلامات على الورقة. لا أعرف أن أقرأها.

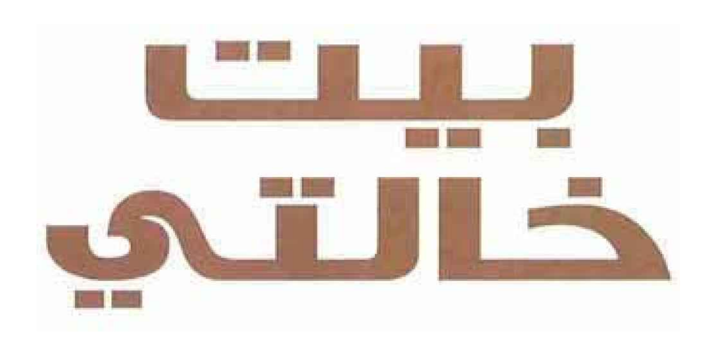
ترحل الغريبة على بغلتها البيضاء. حاملة إلى المدينة رسالة حب مغناة.

سوف يعود حبيبي.

الغريبة. أختي. قالتها. قالت الحقيقة. هذا مكتوب.

❖ عن موقع: ليلى صبار

ليلى صبار.. قاصة وروائية جزائرية تكتب بالفرنسية. من مواليد الجزائر لأب جزائري وأم فرنسية. تقيم منذ أعوام في إقليم إكس أون بروفانس. تواصل دراساتها في الآداب. تعمل أستاذة للغة الفرنسية وآدابها. تكتب في عدد من المطبوعات الفرنسية المرموقة، وتشارك في الإذاعة فرانس كولتور. من نتاجها الروائي: تكلم يا بني، تكلم إلى أمك.. و نهر الذي كان أحمر.. و صمت الضفتين.. و مجنون شهرزاد.. و كراسات شهرزاد.. و شهرزاد.



حسين علي محمد

السنبلاوين - مصر

إنه يشك في نظراتي التي تطلب منه - دائمًا - الصمت.. وألا يتكلم.. حتى لا يهدم العش! هل أطلب منه المغفرة، وأنا لم أعمل ما يستوجبُ الغضب.. أو الشك؟!

أعبر أصص الزهر مصحوبة بكواكب معتمة في الأفق.. أمشي نحو بساتين خضراء معلقة على الحائط، في لوحة فاتنة.. تتابعها عيناه في عتمة ما بعد الغروب.. إنه لا يُشاركني في ترحالي الأسبوعي إلى بيت خالتي، في رحلة تصحبني فيها خفافيش الذكريات وسود الأماني!

ما بيننا سور عالٍ لم تستطع الكلمات أن تقتحمه!

نظرة حزينة تبدو في عينيّ رشاد، وهو يراني عائدة.. يرنو إلى الأفق دائمًا مغمضًا عينيه كأنه يحلم، أو يخاف أن يرى الناس حلمه الأسود، أو توجسه الدائم الذي لا يُفارقه.

بعطف وشفقة يمسك الطفل - طفلنا - في يده، ويخشى أن يلفظ الكلمة التي تعتمل في صدره، أو يستحضرها من قباب الوحشة والشك، التي لا تُغلق أبوابها.

فإذا عدتُ من بيت خالتي الوحيدة، ورأى تهدُّج صوتي، ورعشة أطرافي، وأنا أحكي له عن مرضها الذي يُقعدها، وانتظارها الأسبوعي لي.. وكأنني نسمة الحياة التي تنتظرها.. يهز رأسه ساكتًا. وأقرأ في عينيه حزنًا يصحبه الشكُ. فيكادُ يصرخُ فيَّ:

- إنك لا تزورين خالتك إلا لكي تري حبيبك القديم.. ابن خالتك.. الدكتور حسام.

...

لكنه لا يستطيعُ أن يقولها.

... كان كاذبًا - دائمًا - في تخيلاته التي لم أناقشه فيها، ولم يُفض بها إليّ.. فهو في حاجة إلى ما يؤكِّد شكوكه، التي أخشى أن تقتل ما بنيناه من احترام وود، على امتداد ما يقرب من عقد من الزمن، وها هو ذا ينسق في صمت أبجدية شكوكه يومًا فيومًا: لترسم بعد ذلك عريضة اتهام!

هل يمتلك شجاعة الروح ويقول لي ما يحزنه من

زيارتي لبيت خالتي؟

وهل أمتلك أنا شجاعة القلب، وأقول له ذات مرة: إن الدكتور حسام يُقيم في الزقازيق، وليس مع والدته في القلعة، ولم يأت لزيارة أمه إلا مرتين، أو ثلاثا لم أره خلالها.

لماذا يظل رشاد - على الرغم من زواجنا من ثمانية أعوام، وإنجابنا طفلاً منذ خمس سنوات - واقفًا أمام السور العالي، الذي شيّده من شكوكه وأوهامه؟.

ما بين الصخور تتحرك يا رشاد..

صحيح أنا لم أتزوجك إلا بعد سفر حسام إلى أمريكا؛ ليحصل على الدكتوراه في التربية.. وقول أمه - خالتي - ذات صباح غائم لي: إنها سمعت من صديق له أنه - الغادر - تزوّج أمريكية حتى يأخذ الجنسية. وكم كانت تريد أن تفرح بزواج وحيدها من ابنة أختها، وكان آخر خطاب منه لي قد مرّ عليه شهران!!

هل كانت خالتي تتآمر على حبنا؟

وفي لحظة تفكير عميق - تزوّجتُ من رشاد.. - زميلي المهندس في الإدارة الهندسية بالجيزة، وزميلي في الدراسة في هندسة عين شمس.

وعاد الدكتور حسام من أمريكا، ليعيش عزبًا، وليعمل مدرسًا في كلية التربية بالزقازيق. ويكادُ يُقاطع والدته؛ لأنها كانت السبب في أن يفقد حبيبته - أنا، حبيبته سناء - التي كم حلم بها، حينما رددت إشاعة موهومة من زميل كاذب!!

كم فكرت في عدم زيارة خالتي العجوز، التي أضحت على مشارف السبعين!

وكم تتعبني رحلتي الأسبوعية لها، من ميدان الجيزة إلى القلعة، وسط زحام قاتل أصبحت لا أُطيقه!

هل ستعيش طويلا: ليتجدد شك رشاد الصامت في مسلكي؟

وهل سأظل على زياراتي المتكررة لها مساء كل خميس؟..

إنها مريضة!..

هل كنتُ مجرمةً يوم تمنيتُ موتها من أسبوعين، حتى أرتاح من شكوك رشاد ونظراته الحزينة الصامتة!

لقد تزوجت رشادًا، عن اقتناع فكري.. وجاء الحب والمودة بعد عشرته اللطيفة، وإنسانيته الدّافقة.. وليس في قلبي، أو عقلي غيره.. فلماذا يُدمّرُ الشكُ حياته؟

وحسام - ابن خالتي - لم أره منذ ثلاث سنوات، ولا يُشكل في حياتي غير هاجس حب قديم.. نسيتُهُ بالفعل.. فلماذا يُصر رشاد على تذكيري به؟.

لمَ لا أصطحبُ رشادًا معي لزيارة خالتي يوم الخميس القادم، وكل خميس بعده؟..

ومع أني لم أفعلها طوال السنوات السبع الماضية، فسأصحبه مع طفلي هاني.. ليرى الواقع الحزين، وحالتها المرضية المتردية!!

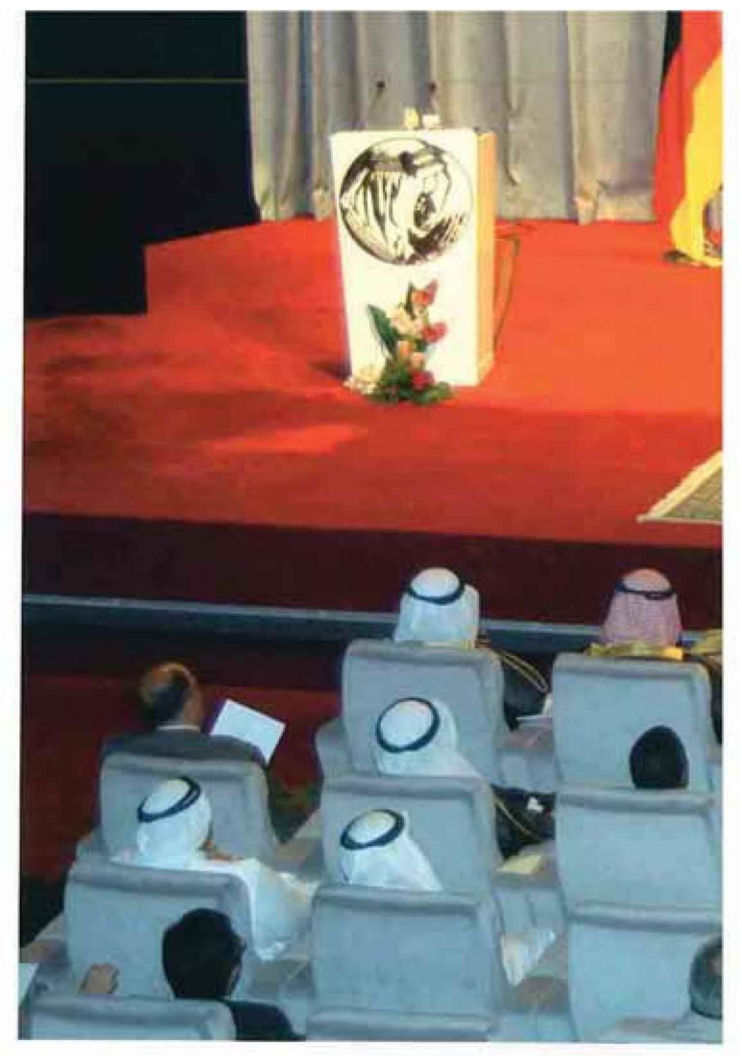
لن أترك رشادًا في رحلاته الطويلة: في شروده الدائم، أو في شكه الذي لا ينتهي.

من الخميس القادم سأجعله يُضمّد جراح قلبه!





التواصل التاريخي
بين أوربا والعالم العربي





الأمير سعود الفيصل والأمير تركي الفيصل في افتتاح الندوة



افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجية، ندوة التواصل التاريخي بين أوربا والعالم العربي، التي نظمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والسفارة الألمانية في الرياض، في المدة من ١٩ إلى ٢١ ربيع الآخر سنة ١٤٢٨هـ (٦-٨ مايو/ نيسان عام ٢٠٠٧م) متزامنة مع احتفالات الاتحاد الأوربي باليوبيل الذهبي لإنشائه؛ وذلك بقاعة المحاضرات التابعة للمركز بمبنى مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

وقال الأمير سعود الفيصل في كلمته: إن انتشار الأنماط المغلوطة، والأحكام المسبقة هي التي تؤثر في علاقات الطرفين، مؤكداً أن هذه العلاقات تعود إلى حقبة أقدم من عام ١٤٥٠م، المحدد في عنوان الندوة.

واستمرت الندوة ثلاثة أيام، وناقشت أوراق عمل مقدمة من خبراء ومختصين عرب وأوربيين، وتناولت مختلف جوانب العلاقات العربية الأوربية، ومنها أهمية الفهم المتبادل بين أوربا والعالم الإسلامي، والتاريخ العلمي



من فعاليات الندوة





للمسلمين في التقدم الحضاري، ودراسات الحضارة الإسلامية في أوربا، ودور الجاليات في دعم العلاقات الأوربية، وصورة شعوب دول مجلس التعاون الخليجي في الإعلام الأوربي، وتأثير فهم الآخر في الثقافات الأوربية المعاصرة، وأهمية الحوار بين الحضارات.

وأوضح صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - أن هذا اللقاء الحضاري يدل على وعي قيادات الاتحاد الأوربي ومجلس التعاون لدول الخليج العربي بأهمية التواصل بيننا، وأشار إلى أن هذه الندوة تأتي في إطار اهتمام المركز في فتح آفاق التعاون والحوار مع المؤسسات الثقافية المختلفة، والجهات المعنية بتوطيد العلاقات الإنسانية تحقيقًا لأهداف المركز في تقديم الحضارة الإسلامية في صورتها الحقيقية، التي هيأت لها الإسهام الفاعل في التقدم الحضاري.

وقال سموه: إن الندوة تأتي في ذكرى التوقيع على معاهدة روما الخمسين، التي أسست ما يعرف الآن بالاتحاد الأوربي، وقبيل اجتماع وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي مع الاتحاد الأوربي في الرياض، وهي تهدف إلى الإسهام في التعرف إلى حقيقة الآخر لا صورته.

وذكر يورغين كريكهوف - السفير الألماني في المملكة - أن العلاقات الأوربية العربية تمتد في عمق التاريخ، مؤكدًا التطلع نحو علاقات أكثر عمقًا.

ودعت بنيتا فيريرور فالدنر - المفوضة الأوربية للعلاقات الخارجية - إلى حوار أكثر عمقًا بين الثقافات المتعددة، ولاسيما بين الثقافتين الأوربية والعربية، متناولة الجذور التاريخية التي تربط بينهما، وقالت: إن جدودنا سيستغربون وجود مثل هذه الخلافات الحاصلة بيننا اليوم.

جاء ذلك في الكلمة التي ألقتها في اليوم الختامي لفعاليات ندوة «التواصل التاريخي بين أوربا والعالم العربي بدءًا من عام ١٤٥٠م حتى الآن».



مشاركة عربية وأوربية في الندوة



وذكرت بنيتا أن أوربا قد تغيرت بعمق في الخمسين سنة الماضية، وتعددت بها الثقافات والأعراق، وأن هناك ما لا يقل عن عشرين مليونًا من المسلمين يعيشون في أوربا، وهم يؤثرون في المجتمعات الأوربية ويتأثرون بها، وعولت على دورهم في تعزيز التعاون والتفاهم بين أوربا والعالم العربي.

وقالت: يجب أن يسهم كل منا في حل المشكلات، وإزالة نقاط الخلاف بين الطرفين. ونوهت المفوضة بالدور الدبلوماسي المتزايد، الذي تؤديه المملكة العربية السعودية في الوقت الراهن.

ودعت إلى دعم المؤسسات الشعبية لكي تسهم في تعزيز قيم التفاهم والتسامح والحوار بين الشعوب، والعمل في هذا الشأن مع الجامعة العربية، ومنظمة

الندوة: ناقشت جذور العلاقات العربية - الأوربية ومستقبلها

المؤتمر الإسلامي، مع التركيز في العمل وسط الشباب بشكل خاص.

وأكدت المفوضة في ختام كلمتها أن أمام أوربا تحديًا وواجبًا تجاه العالم العربي، وأن المفوضية الأوربية مقتنعة - من أعماقها - بضرورة تعميق سبل الحوار والتفاهم حتى لا تكون المسألة مسألة صراع بين الحضارات. كما أكدت أن المفوضية الأوربية ملتزمة ومتعهدة بمواصلة العمل في هذا الاتجاه، مشيرة إلى أن أوربا هي أول كتلة سياسية تقدم الدعم للفلسطينيين.

الأمير سعود الفيصل: الأنماط المغلوطة تشوه العلاقات بين الطرفين

وفي كلمته، قال الدكتور يحيى محمود بن جنيد - الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية -: إن العلاقات العربية الأوربية تضرب بجذورها في عمق التاريخ، بل إن الحروب الصليبية التي كانت معارك ودماء، كان لها آثار إيجابية في تفعيل العلاقات الثقافية، والسعي إلى معرفة أفضل للآخر، وأضاف: أننا في حاجة إلى ترسيخ قيم الحوار، ودعم أواصر التواصل بين العالمين الأوربي والعربي، من أجل مصالح شعوبهما، وبخاصة دول الخليج التي تربط بعلاقات تاريخية مع أوربا.

وقال: إن من المهم الاعتماد على استخلاص العبر والدروس من الماضي، لاستشراف آفاق مستقبلية للتواصل بين العالمين العربي والأوربي.

وأشار إلى أن الموضوع كبير، ويحتاج إلى كثير من مثل هذه الندوة، التي اشتملت على أوراق عمل قيمة من

الأمير سعود الفيصل يفتتح الندوة ثم يتجول في المعرض المصاحب





الخبراء والمهتمين من عرب وأوربيين، أوضحت الجوانب المختلفة للعلاقات بين الطرفين، وقال: إن الندوة على الرغم مما قد يكون فيها من جوانب قصور، إلا أنها كانت ملتقى للحوار، وهذا ما نحتاج إليه لإيجاد أرضية مشتركة للتعاون والتفاهم، وتبادل المصالح.

وقدم الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية شكره إلى الجهات، التي أسهمت في إنجاح فعاليات الندوة، وعلى رأسها وزارة الخارجية، ووزارة الثقافة والإعلام، ومفوضية الحوار مع العالم الإسلامي بالاتحاد الأوربي، والسفارة الألمانية في الرياض، والأساتذة المشاركون، والحضور الكرام الذين أسهموا في إثراء الندوة، كما شكر اللجنة المنظمة والمشرف عليها د.

صالح الخريجي على ما تحقق من نجاح.

وذكر الدكتور صالح الخريجي - المشرف على اللجنة المنظمة للندوة - أن هناك معارض مقامة على هامش الندوة، وهي: بدايات الطباعة العربية في أوربا، ولوحات فنية استشراقية، وأثر العلماء المسلمين في الحضارة الغربية، والرحلات الأوربية إلى الجزيرة العربية، والكتب الصادرة بالعربية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، والكتب المترجمة إلى العربية عن دول الخليج وشبه الجزيرة العربية، إلى جانب معرض فوتوغرافي بعنوان: «ألمانيا بعيون عربية».

وقد أكد المشاركون في الندوة أهمية مثل هذا الملتقى: من أجل وضع أسس قوية للتعاون بين العالمين العربي والأوربي، وإزالة العوائق التي تقف أمام تحقيق التفاهم بينهما، بما يخدم المصالح المشتركة.

وشهد اليوم الأول جلسة: «الفهم المتبادل بين أوربا والعالم العربي»، إذ تناولت د. أولمرت هوفرت - من معهد الدراسات المتقدمة ببرلين - «أثر اختراع الطباعة في الرؤية النصرانية تجاه العالم العربي»، وتناول د. عبدالله يوسف الغنيم رئيس مركز الأبحاث والدراسات الكويتية - «تبادل اليابس والماء: الأصول اليونانية والإضافات العربية»، الذي أشار إلى الإسهامات العربية في الحضارة الإنسانية، موظفة ما لدى الحضارات الأخرى من تراكم معرفي، وركز في الإسهام العربي في علم الجيمورفولوجيا.

المفوضة الأوربية للعلاقات الخارجية: مقتنعون بضرورة تعميق الحوار والتفاهم

الأمير تركي الفيصل: يهمنا معرفة حقيقة الآخر لا صورته

وركزت د. بربارا ميخالاك - المتخصصة في الأدب الخليجي - في موضوع «تسرب الأشكال والأجناس الأدبية العربية إلى الوسط الأوربي والبولندي»، وتناولت د. أولريك فريتاخ العلاقات العربية الأوربية في الماضي وكيفية توظيفها لاستشراف آفاق تعاون وتفاهم أرحب، وأدار الجلسة د. محمد الربيعة.

وجاء عنوان الجلسة الثانية: «التأثير العلمي للمسلمين ودراسات الحضارة الإسلامية في أوربا»، حيث تناول د. جان أرفد هيننجسون - مدير المعهد السويدي بالإسكندرية - تأثيرات المسلمين في تقدم الحضارة الأوربية، وقدمت د. أسمهان سعيد الجرو - من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس - ورقة بعنوان: «الإسهامات الأوربية وأثرها في إعادة إحياء التراث الحضاري لليمن القديم»، تناولت فيها ثلاثة أجيال من الأوربيين العلماء والمستكشفين، الذين قدموا إسهامات كبيرة في التعريف بالحضارة اليمنية القديمة.

وركز د. زاهر عثمان - مدير مؤسسة التراث - في تجربة الأرشيف الوطني، وما عكسته من أهمية التبادل المعرفي بين أوربا والعالم العربي، إذ يحتاج كل من الطرفين إلى الآخر، وتناول الأستاذ عبداليحيى تجارب الرحالين الذين عبروا الربع الخالي، وتطرق بشيء من التفصيل إلى تجربة عبدالله فلبي، وأدار الجلسة د. عوض البادي.

وعقدت في اليوم الثاني جلستان: الأولى: بعنوان: «المجتمعات العربية في أوربا: جسور للعلاقات بين أوربا

السفير الألماني: نتطلع إلى علاقات أقوى وأمتن بيننا

والعالم أم عوائق»، إذ تحدث الدكتور. ورنر دوم تحت عنوان: «الحروب الصليبية ومؤثراتها وما أحيط بها: رؤية جديدة»، وتطرق إلى بعض القصص غير المتداولة عن هذه الحروب، مشيرًا إلى ما كان له من تأثير في فهم أعمق للآخر. وأدار الجلسة د. صالح الخريجي المشرف على اللجنة المنظمة للندوة.

وجاءت ورقة د. ماريا هولت من جامعة وستمنستر البريطانية بعنوان: «بيان شائع: المرأة المسلمة كمركز إثارة في الغرب»، متناولة الجوانب التي يراها الغربيون مثيرة في المرأة العربية، والتي يركزون فيها.

وفند د. أحمد سيف الدين الأسباب التي تحول دون تحقيق التفاهم بين الجانبين العربي والأوربي، داعيًا إلى بذل جهود أكبر حتى يستطيع العربي في أوربا أن يكون جزءًا فاعلاً في المجتمع الذي يعيش فيه. وجسرًا للتواصل بين العالمين بدلاً من أن يكون سببًا في زيادة عدم الثقة. وقارن د. جان سنادوف - من مركز جمعية الشؤون الدولية بجمهورية التشيك - بين الجاليات العربية في أوربا الشرقية والغربية، مركزًا في أوضاع الجالية الإسلامية في ألمانيا. وأدار الجلسة الأستاذ عبدالله الكويليت مدير تحرير مجلة الفيصل.

وجاءت الجلسة الثانية بعنوان: «الصورة عن الآخر في أوربا ودول مجلس التعاون»، وشارك فيها د. أبو بكر باقادر - وكيل وزارة الثقافة والإعلام - بورقة عنوانها: «الإنسان العربي وثقافته في الصحافة والفكر الجماهيري في أوربا اليوم»، وشدد على أهمية أن يحاول كل طرف فهم الآخر، وأن يحترم الإطار القيمي الذي ينطلق منه. وتناولت د. جيما مارتين مونو، ود. جيل كيبل. التصورات الخاطئة لكل طرف عن الآخر، وركز د. عبدالعزيز بن سلمة - وكيل وزارة الثقافة والإعلام المساعد لشؤون الإعلام الخارجي - في المراحل التي تشكلت خلالها صورة العربي في الذهنية الأوربية في الوقت المعاصر، مؤكدًا أهمية بذل الجهد لوضع أرضية مشتركة للتعاون والتفاهم؛ وأدار الجلسة د. يحيى محمود بن جنيد - الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وضم اليوم الأخير للندوة جلستين الأولى بعنوان: «فهم الآخر في الثقافة المعاصرة العربية والأوربية». فقدم

المفوضة الأوربية للعلاقات الخارجية







إحدى جلسات الندوة

معالي الدكتور علي النملة - وزير الشؤون الاجتماعية سابقًا - ورقة بعنوان: «صناعة الكراهية بين الثقافات: أثر الاستشراق المباشر في افتعالها». وتناولت د. سوسن دالقرن - من مجلس هلسنكي للدراسات المتقدمة في فنلندا الدراسات المعاصرة عن المرأة وجنس الأنوثة والذكورة في الشرق الأوسط. نظريًا ومنهجيًا. كما شارك في الجلسة الأستاذ روبرت ولترنج - من المعهد الدولي لدراسة الإسلام في العالم الحديث بجامعة لايدن الهولندية - والأستاذ باسكال مونريه - الباحث الزائر بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

واختتمت جلسات الندوة بجلسة عنوانها: «الحوار بين الثقافات والحاجة إليه» شارك فيها الدكتور إيكهارت شولتز - من جامعة لايبسج الألمانية - والدكتور سانتيويجو ماسيس من جامعة الجراف البرتغالية، وقدمت د. فاطمة السويدي - بكلية الآداب بجامعة قطر - ورقة بعنوان «دول مجلس التعاون والاتحاد الأوربي تواصل وتعاون». وأدار الجلسة الأستاذ حمد الشريف.

وكان للعمارة حضورها في الندوة من خلال مشاركة د. أسامة الجوهري، ود. عماد الدين أوطه باش، وأدار الجلسة د. محمد الحصين.



بدوي راضي..

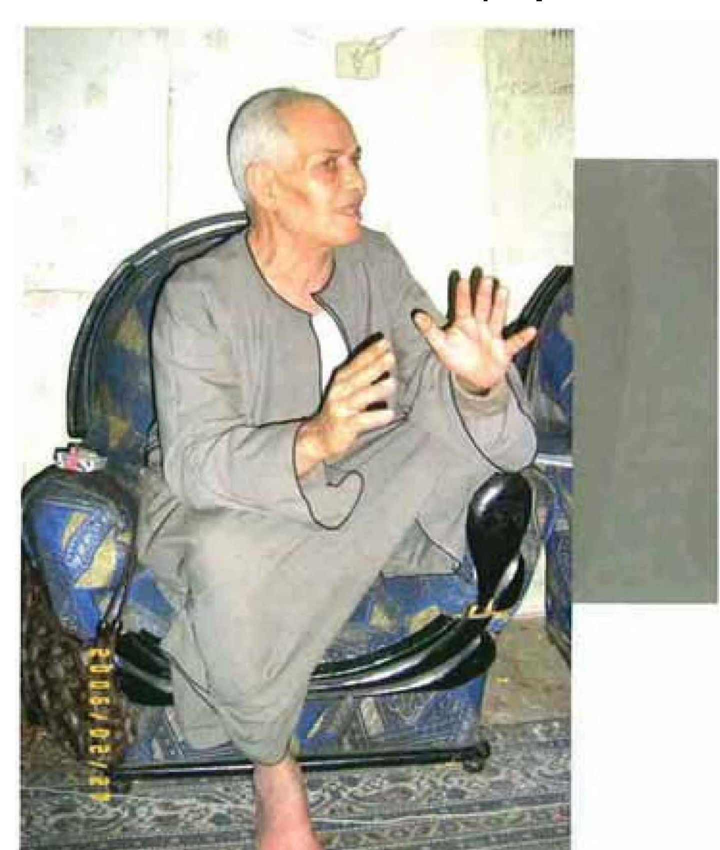
الحداثة لاترادف الغموض

عقيل بن ناجي المسكين
الأحساء- السعودية

أجري هذا الحوار في طنطا مسقط رأس الشاعر بدوي السعيد راضي قبل وفاته بشهر تقريبًا، التي كانت في ٢٠ من المحرم ١٤٢٨هـ الموافق ٨ فبراير / شباط ٢٠٠٧م. وقد تركز الحوار في جانب واحد من الموضوعات المهمة، التي تناولت الشعر الحديث، وهو الغموض، وقد تحدث الشاعر عن هذه النقطة من خلال تجربته الشعرية، التي بدأت قبل نحو أربعين عاماً، وربما أكثر. وكم كنت أتمنى أن يطول هذا الحوار لتسجيل جوانب أخرى من تجربته الشعرية. وكم كنت أتمنى أن أسجل بعض قصائده بصوته! ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

والشاعر الراحل عمل في المملكة العربية السعودية ثلاث عشرة سنة، وكانت له علاقات طيبة، وتواصل وثيق مع بعض أدباء المملكة، وشعرائها، ومثقفيها، خصوصًا ما يتعلق بمجال عمله في التربية والتعليم.

بدوي راضي



❖ بعض النقاد يتحدثون عن ظاهرة الغموض في القصيدة الحديثة، وينتقدون شعراء الحداثة الذين يتعمدون - في تركيب نصوصهم الشعرية - أن تكون مُركبة تركيباً معقداً إلى درجة أن المتلقي لا يفهم شيئاً إلا الكلمات منفردة بعضها عن بعض؟

- سؤالك هذا سأجيب عنه من خلال أحد المواقف التي مررت بها مؤخراً. وسأتطرق إلى رأيي الشخصي من خلال تجربتي الشعرية. كان أحد الأصدقاء ممن يكتبون باللغة الدارجة، وكنت أقابله بشكل اعتيادي. ولكنني في إحدى المرات قابلته في اتحاد الكتّاب بطنطا، وقد أهداني ديواناً له، فأخذت الديوان، وقرأته بخلفية الاستهانة - حتى أكون صادقاً معك - ولكنني فوجئت في آخر صفحة في الديوان أنه أصدر عشرة دواوين، تسعة منها إصدارات رسمية، وسألت بعضهم ومنهم الدكتور محمد عبدالباسط زيدان، والأستاذ محمد الشريف، وهما من الشعراء المتازين، فقالوا عنه - باللهجة المصرية -: إنّه شاعر «هجاص». ولكنني وجدت نفسي حائرًا، إذ أهدى إلي هذا الشاعر ديوانه، ولكنني أحمل عنه - حتى تلك اللحظة - تلك الصورة المشوّهة التي رُسمت عنه. فقلت في نفسي: لابدّ أن أقرأ هذا الرجل مرة أخرى بهدوء. وأنظر في شعره مرة ومرتين وثلاث مرات، والديوان لا يزال موجوداً لديّ، وقد رأيت أنه وصل إلى مرحلة من اللغة بحيث يمكنك قراءتها على أنها لغة فصيحة، ويمكنك أيضاً قراءتها على أنها لغة دارجة. وعندما نُظّمت ندوة لمناقشته في طنطا، قام أحد النقاد بمهاجمة هذا الشاعر حول هذه النقطة خصوصًا، فقلت له: أنت تهاجمه من أحسن نقطة تُسجّل له لا عليه، هذا الرجل يحتاج إلى دراسة، إذ كيف وصل إلى هذه اللغة؟.. اللغة التي تقرؤها من الوجهين، من جهة تقرؤها فصيحة فتأتي معك، ومن جهة تقرؤها عامية فتأتي معك

فكيف نهاجمه وهو قد أبدع في ذلك، أنت تهاجمه في نقطة تميّز بها، هذا من جانب.

أما الجانب الثاني الذي أثرته حول هذا الشاعر وهو نقطة تتعلق بسؤالك حول الغموض، وقد اتّهمه بعض النقاد بأنه غير مفهوم، وأنه يقول كلاماً غامضاً. فقلت لهم: إن هذا الرجل إذا تمت قراءة شعره مرة ومرتين وثلاث مرات يمكن فهمه، وأنا مقياسي لجودة الشاعر من خلال تجربتي الشعرية أنه قد يتعبني ولكنه في نهاية المطاف يعطيني شيئاً، فبعد قراءتين، أو ثلاث، أو أربع قراءات يمكن فهمه، ولكن يبقى سؤال، وقد وجهته إلى هذا الشاعر وإلى النقاد في الأمسية، من الذي يمتلك الوقت ليقرأ شاعراً أربع مرات؟

والطريف أنه كان هناك تعليق لأحد الحضور، وقد أضحكني كثيراً إذ قال: في الزمن الماضي لكل مئة شاعر ناقد واحد، أما الآن فلكل شاعر مئة ناقد، فقد أصبحت لغة شعراء العصر الحديث صعبة جدًا وهم يحتاجون إلى كثير من النقاد لفهمهم. وقال أحد النقاد الموجودين في هذه المسامرة في تعليق له: ربما مئة ناقد لا يفهمون شاعراً غامضاً فهو بحاجة إلى ألف ناقد ولن يفهموه أيضاً.

إذن الغموض المطلوب هو الغموض الذي يعطيك مفاتيحه بسرعة، وأعني بذلك أن يقدم الشاعر نصه على مراحل، ولا يبقى مغلقاً حتى يُلجئني إلى قراءته أكثر من مرة، فالقراءة الأولى تعطيني شيئاً، وفي القراءة الثانية يتوضح لي النص، وأستطيع أن أقبض على مفاتيحه، ويتم فهمه.

❖ لتوضيح هذه الإشكالية بشكل أوسع، ما رأيك في الغموض على مستوى النص الواحد، كيف يوفق الشاعر بتوظيفه من جهة، والإشارة إلى مفاتيح لفهمه من جهة ثانية؟

- على مستوى النص الواحد إذا كان مغلقاً من البداية حتى النهاية يعد تعقيداً معنوياً، ولكن إذا كان فيه نوعٌ من التدريج - كما نوّهتُ إلى ذلك - إضافة إلى استعمال اللغة الوسطى، وإتقان التركيبات المجازية، والاستعارات، والتشبيهات، وإن كان فيها نوعٌ من الغموض لكن هناك بعض المفاتيح في مواضع معينة من النص؛ لفهم هذه الصّور والمعاني منفردة ومجتمعة، هذا النص يصبح مقبولاً، أما إذا كان هناك تحدٍ من الشاعر للمتلقين فهذا الكلام لا يُقبل على الإطلاق، فنحن لسنا هنا بصدد التحدي بين المبدع والمتلقي، إننا بصدد إبداع نص ينطلق من المبدع (المرسل) إلى المتلقي (المرسَل إليه)، وفي هذا المضمار أُثير نقطة مهمة وهي: هل أنا أكتب لنفسي؟.. فما دام هناك عزم لديّ للكتابة فلا بدّ أن يكون هناك من يتلقى ما أكتب، أليس كذلك؟!.

فالنص رسالة، والرسالة تصدر من مُرسل إلى مُرسل إليه، وبذلك هناك ثلاث محطات (المُرسل، والرسالة، والمرسَل إليه) ولابد أن يكون هناك تواصل بين هذه المحطات الثلاث، فالمُرسل يعي ما يقول، والرسالة غير مغلقة، وغير غامضة وإن كان فيها شيء من الإغلاق والغموض، وليست كلها، والمرسَل إليه يعرف ما يقال، ويعيه من خلال المفاتيح.

كلمة الحداثة في الشعر مطاطية، ولها كثير من التأويلات، وبذلك يقع المبدع في التشويش الذهني

ويمكن أن أضيف إلى هذا التخطيط في إبداع النص الحديث نقطة مهمة تحتاج إلى مهارة، فالشاعر قد يكون غامضاً، ولكنه يمتلك ما يدفعك لمتابعته وقراءته، إنه يسيطر على أدواته، ويسيطر على الغموض في نصه فلا ينفّر المتلقي، إذن الغموض الذي يلجأ إليه الشاعر هو غموض يحتوي على شيء من الذكاء، الذي يستدرج المتلقي، إنه الغموض الذي يُغري المتلقي للبحث والمعرفة، إذ يعطي المتلقي الإحساس بالدهشة فلا يتركه، وهذا ما حصل لي عند قراءتي ديوان ذلك الشاعر العامّي، وهو تماماً ما شدّني إليه، وحكمت عليه حكماً عادلاً، وكنت من ذي قبل مُتسرعاً في الحكم على نتاجه الشعري.

المبدع يشعر بما يريد أن يقول، وما يريد أن يكتب، ومن خلال الشعر يبعث هذه الأحاسيس، ويطلقها إلى الآخر

❖ في جُلّ قصائد ديوانك الذي أصدرته مؤخراً «خولة لا تقرأ الشعر» يُلاحظ النَّفَس الواحد من حيث استخدامك أوزاناً مُحددة، هذا من الناحية الموسيقية، ومن ناحية أخرى طريقة البوح بالهم الخاص والعام عن معاناة الذات، والإحساس بمعاناة الآخر.. ما رأيك؟

- إذا كنتُ قد وفّقت في ذلك فإذاً أنا نجحتُ في إيصال رسالتي الشعرية إلى المتلقي، وهنا يجب أن أسأل سؤالاً وسأجيب عنه، وهو: هل نكتب القصيدة، أم القصيدة تكتبنا؟.. وبالطبع إن المبدع يشعر بما يريد أن يقول، وما يريد أن يكتب، ومن خلال الشعر يبعث هذه الأحاسيس، ويطلقها للآخر، ولا تكون هذه العملية إلا إذا كان المبدع صادقاً مع نفسه، وصادقاً مع الآخر، فهناك إذن تجربة ذاتية للمبدع، ولا تكون هذه التجربة ذات صدقية عند الآخرين إلا إذا كانت تجربة صادقة، فإذا ذهب الصدق لا تنتظر عملاً فنياً، وعلى مستوى التجربة الذاتية لديّ في الوقت الحاضر قصيدة جديدة، ولكنني لم أظهرها لأحد؛ لأنها لم تكتمل، ولا أشعر أنني سأكملها في يوم، أو يومين، وأنا لست مستعجلاً على إظهارها؛ لأنني أريد منها أن تكون عملاً يرضيني أولاً، وإذا لم أقتنع بها لا أنشرها أبدًا، ولو أتيح لي الوقت لأتممتُ قصيدة طويلة مخطوطة اسمها «دردشة غرامية في الحبّ والواجب والعيال»، وهي قصيدة تتحدث عمّا جرى في عهد اتفاقية كامب ديفيد، وهي تجمع بين الفصحى والدارجة في بعض مقاطعها، وإذا صلُحت قد تُنشر بوصفها وثيقة؛ لأنها تعبّر عن مرحلة من تاريخنا.

❖ ما انطباعك عن بعض ما يصدر من الدواوين الجديدة بين الحين والآخر، في ضوء هذه الرؤية للقصيدة الحديثة، وخصوصًا ما يتعلق بجزئية الغموض موضوع الحوار؟

- عادة ما أحصل على إصدار، أو إصدارين من دواوين الشعراء الآخرين، من الصديق الفنان التشكيلي أحمد الجنايني، وهو يشرف على إصدارات إيزيس للإبداع والثقافة، إذ كنت أتابع معه إصدار ديواني «خولة لا تقرأ الشعر»، وقد اطّلع أبنائي على بعض هذه الدواوين، وتعجبوا كثيراً مما يُكتب فيها، كما يتعجبون من نشرها مع أن بعض أصحاب هذه الدواوين من الأسماء الكبيرة، وبعضهم يحمل درجة دكتوراه، وما تم نشره لهم لا يتناسب مع قاماتهم الكبيرة، وقد تصفحت أغلب هذه الدواوين

فوجدتها متفاوتة في الجودة، حتى على مستوى الديوان الواحد. ومن هنا أؤكد أن الشاعر لابد أن يشعر بشيء ما يلحّ عليه، ويدعوه إلى الكتابة. فالقصيدة إذن لا تكتبني وإنما أكتبها. هذا هو دورها الأول. ويأتي الدور الثاني عندما تأتيني القصيدة أتركها تخرج شيئاً فشيئاً. وقد تطول عندي عاماً كاملاً. أُنقّح فيها حتى تصبح ورقة القصيدة مهلهلة في جيبي.

ولا أعترض على كثرة الإصدارات، فكل ما في المكتبة في رأيي يستحق أن يُقرأ. ولكن ليس كل ما يستحق أن يقرأ يكون إبداعاً حقيقياً بالضرورة. ولكنني أتمنّى أن يكون هناك عطاءٌ يستحق أن يُقرأ للشاعر، حتى لو كان ديواناً صغيراً. ولكنك تنظر الآن إلى الشعر في عصرنا الحاضر وكأنه النّسل تماماً. كما هو الحال عندنا في مصر. ولكنه نسلٌ غير منتظم. فالكلمة يُفترض أن تكون عزيزة لا مُبتذلة.

❖ هناك من يقول: إن كلمة الحداثة في الشعر مطاطية، ولها كثير من التأويلات. وبذلك يقع المبدع في التشويش الذهني. وكما قيل عنها أيضاً: إنها لا تقوم على قواعد ثقافية رصينة. ما رأيك؟

- دعاة الحداثة في الشعر العربي المعاصر انطلقوا في أواخر الخمسينيات، أو بداية الستينيات الميلادية. وكانت هناك مجلة تصدر، اسمها مجلة «شعر». كان يكتب فيها يوسف الخال، وأدونيس، وبعضهم من مصر مثل مجاهد عبدالمنعم مجاهد وآخرين. وكان لهذه المجلة سمت معين، وهي مختلطة بالتراث الأجنبي والفرنسي على وجه الخصوص. ومن أولى القصائد التي أذكر أنني قرأتها في هذه المجلة قصيدة «شمة أفيون» ومعناها المقصود: اتركني أقول ما أريد قوله. وقد استمرت هذه الدعوة للتحديث في القصيدة العربية على طريقتهم عدة سنوات، وبعضهم واصل طريقه وبعضهم توقف. وأتذكر أنه كانت لدي بعض أعدادها القديمة. وقد زارني مرة الشاعر أحمد زرزور - رئيس تحرير مجلة «قطر الندى» للأطفال -، فوجد عندي بعض أعدادها القديمة، ففرح بها كثيراً. فلم أملك إلا أن أعطيته هذه الأعداد. وقد أبلغني أنني أعطيته كنزاً كبيراً، وسألني من أين لي هذه الأعداد؟ فقلت له: إنها عندي منذ أكثر من ثلاثين عاماً. وقد مثّل صديقي أحمد زرزور ومجا من الاندهاش بهذه المدرسة الشعرية. فأدونيس ابن هذه المدرسة. وكان في وقته أكثرهم تعقلاً وقرباً من العقل. وقد أصدر ديوانه «أغاني مهيار الدمشقي». وتتضح فيه الرؤى المنطقية. ولأنه كان قريباً من التعقل والمنطق استمر الشاعر في عطائه إلى وقتنا الحاضر، بينما بعض الذين بدؤوا معه توقفوا عن العطاء. ومنهم من انزوى عن الساحة.

أرى أن الحداثة أميَز ما فيها هو الإيجاز. إنما إذا وصلت إلى حدّ الثرثرة: فهذا يعني خروجها عن الإبداع. فالحداثة معناها أن أختزن العالم، وأُعيد إخراجه برؤية معاصرة وموجزة، مع إضافة جزئية مهمة، هي وجود المفاتيح لفهم هذا النص الحداثي، وهذه المعادلة صعبة

> الحداثة معناها أن أختزن العالم، وأُعيد إخراجه برؤية معاصرة وموجزة مع إضافة جزئية مهمة، هي وجود المفاتيح لفهم هذا النص الحداثي

التعريب في السابق لا يعني أن أجلب من الغرب مصطلحاً وأحشره حشراً في مقالي ودراستي إذا لم يكن له جذور عندنا

الحداثة تنطلق من التراث



جداً، لا يقدر عليها كلهم. وهناك من الناس من يأخذون المسألة بسهولة، فيكتبون أي شيء، ويطبعون ما يكتبون، هؤلاء هم الذين لم يهضموا الحداثة الحقة، ولم يعرفوا قواعدها الرصينة، بل عرفوا عنها شيئاً، وغابت عنهم أشياء أخرى، وبإمكاني أن أطرح عليك بعض أسماء الدواوين، وهي لا تحتوي إلا على الثرثرة الزائدة فحسب.

❖ بماذا تنصح الشعراء الشباب حتى لا يقعوا في «حداثة خاطئة»، حداثة ليس فيها غير التعمية والغموض غير المستحسن؟

- أنا أنصح الشعراء الشباب بما نصحتُ به ابني الذي يهوى الرسم، فلو نظرنا إلى «بيكاسو» سنجد أن لديه لوحات كلاسيكية، وهي أبدع ما يكون، ولم يصبح «بيكاسو» على ما هو عليه إلا بعد أن مرّ بكل المراحل، حتى وصل إلى أسلوبه الخاص الذي عُرف به، أما أن يقفز الشاعر اليافع إلى آخر مرحلة مباشرة؛ فهذا هو الخطأ بعينه، إذن لابد أن يتعرّف الإنسان إلى تراثه، فتراثنا عظيم، ويحتاج إلى من يتعرف إليه حق معرفته؛ خصوصاً نحن لسنا متخلفين في نتاجنا الإنساني، نعم هناك تخلّف في المجال العلمي التطبيقي و«التكنولوجي»، الحديث من صناعات «استراتيجية» وغيرها، نعم قد يظهر عندنا بعض العلماء في المجالات العلمية الدقيقة كالذرة والفضاء، ولكنهم يجدون طريقهم في الغرب أكثر من بلداننا العربية؛ لوجود من يحتضنهم ويهيّئ لهم السبل والإمكانات، ولكننا لسنا متخلفين في نتاجنا الإبداعي الإنساني من أدب وثقافة وفكر، ونحن لا نقل عن العالم في هذه المجالات، بل أكاد أجزم بأن رؤيتنا في هذه النتاجات الإنسانية والأدبية أفضل بكثير، أما ما يحصل في الساحة من خروج عن الإبداع الحقيقي، في مجال نقد الأدب، فيمكنني أن أطرح هذا السؤال وهو: ما الذي يحدث؟.. وأجيب أن الذي يحدث هو قيام بعض النقاد بقراءة النص الأدبي الرديء، وتحويله - بنقدهم - إلى نص أدبي غاية في الروعة والإبداع، وهو في حقيقته لا يساوي شيئاً، أي: أنهم يستخرجون من (الفسيخ) (شرباتاً)، كما يمكن لهؤلاء النقاد - أيضاً - أن يستخرجوا من (الشربات) (فسيخاً).. إنهم يلوون عنق الحقيقة إلى اهتماماتهم هم؛ وذلك لأنهم تشرّبوا بفكر الغرب ومدارسه النقدية، لذلك يقرؤون باهتمام،

حتى أنت إذا قرأت شيئاً باهتمام فإنك ستلاقي فيه شيئاً، وإذا كان هذا الشيء الذي وجدته جيداً فإنك ستستخرجه على الرغم مما حوله من أشياء كثيرة غير جيدة.

ومن النصائح التي أنصح بها الشعراء الشباب، هي: أنك عندما تعجب بشاعر معين لا تحاول أن تقرأ أعماله الكاملة؛ لأنك عندما تقرأ أعماله الكاملة ستكتشف شيئاً لا محالة، خصوصاً أن هذا الشاعر يكون حريصاً في مجموعته أن يملأ كل شيء. وهذا شيء غريب. وقد لمسته بنفسي عندما قرأت مجموعة كاملة لأحد الشعراء، وكنت من المعجبين به أيما إعجاب، ولكنني اكتشفت بعد الانتهاء من قراءة هذه المجموعة الكاملة أنها تحوي مساقين من الإبداع، إبداع متوهّج، وإبداع غير متوهج. ويمكنني أن أسمي ذلك أيضاً توهجاً في بعض القصائد، وانطفاءً في قصائد أخرى. وقد وجدت في هذه المجموعة أن الجزء الأكبر من قصائد هذا الشاعر من القسم غير المتوهج، فشعرت بالحزن والأسى على ذلك. وأنا أعتقد أن القراءة المختارة للإبداعات المعتبرة هي الفضلى، وهي ما ينبغي للشعراء الشباب أن ينتهجوه في تحصيلهم وقراءاتهم للشعراء.

❖ وماذا عن الجهات الرسمية، هل تقوم بإعداد برامج مُرضية ومناسبة؛ لاكتشاف المبدعين الشباب وتشجيعهم؟

- هذا الموضوع يذكّرني بأحد شعرائنا الشباب. وقد انبهرتُ بنتاجه الشعري، فهو يمتلك قدرة فائقة على قول الشعر. وقد استفسرتُ عنه من بعض الإخوة، وذُكر لي أنه لا يزال طالباً في الجامعة، وبالطبع سيحتاج إلى المصاريف فلم يجد عملاً إلا أن يبيع الخيوط والإبر الخاصة بالخياطة لكي يكسب قوته، ويصرف على نفسه، وقد لفت نظري أن هذا الشاب يمتلك لغة شعرية قوية جداً. فما الذي جعل هذا الشاب يأخذ هذا الحجم في نظري؟.. إنها بكل تأكيد القراءة؛ لأنني قرأته جيداً، وكررت قراءة أشعاره مرة ومرتين. فشممتُ فيه رائحة المبدع الحقيقي، هذا الشاب لو لقي رعاية خاصة لحصل على فرصة كبيرة للنمو، إنما الظروف العامة ألجأته إلى بيع الإبر والخيوط في «دمنهور»؛ لكي يصرف على نفسه.. فهذا المبدع الشاب كوّن نفسه، ولكن الجهات الرسمية المهتمة بالعطاء الثقافي والإبداعي لم تكوّنه. ولم تساهم في هذا التكوين لتطويره إلى الأفضل، لماذا؟، طبعاً سيكون جوابي هو عدم وجود جهاز متخصص لاكتشاف المواهب الجديدة، والمبدعين الواعدين، فلو كان هناك مؤسسة خاصة لذلك، بحيث توظف بعض المتخصصين في مختلف الإبداعات الأدبية من المتقاعدين والمحالين على المعاش، أو المتفرغين؛ وذلك لقراءة الإنتاجات الشبابية الجديدة، ثم كتابة تقارير عن هذه الإبداعات للالتفات إلى المبدعين الحقيقيين منهم، أو ممن يلفتون الأنظار، ومن يُشمّ فيهم رائحة التميّز من غيرهم، وذلك لاحتوائهم ومساعدتهم، ولكن الواقع غير هذا الحلم، فالمبدعون يضيعون في زحمة الحياة وغلاء المعيشة.

❖ إنهم يتحدثون عن تخلفنا الثقافي والفكري وأن الحداثة الشاملة في الثقافة والفكر والأدب ومختلف مجالات الحياة نتيجة طبيعية للحضارة الغربية. ما رأيك؟

- سبق أن ذكرت أننا العرب والمسلمين، لسنا متخلفين في الجوانب الإنسانية من ثقافة وفكر وعلوم اجتماعية ونفسية وأدبية، ولغات، وما أشبه ذلك. وهذه التهمة مردودة عليهم، كما ذكرت - أيضاً - أننا بطبعنا نميل إلى التحديث في هذه الجوانب الإنسانية حسب تطور الحياة

وتقدمها، وفي هذا المضمار كنت مشغولاً في الفترة الأخيرة بالقراءة الجادة في الحداثة، وآخر ما قرأتُ في هذا المجال كتاب (نقد الحداثة) للدكتور حامد أبو أحمد، وقد أهداني إياه صديقنا الدكتور محمد عبدالباسط زيدان، فقرأت الكتاب واكتشفت أننا - بطبعنا وفكرنا - حداثيون، وأن أي ناقد عندما يكتب عن الحداثة - إذا هضمها - فإنه سيوفق في إيصال المعلومة جيداً، وإذا لم يهضمها فإنه يترجم ترجمة فقط، وقد تكون هذه الترجمة رديئة جداً، وإني أتهم بعضًا من مفكرينا ونقادنا الكبار؛ لأنهم وقعوا في هذا الخطأ، وقد وجدتُ الدكتور حامد أبو أحمد معارضاً لكمال أبو ذيب، وقد كان بينهما موقف حاد وقد أسميه تصفية حساب؛ لأنهما في زمن سابق كانت بينهما بعض المناوشات النقدية، فكتاب (نقد الحداثة) كتاب قيم، وأفهم ما يرمي إليه مؤلفه، ولكن في بعض الأحيان يلتبس عليّ الأمر فأرى هناك إشارة إلى تحشية، وإذا هو ينقل كلاماً مترجماً لبعض المفكرين والنقاد الغربيين، فألاحظ ذلك جيداً، وأعرف أننا بوصفنا مفكرين ونقادًا نستطيع أن نفكر، ونقول، ونستنتج، ولكننا عندما نتكئ على الغربيين ربما يكون هناك لبس من سوء الترجمة، أو من الترجمة الحرفية الخاطئة؛ أو لأن فكر الغربيين برمته عقيم، ولا يصلح لذوقنا العربي، فنحن لدينا

لغة شعراء العصر الحديث صعبة جدًا وهم يحتاجون إلى كثير من النقاد لفهمهم

أجيال سابقة نشأنا على فكرهم، كالعقاد ومحمد مندور، وغنيمي هلال، ورشاد رشدي، وآخرين، كانوا يقرؤون الفكر الغربي ويستوعبونه جيداً.

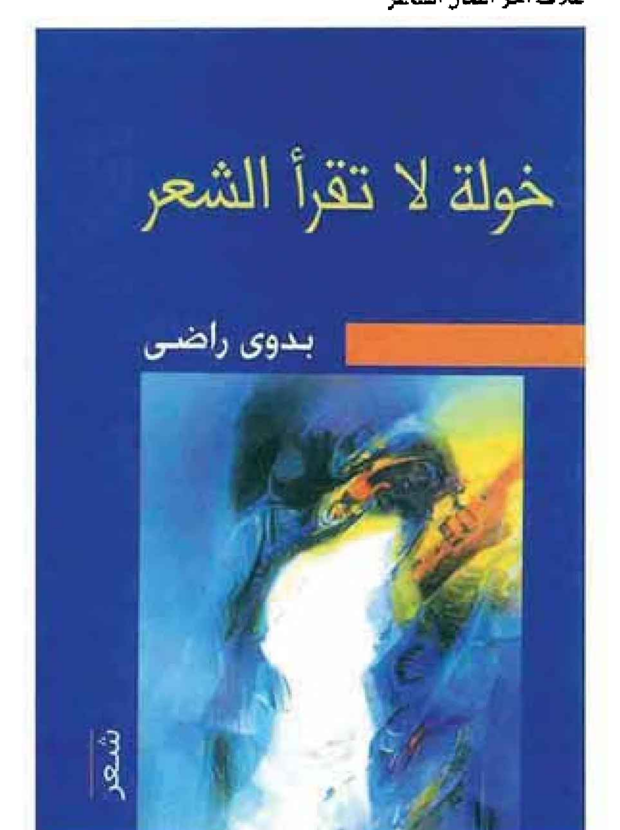
والترجمة سابقاً كانوا يسمونها «تعريباً» وهي تختلف عن «الترجمة»، فالتعريب في السابق لا يعني أن أجلب من الغرب مصطلحاً وأحشره حشراً في مقالي ودراستي إذا لم يكن له جذور عندنا، وإذا لزم ذلك يُفسر المعرّب هذا المصطلح ويشرحه، وأستحضر هنا كتاباً أعدّه الدكتور سعد البازعي أستاذ الأدب الانجليزي في جامعة الملك سعود بالرياض، وذلك بالاشتراك مع أحد المتخصصين، وهو كتاب جيد يشرح عددًا من المصطلحات، وعددًا من التيارات النقدية الغربية، وسعد البازعي توجهه الحداثي جيد؛ لأنه لم يشطّ مثل كثيرين.

وهناك كتب أخرى تحدثت عن المصطلحات بدقة، ولا يستغني عنها الأديب والشاعر والناقد فضلاً عن المتلقي، وأنا أنتقد أي كاتب يلقي بالمصطلحات الغربية في كتاباته، ويحشرها حشراً من دون أن يشير إلى معانيها، إذ يتوجب عليه أن يحدد هذا المصطلح وذاك تحديداً منطقياً، وأنا أنتقد من يقول إن هذه مسؤولية المتلقي، هذه بصراحة ليست مسؤوليتي كمتلق؛ لأنني - بصراحة - في موقع المُرسل إليه، وأنت الكاتب في موقع المُرسِل.

الغموض المطلوب هو الغموض الذي يعطي القارئ مفاتيحه بسرعة، لا الذي يظل مغلقًا

فإما أن ترسل لي رسالة متكاملة ومفهومة، وإما ألا ترسل شيئاً، إذ يتوجب عليك أن تتعامل معي بشيء من الرحمة أيضاً. فالمصطلحات أيها الكاتب العصري، ويا أيها الناقد السائر في ركب الحداثة، يمكنك بكل بساطة تفسيرها في آخر الكتاب، أو في هامش كل صفحة يرد فيها مصطلح من هذه المصطلحات، فأنا متلق، وأحتاج إلى ذلك. كما أطلب منك أيها الكاتب الحداثي ألاّ تزيد كتابتك تعقيداً، فهذا الأمر لا يستحق كلّ ذلك. فالحداثة في تصوّري أن يكتب الإنسان بإيجاز، وكل الكلام الذي يمكن الاستغناء عنه فعليك أن تحذفه من دون تردد، فهو من فضول الكلام، وأتذكر في هذه النقطة أن صديقي الشاعر أحمد زرزور كان يُمسك بديواني «خولة لا تقرأ الشعر» عندما كان مخطوطاً، وأخذ يشطب بقلمه بعض الكلمات لاعتقاده أنها زائدة على المعنى، وأن المعنى يكتمل من دونها، ومن ذلك ما جاء في قصيدتي (تكوين):

غلاف آخر أعمال الشاعر



تقولُ هو الرقّ؟!

.. هل يمنع الرقّ قلباً عن النبض ..

فأراً عن القرض..

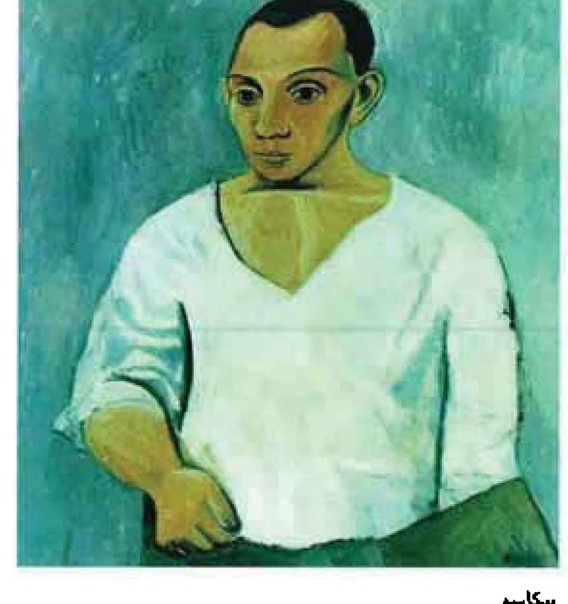
حراً عن الرفض ..

.. سيفاً عن الومض ..

سيفاً يصولُ .. ويتركُ ستر الظلام.

وقد أشار إلي الشاعر أحمد زرزور بحذف بعض الكلمات التي يراها زائدة على المعنى والصورة، وكانت له وجهة نظر في ذلك، وإن كنت لم أعمل بها إلا أنني أحترم وجهة نظره على أي حال، وهو يعتقد أن هذه الزوائد من الحشو، ولكنني أعتقد أنها من التكرار الفني، وهناك فرق واضح بينهما، والتكرار الفني وارد في البلاغة العربية، وممن تطرق إليه الجرجاني في كتابه «أسرار البلاغة»، وهذا الكتاب القيّم أنصح طلابنا بقراءته قراءة جادة، وهضمه جيداً، فهو من الكتب التي لا ينبغي أن تقف عندها، كما تقف عند محطة ما، ثم ترحل عنها، وإنما تقطن في هذه المحطة عدة أيام، بل أسابيع لتستلهم كلّ ما جاء في هذا الكتاب؛ لأنني أعتقد أنه سيعلمك عن الحداثة الشعرية أشياء كثيرة. أما الحداثة المشوّهة الموجودة - حالياً - فهي حداثة القفز غير المشروع على التراث الأصيل، لذلك فإن كثيرًا من

لو كانت الأمة تقرأ الشعر لتغيّر حالها، وأعني بالشعر أيّ شعر، حتى لو كان بسيطاً



بيكاسو

دعاة الحداثة يتنكرون لمثل هذه الكتب القيمة، وقد تطرقت إلى ذلك في قصيدة لي بعنوان (سمك لبن تمر هندي) وهي منشورة في ديواني «خولة لا تقرأ الشعر»:

أثبت للعالم أنك فنانٌ قادر
فإذا أعطاك الإقرار بهذا
فارحْ نفسك واكتب ما جاد به الخاطر..
«كحّتك» الشتوية تصبحُ «موّالا».
و«سُعالك» يصبح «كونشرتو».
أما «عطستُك» فمدرسةٌ في فنّ العطسِ
يحللها أكّالُ العيش المتآمر
لتصير العطسة «تقليعة».
ويصيرُ العاطسُ أكذوبة ..
ويموتُ من الغيظِ الشاعر.

فكثير من شعراء الحداثة - ممن يدّعون أنهم

قصائدي جزء لا يتجزأ من حياتي، ومن يقرأ ديواني بحق يقرأ حياتي، ومواقفي

جددوا في القصيدة العربية - يعتمدون على أنهم صنعوا أنفسهم. وبدأت انطلاقتهم من ذلك، وعندما يُنتقد أحدهم يقول: هل يُعقل أن أسير إلى الخلف. وأقول له: لماذا لا تسير إلى الخلف، وتهضم التراث جيداً؛ لتنطلق بعد ذلك مُجدداً على أصول متينة وقواعد قوية، إذ لابدّ أن تحترم كلمتك، وإذا لم تحترم هذه الكلمة، وتعرف قدسيتها بعد، فعليك إذن أن ترجع مرة أخرى إلى الخلف؛ لتعرف قيمة الكلمة، ومسؤولية قائلها، ولإيماني الشديد بخطورة الكلمة أجدني - بكل صراحة. خلال السنوات الأخيرة - عاجزاً عن الكتابة الإبداعية، وقد شغلتني قصيدة لا أعلم هل سترى النور أم لا، وأتوقع لها أن تكون عملاً كبيراً من أعمالي. حتى إنني تحدثت مع صديقي الدكتور محمد عبدالباسط زيدان بسبب جمال هذه الفكرة، وطلبت منه أن يأخذ الفكرة، ويهضمها، وينظمها ضمن أعماله الشعرية؛ لأنني بكل صراحة عندما أصل إلى شيء جميل أريد إيصاله إلى الناس، ولا يهم هل قمت به أنا أم قام به غيري. وقد يعتقد بعضهم أن هذه المسألة مضحكة بعض الشيء إلا أنني أراها مسألة اعتيادية. وهذه هي طبيعتي، فماذا أفعل؟.. فعندما أصل إلى شيء يبني، ولا أستطيع إيصاله إلى الناس، أطلب من الآخرين أن يقوموا بهذا العمل؛ ليصل بعد ذلك إلى أيدي الناس. وهذا العمل الذي أنشغل به - حالياً - وهو آخر أعمالي الذي لم يكتمل بعد هو «اكتبْ لنا نص اختيارك». إذ أريد أن أسأل الشهيد الذي اتّخذ قرار الاستشهاد كيف اتّخذ هذا القرار؟.. ويهمني هذا الموضوع بطريقة غير عادية. وأنا أبحث عن مداخل اللغة لأترك للشهيد أن يتحدث. ومن المداخل مثلاً أن أطرح عليه رأي الناس، لتحريضه على أن يقول كلمته وتجربته؛ لأن هذا العمل أخذ شكلاً معيناً ويحتاج إلى شيء من

أنا - بحق - لا أتميز من غيري من شعراء القصيدة الحديثة، لكنني أعرف - تماماً - أنني صادق فيما أكتب

التنظيم والتخطيط.

فبعض الناس يقول: إنه يريد الشهرة، وبعضهم يقول: إنه يريد المجد، ولكنني أسأل الشهيد كيف اتّخذ هذا القرار؟.. أن يموت من أجل قضية، فقضية الموت ليست قضية سهلة، ولكننا نتقبلها مع أنها نهاية الحياة الدنيا، حتى لو كانت الحياة منظمة ١٠٠٪. ونقرر أن نموت، تبقى هناك علامات استفهام في أنفسنا: لماذا؟.. فكيف نتركها وهي غير منظمة إذن؟.. هذا الموضوع شغل بالي كثيراً، وكنت قد كتبت عدة مقاطع من هذه القصيدة، ولكنني لم أعتمدها، ولم أقتنع بها؛ لأن ما كتبته لا يرضيني، وهو لم يخرج بحجم هذا الهم الكبير، وكنت أسأل نفسي هل الإبداع يشيخ، أم أنّ الإبداع ينمو؟..

❖ في أثناء وجودك في المملكة العربية السعودية أكثر من عقد من الزمان، كان لك تواصل مع بعض الأدباء والشعراء والمبدعين، ماذا عن هذا التواصل وقد استقرت بك الحال في بلدك؟

- إنه ليشرفني أن يكون هناك تواصل بيني وبين بعض الأدباء والشعراء والمبدعين السعوديين، خصوصًا من المنطقة الشرقية، التي عملت فيها نحو ثلاث عشرة سنة، ولكن المشكلة الوحيدة هي التباعد في الاتصال بيني وبينهم، فالمعادلة الصعبة للحياة تحكم ذلك، فأنا أتلقى الاتصال من بعض أصدقائي من الأدباء والشعراء، كالشاعر زكي حسين، والشاعر محمد آل إبراهيم، ولا أنساكم بالطبع، فأنتم لا تزالون تواصلوننا، ونحن نشكر لكم ذلك، وإن كنا نقصّر في مواصلتكم، وهذا عبء كبير عليكم، وما دمتم تتصلون وتواصلون فنحن لن نمنعكم هذا العبء، ومن داوم على هذه العادة داومنا معه عليها، ولتوثيق التواصل كنت قد شاركت في عدد من الأمسيات الشعرية والثقافية في المنطقة الشرقية، ومن هذه المشاركات أمسية تكريم للشاعر حسن السبع، عضو إدارة نادي المنطقة الشرقية - حالياً - وقد كتبت له قصيدة ألقيتها في هذه الأمسية التي أقيمت بنادي الخليج بسيهات، وأتذكر أنني كتبتها بمناسبة صدور ديوانه «زيتها وسهر القناديل»، وهي من القصائد التي ضاعت مني، ولعلها موجودة ضمن تسجيلات النادي، وأتمنى الحصول عليها.

❖ ما انطباعك عن صدور ديوانك «خولة لا تقرأ الشعر» بعد تأجيل طويل لنشره؟

- يراودني أمل كبير أن يُقرأ هذا الديوان كما كتبتُه أنا، لا كما كتبته بأنانيتي، بل يُقرأ قراءة جادة، وليس قراءة كقراءة الصحيفة مثلاً، فقصائدي جزء لا يتجزأ من حياتي، ومن يقرؤه بحق يقرأ حياتي، ومواقفي، وأنا بحق لا أتميّز من غيري من شعراء القصيدة الحديثة، ولكنني أعرف - تماماً - أنني صادقٌ فيما أكتب، ولا أكتب إلا إذا ألحت عليّ القصيدة، وحان لها الخروج ورضيتُ عنها تمام الرضا، وهذا الأمل بقراءة الديوان أمنية أتمنى أن تتحقق، فإذا تحققت هذه الأمنية فأنا سأشعر بالسعادة والارتياح؛ لأنني أوصلتُ رسالتي إلى القراء، وإذا لم تتم

قراءة ديواني، ووضع على الرفوف كبقية الكتب الأخرى، أو أن تتم قراءته بسرعة، ثم يُرمى فأنا لم أحقق شيئاً قط. وبذلك فإن الفرحة لا تكتمل. فأنت لكونك مبدعاً عندما تكون صادقاً في إبداعك، ولا تجد من يصغي إليك سيؤذيك هذا الصدود من المتلقين. أليس كذلك؟.

أتذكر أن الشاعر محمد الشهاوي عندما علم بقرب صدور ديواني «خولة لا تقرأ الشعر»، وسبق أن جلستُ مع هذا الشاعر، واستمع إلى قصيدتي «صلاة الخوف» انبهر بالقصيدة. وعندما نُقل له أنني سأصدر ديواني قريباً قال: «هذا العنوان جميل جداً، وكنت أتمنى أن أكتبه لأحد أعمالي الشعرية». وردّي على ذلك أن العنوان مجرد مدخل، أو بداية المدخل للخطاب الشعري. وكما يقولون «الجواب يُقرأ من عنوانه».

كما أن العنوان جاء من باب تسمية الكلّ بالجزء. وهو على أيّ حال يبقى هماً. وليس مجردَ أن يكون مُبهراً فقط، أو لافتاً للنظر. إنه تعبير عن حالة. وقد اخترت هذا العنوان: لأنه هو الذي يشغلني فلو كانت الأمة تقرأ الشعر لتغيّر حالها. وأعني بالشعر أيّ شعر. حتى لو كان بسيطاً. فالشعر في أبسط حالاته هو الدور الثاني بعد رُكام النثر. فأنت في الدور الأول تقرأ نثراً. ولكنّك عندما تصعد إلى الدور الثاني ستلقى الشعر. أي: أنه بعيد عن التراب والغبار - والأمثلة تضرب ولا تُقاس -، ثم إن الشعر يصنع أمة أليس كذلك؟!.

الضيف في سطور

- بدوي السعيد راضي، من مواليد ١٢ أبريل عام ١٩٤١م، ليسانس الدراسات العربية والإسلامية من جامعة الأزهر عام ١٩٧٠م، دبلوم عام في التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس عام ١٩٧٤م، دبلوم تحسين الخطوط العربية عام ١٩٦٠م، دراسات عليا في الدبلوم الخاص للتربية من جامعة الأزهر عام ١٩٧٥م، دراسات في السياسة الشرعية من جامعة الأزهر عامي ١٩٧٦م، ١٩٧٧م.
- عمل بالتدريس في المدارس الإعدادية والثانوية المصرية. كما عمل بالتدريس بالمملكة العربية السعودية من عام ١٩٨٨م حتى عام ١٩٩١م، ثم عمل مشرفاً للغة العربية والتربية الإسلامية بمدارس التهذيب الأهلية بالمملكة من عام ١٩٩٢م حتى عام ٢٠٠٠م، ثم عاد وعمل موجهاً للغة العربية والتربية الإسلامية بمصر حتى أحيل على المعاش عام ٢٠٠٦م.
- بدأ ينشر قصائده في الخمسينيات في مجلات «العالم العربي» و«كتب للجميع»، و«صوت الشرق»، والصحف المصرية المعاصرة وقتئذ، ثم في الستينيات مجلة «الأدب»، وكتب قصائد للبرنامج الإذاعي، وأذيع في برنامج «حول الأسرة البيضاء».
- مع ظهور مجلة «إبداع» القاهرية كتب فيها الشاعر كثيراً من القصائد.
- وقد نشرت له قصائد في معظم المجلات العربية منها (الآداب) البيروتية، و(المجلة العربية)، و(القافلة)، و(الشرق) من المملكة العربية السعودية، و(الدوحة) من قطر، و(الفكر) من تونس، و(المنتدى) الإماراتية، و(الكويت) من الكويت، و(٨٤) من فلسطين، و(الواحة) اللبنانية.
- أجريت حوله كثير من الدراسات، منها ما جاء في رسالة دكتوراه للدكتور محمد فكري الجزار بعنوان (لسانيات الاختلاف)، وضمن رسالة دكتوراه للدكتور محمد زيدان بعنوان (البنية السردية في النص الشعري)، كما تم التطرق لشعره في فصل المقارنات برسالة ماجستير لعقيل بن ناجي المسكين بعنوان (النزعة الإنسانية في شعر أحمد الصائغ النجفي .. صور الفقر والحرمان نموذجاً).
- تدرّس بعض أعماله في بعض الجامعات المصرية، وله رؤية في التعليم من أجل تكوين العقل الإبداعي.

أميز ما في الحداثة هو الإيجاز، إنما إذا وصلت إلى حدّ الثرثرة؛ فهذا يعني خروجها عن الإبداع



اسم الكتاب: أعمال الأرمن من واقع وثائق الأرشيف: ١٩١٤ - ١٩١٨م

الناشر: رئاسة الأركان التركية العامة.

تاريخ النشر: ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م، ٥ مج.

أعمال الأرمن

من واقع وثائق الأرشيف

عبدالله بن إبراهيم با سرت

الرياض - السعودية



معاناة اللاجئين الأرمن

هذا عنوان كتاب جديد صدر باللغتين التركية والإنجليزية، في خمسة مجلدات من القطع المتوسط، عن رئاسة الأركان التركية العامة عام ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م، وعنوانه باللغة التركية:

Arsiv Belgeleriyle Ermeni Faaliyetleri

1914 -1918

Armenian Activities in The Archive

Documents: 1914-1918

وموضوع الأرمن من الموضوعات الشائكة، التي تتكرر كل سنة بمناسبة ما يُدّعى من المذابح التي وقعت للأرمن في أثناء الحرب العالمية الأولى. وتكمن أهمية هذا الموضوع في اتخاذ بعض الدول الغربية هذه المناسبة؛ لإملاء سياسات معينة على تركيا، وفرض بعض العقوبات عليها، على غرار ما يُدعى من وقوع مذابح يهودية في ألمانيا.

وتلك الدول الغربية التي اتخذ بعضها قرارات لمصلحة الأرمن، مثل: فرنسا؛ بحجة إعادة الحقوق إلى أهلها، تنسى في حقيقة الأمر ماضيها الأليم، فيما قامت به من أعمال وحشية لا تمت إلى الإنسانية بصلة. ولعل أعمال فرنسا في بعض الدول الإفريقية والجزائر - خصوصاً - تمثل جزءاً يسيراً من تلك المذابح التي لم تغب عن مخيلة

يقول الأرمن بوقوع مذابح أرمنية في الدولة العثمانية، ويتجاوز -حسب هذا الرأي- عدد الضحايا أكثر من مليون نسمة

بعض كبار السن فيها حتى الآن.

وفي أثناء إعدادي رسالة علمية، اطلعت في الأرشيف العثماني بإستانبول، وأرشيف وزارة التربية الوطنية بأنقرة على بعض الوثائق التي كانت تقارير عن المدارس الأجنبية في الدولة العثمانية، وكيف أن تلك المدارس اُتخذت مراكز للتجسس على الحكومة العثمانية، وقيام الأجانب - الذين كانوا محصنين بالامتيازات الأجنبية - بتوزيع الأسلحة على الأرمن؛ لتشجيعهم على القيام بالتمرد في وجه الدولة العثمانية، وكيف كانت تلك المدارس أوكاراً للمخابرات الأجنبية في الدولة العثمانية، ومستودعات للأسلحة، وهذا ما أدى بالسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) إلى إغلاق أربعمئة مدرسة أجنبية لأمريكا وحدها في أراضي الدولة العثمانية؛ بسبب عدم وجود تراخيص لديها من السلطات العثمانية، فضلاً عن المدارس المرخص لها بالعمل..

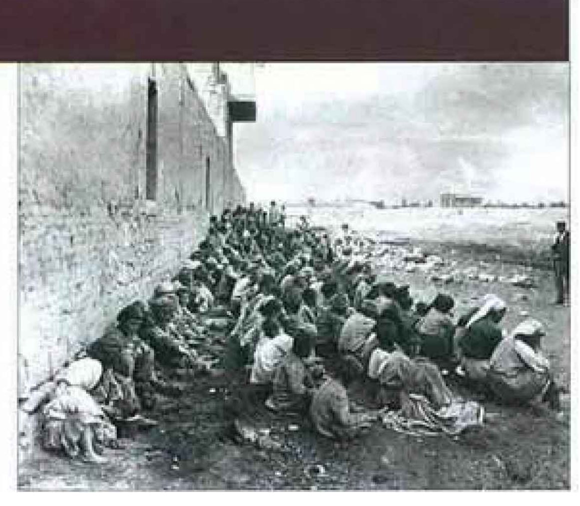
ويمكن تلخيص رأي الطرفين: الأرمن والأتراك على النحو الآتي: يقول الأرمن، وبعض الدول الغربية بوقوع مذابح أرمنية في الدولة العثمانية، ويتجاوز -حسب هذا الرأي - عدد الضحايا أكثر من مليون نسمة. أما الرأي

الرسمي لتركيا فهو عدم وقوع مذابح مقصودة من لدن الأتراك، وأن هذا العدد مبالغ فيه. وأنه حتى لو وقعت بعض الأعمال من الأتراك فهي أعمال فردية، وقعت في أثناء نقل الأرمن من المنطقة التي كانوا يقطنون فيها في شرق تركيا، إلى منطقة أخرى أكثر أماناً، في داخل الدولة الواحدة، وأنه بسبب الظروف الجوية الشتوية السيئة، إضافة إلى بعض الأعمال الفردية - كما سبق - وقعت بعض حالات القتل، غير أنها لم تكن بذلك العدد الذي يدعيه الأرمن، ولم يكن مقصوداً ضد الأرمن بعامتهم: بدليل وجود عدد لا بأس به من الأرمن القاطنين في تركيا حتى الآن، ولهم حقوق المواطنة الكاملة مثل الأتراك.

وبسبب اقتناع بعض الجماعات الأرمنية بوقوع مذابح في بني جلدتهم من لدن الأتراك، قامت تلك الجماعات بأعمال إرهابية كثيرة في قتل مجموعة من الدبلوماسيين الأتراك، في عدد من الدول، وكذلك القيام بأعمال تخريبية في داخل تركيا أيضاً، بل حتى في إستانبول، كما هو الأمر في قيام مسلحين من الأرمن باقتحام البنك العثماني عام ١٨٩٦م.

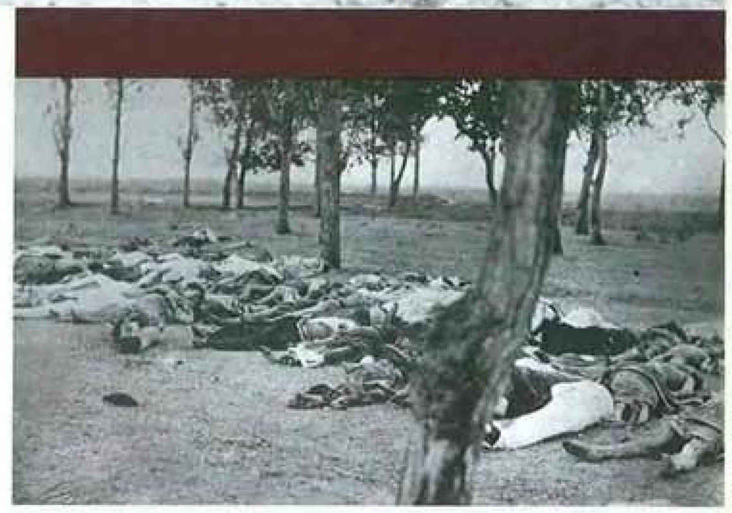
والحقيقة أن تلك الأعمال الإرهابية كانت مدعمة من كثير من الدول الغربية، ليست مشاركة في تلك الأعمال: وإنما بتشجيع الأرمن - دائماً - على أنهم على حق في قضيتهم. ومن هنا فإن الموضوع كلما اقترب رأس سنته الميلادية، ركز فيه الإعلام الغربي، وبرلمانات بعض الدول الغربية، وتجدد أكثر ضجيجاً وتركيزاً؛ لتصدير رأي عام من هذه الدولة أو تلك في تغريم تركيا، من دون أي رغبة من تلك الدول في الوصول إلى حل في هذا الموضوع، الذي يجب أن يتحدث فيه ويناقشه المؤرخون من واقع الوثائق الموجودة لدى الطرفين. لا أن يصبح الموضوع سياسة محددة الأهداف، معينة النتائج والآثار، تبلورها الظروف السياسية، وتصبح مطرقة بيد تلك الدول، كلما أرادت إملاء سياسات معينة على تركيا ساقت موضوع الأرمن..

ولابد هنا من الترحم على الرئيس التركي الأسبق طورغوت أوزال - رحمه الله تعالى - الذي أصدر أمره بفتح دور الأرشيف كلها، وعرض الوثائق الموجودة فيها على الإعلام من أوسع أبوابه، ودعوة الباحثين من الأرمن، أصحاب الشأن إليه؛ حتى يصدر رأي مشترك بين رجال العلم من المؤرخين الأرمن، والأتراك، وغيرهم ممن يريد



لاجئون أرمنيون في أحد المعسكرات

بسبب اقتناع بعض الجماعات الأرمنية بوقوع مذابح في بني جلدتهم قامت تلك الجماعات بأعمال إرهابية كثيرة



مناقشة الموضوع، وتنتهي المشكلة. وبهذه المناسبة لابد من الإشادة بجهود الرئيس أوزال في فتح الأرشيف العثماني؛ إذ إن الهدف الأساسي من توظيف مئات الموظفين في هذا الأرشيف - آنذاك - وقيامهم بالعمل المتواصل - مثل دبيب النحل - في تصنيف الوثائق وفهرستها، ووضع آلية معينة في الاستفادة منها، كان إنهاء لتلك المشكلة. غير أن العمل بات شاملاً لجميع الوثائق الموجودة في الأرشيف، وليس موضوع الأرمن وحدهم. فاستفاد آلاف الباحثين من أمثالي من ذلك التصنيف، والفهرسة اللذين بدآ منذ عهد أوزال (١٩٨٦م)، وبدؤوا يتصفحون مقتنيات الأرشيف، ويصورونها، ويؤلفون في ظلها مئات الموضوعات التاريخية الشائقة، وهي تتعلق بتاريخ أكثر من خمس وثلاثين دولة قامت على أنقاض الدولة العثمانية، إضافة إلى العلاقات الدولية بينها وبين غيرها من الدول. إلا الأرمن فإنهم الفئة التي لم تستفد - حسب علمي - من مقتنيات الأرشيف العثماني حتى الآن في توضيح موضوعهم، والوصول إلى حل مقنع لقضيتهم.

وفي صيف العام المنصرم (٢٠٠٦م) طلبت مني إحدى الباحثات أن أبحث في الأرشيف العثماني في موضوع معين عن مقتل بعض العرب على يد الأرمن في مدينة أضنة في أثناء الحرب العالمية الأولى. فبحثت في الأرشيف، وعثرت على بعض المراسلات التي جرت بين أضنة والباب العالي. فوجدت أن كثيرًا من الجماعات الأرمنية قامت بأعمال قطع الطريق، والقتل، والنهب، وتدمير بعض المساجد في محيط مدينة أضنة. ولابد هنا من الإشارة إلى أن تلك المراسلات التي جرت بين مختلف الدوائر



صورة متخيلة في البلاط العثماني

الحكومية، لم تكتب للنشر، وإنما كتبت لإبلاغ الباب العالي بوقوع حدث معين؛ لاتخاذ تدابير حسب الرأي الذي تراه الحكومة المركزية. ومن هنا فلا مجال للشك في صدقية تلك المراسلات.

أما الكتاب الذي نعرضه في هذا المقال فيقع - كما سبق بيانه - في خمسة مجلدات (نحو ٣٥٠٠ صفحة)، ويضم صور الوثائق العثمانية، وترجمتها التركية والإنجليزية، المتعلقة بالأرمن، من دون تحليل لمضامينها وتعليل لنصوصها وفحواها؛ بغية تقديمها إلى الباحثين من دون توجيههم توجيهاً معيناً. مع إيراد تواريخ الوثائق، والجهة الصادرة منها والواردة إليها، والتعريف بالمواقع الواردة في الوثائق في الهوامش، بناءً على تغيير أسماء بعض الأمكنة. وضم الكتاب كثيرًا من الصور النادرة عن المذابح التي قام بها الأرمن ضد المسلمين - أتراكاً وأكراداً - في شرق تركيا إبان الحرب العالمية الأولى.

وقد أبانت الوثائق الواردة في الكتاب عن أعمال الإجرام المتنوعة التي قام بها الأرمن، الموجهة ضد المسلمين في القرى، والطرق النائية، وفي بعض المدن. وقبل إيراد نماذج من الوثائق يجدر بالبحث الإشارة إلى دور المخابرات الروسية قبيل الحرب العالمية الأولى وإبانها في كيفية توزيع الأسلحة على الأرمن؛ استعداداً للقيام ضد الدولة العثمانية من الداخل، والعمل على

تفتيت وحدتها. وذكرت الوثيقة الصادرة من القيادة العثمانية العامة (ص ٩٧، مج١) التي حصلت على نسخة من الخطة السرية التي وزعها الروس على الأرمن: بموجب اتفاقية ثنائية جرت بين الطرفين، ضمن موادها الأربع التي تلفت النظر إلى: كون الروس سوف يسلمون الأراضي العثمانية التي يستولون عليها إلى الأرمن، وأنه بناءً على ذلك يجب على الأرمن التيقظ التام، والاستعداد الكامل؛ لتنفيذ الخطة في أي لحظة، والالتحاق بالقوات الروسية الغازية إذا حان الوقت المناسب.. وبهذا الصدد لابد من ذكر بعض ما كانت تقوم به دوائر المخابرات الروسية في شرق تركيا من أعمال تأليب للرأي الأرمني ضد الخلافة العثمانية بمختلف الوسائل (ص٨٧، مج١).

ومن أوجه التفنن في الأعمال الإجرامية التي قام بها الأرمن على سبيل التمثيل لا الحصر:

- تخزين الأسلحة والمتفجرات في المقابر الأرمنية في قضاء دُوّلي (التابعة لولاية قيصري) في ٢٥ شباط/ فبراير عام ١٩١٥م (ص ٥٢، مج١). وقد أبانت الصورة الملحقة بالوثيقة عن أسماء الأرمن المقبوض عليهم في عملية المداهمة.
- أعمال القتل التي قام بها الأرمن في أهالي قرية ميركحو (في ولاية وان)، ومع إيراد أسماء القتلى من المسلمين. أشارت الوثيقة إلى كيفية مقتلهم: بعضهم بقطع أعضائهم، وبعضهم بالسكاكين والحراب، وبعضهم بتفريغ البطون، وبعضهم بالحرق في التنور، وبعضهم بطلقات الرصاص..إلخ (ص ٦٠-٦٧ مج١). هذا ما يخص الرجال. أما النساء فتحدث عنهم بكل ما يتخيل لك من أنواع الاغتصاب. وكان جزاء علماء الدين لدى هذه الفئة الباغية إذلالهم بالعمل في أعمال دونية تمس من كرامتهم. يضاف إلى ذلك قيامهم بحرق بعض الأطفال أمام أعين آبائهم، وإجبار هؤلاء الآباء والأجداد بأكل لحوم أطفالهم وأحفادهم.
- ومن أعمالهم أيضاً إشعال النار في بطون الضحايا من المسلمين، وتركهم على حالهم: ليلقوا حتفهم بأشد العذاب. (ص٧٣، مج١).
- ومنها كذلك ربط رجلي الضحية برأسه بحبال قوية وتركه على حاله ليلقى حتفه (ص ٨٧، مج١).

يكشف الكتاب النقاب عن كثير من الأعمال التي قام بها الأرمن من عام١٩١٤م إلى عام ١٩١٨م وهي مدة الحرب العالمية الأولى

أصدر الرئيس التركي الأسبق طورغوت أوزال أمره بفتح دور الأرشيف كلها، وعرض الوثائق الموجودة فيها على الإعلام

وقد أوردت وثيقة من الوثائق الواردة في الكتاب (ص٧١، مج١) الأوامر الصادرة إلى قيادة الجيش الرابع، بالعمل على عدم تأليب الرأي الإسلامي العام في البلد ضد الأرمن، وأنه يجب عدم تعميم الحكم على هؤلاء المواطنين

العثمانيين بجريرة قيام فئة ضالة منهم، وانه على المسلمين تقدير هؤلاء الأرمن، وعدم القيام بشيء يمس من كرامتهم، والحفاظ على استتباب الأمن العام في البلد، مع عدم طرد كثير من الموظفين الأرمن من أعمالهم؛ بسبب قيام بعض منهم بأعمال إجرامية.

وبعد أن جرت أعمال القتل بين المسلمين والأرمن، واستحال على الحكومة استتباب الأمن، واستقرار الأوضاع في شرق البلاد، حتى يتم القضاء على الخطة السالفة الذكر التي اتخذها الروس ضد الدولة العثمانية من إحلال الأرمن في المواقع التي يستولي عليها الروس، فقد قامت الدولة العثمانية بنقل هؤلاء الأرمن إلى مناطق أخرى أكثر أمناً، وذلك في إطار الدولة الواحدة، وعملت على توفير جميع أسباب الأمن والسلامة لهم من خلال مواد الخطة الصادرة في ١٠ حزيران عام ١٩١٥م في مسألة نقل الأرمن إلى أماكن آمنة (ص١٣٢ - ١٣٣، مج١)، ومن أهم بنودها:

- بإمكان الأرمن المنقولين إلى منطقة أخرى نقل ما يمكن نقله من جميع أموالهم ومواشيهم معهم.
- يجب توفير الأمن التام لهؤلاء الأرمن، سواء في أرواحهم، أو أموالهم، وكذلك توفير الأكل والشرب لهم، وإذا حصل أي نقص في ذلك، أو أي إهمال فإن الجهات الأمنية مسؤولة عن ذلك.
- يتم إسكان هؤلاء المهاجرين في الأمكنة التي تحددها الحكومة من خلال بناء قرى وبلدات لهم، ويجب التنبه إلى ضرورة أن تكون تلك الأمكنة صالحة للزراعة والتطور.
- الأراضي التي يتم إسكانهم فيها يجب أن تكون ملكاً للحكومة، فإذا لم تتوافر تلك الأراضي الحكومية في الأمكنة المناسبة، فيتم إسكانهم في المزارع الخاصة للدولة، وتخصص لهم كاملة.
- يجب أن تكون أمكنة سكنى هؤلاء الأرمن بعيدة عن خط حديد بغداد بمسافة لا تقل عن خمسة وعشرين كلم.
- يجب تنظيم المعلومات الكاملة عن كل واحد من هؤلاء الأرمن، في دوائر النفوس، والأحوال المدنية، بحيث تشمل الاسم واللقب، وعدد أفراد العائلة وأعمارهم، والسن والعمل، والمنطقة القادم منها.
- يحذر على هؤلاء الخروج إلى خارج منطقتهم إلا

الرئيس التركي أوزال





عمال أرمن

بإذن من الجهات الأمنية.

- تصرف جميع مصروفات الإعاشة والإياتة، وغير ذلك لهؤلاء المهاجرين من الإدارات المحلية وصندوق المهاجرين؛ حتى يتم الانتهاء من بناء قراهم ومساكنهم التي تبنى على حساب الحكومة أيضاً.
- تمنح الأراضي لهؤلاء المهاجرين الأرمن في الأماكن الجديدة بمقدار الأراضي التي يمتلكونها في موطنهم الأصلي، كما يجب إمعان النظر في أوضاعهم الاقتصادية قبل قدومهم إلى الأماكن الجديدة، والتعامل معهم بموجبها.
- توزيع الأراضي على المهاجرين يتم بمعرفة لجنة المهاجرين.
- يتم منح الأدوات اللازمة من الدولة للمزارعين وأصحاب المهن، وكذلك المال اللازم بالمقدار الكافي.

بسبب الظروف الجوية إضافة إلى بعض الأعمال الفردية، وقعت بعض حالات القتل

وفي مقابل تلك الخطة اتخذت الدولة العثمانية خطة أخرى للحفاظ على أملاك هؤلاء المهاجرين في موطنهم الأصلي: بحيث تغلق بالشمع الأحمر، مع عد كل صغيرة وكبيرة فيها، وتركها في أمكنتها، ووضع الحراسة عليها إلى أن تتضح الأوضاع، وما تؤول إليه الظروف. (ص ١٣٩، مج١).

وقد ضم الكتاب مجموعة كبيرة من الجداول البيانية الإحصائية التي توضح عدد المسجلين من الأرمن في مختلف دوائر الأحوال في عدد من الولايات العثمانية، وعدد المهجرين منهم، والأمكنة التي هاجروا إليها. فمثلاً: في مدينة أضروم بلغ العدد المسجل في دوائر النفوس ١٢٨,٦٥٧ وبلغ العدد المرحل ١٢٠,٠٠٠، هجروا إلى الموصل، ودير الزور عن طريق العزيز، والعدد المتبقي إما قتل في المواجهات، أو هرب من البلد، وكذلك الحال في باقي المدن، مثل: أنقرة، وأضنة، وازميت، وأسكي شهر، وبتليس، وسامسون (جانيك)، وحلب، وبورصا، وديار بكر، وسيواس، وطرابزون، وباليكسير (قره سي)، وأفيون، وقيصري، والعزيز، ومرعش، ونيغده، ووان.

وقد احتوت الجداول الأخرى في الكتاب على معلومات تفصيلية عن كل ولاية، والعدد المسجل رسمياً في دوائر الأحوال بها (ومن يريد الاستزادة منها فيمكنه مراجعة الكتاب، ص ١٤٨-١٥٨، مج١).

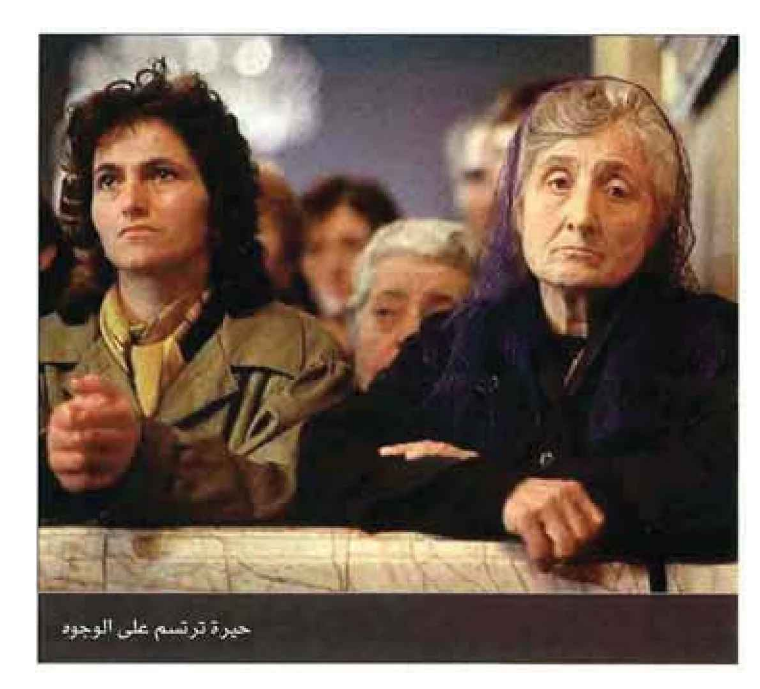
وركز المجلد الثاني من الكتاب في أعمال

الجمعيات الأرمنية، في داخل الدولة العثمانية وخارجها، وكذلك علاقات البعثات الدبلوماسية بالأرمن، في داخل الدولة العثمانية وخارجها. ومن تلك الأعمال: الأموال التي قام بتوزيعها على الأرمن القنصل الأمريكي في حلب، ومدير بعض المؤسسات الألمانية في مدينة العزيز، والأمريكي «وليام بيت» في مرعش (ص ٦-٧، مج٢)، وكذلك الجمعيات الأرمنية في أمريكا التي أرسلت مبالغ من المال إلى الأرمن في بورصا (ص١٣، مج١)، وفعاليات الأرمن في بخارست برومانيا (ص ١٧-١٩)، والأعمال الاستخباراتية التي حصل عليها المخبرون العثمانيون في مختلف العواصم والدول الأجنبية. كما أورد هذا المجلد معلومات كثيرة عن بعض الأرمن الموظفين في الدولة العثمانية، وكانوا يعملون لحساب جهات أخرى خارجية. وقد تضمن النصف الثاني من هذا المجلد مجموعة من الوثائق العثمانية الملونة مع ترجماتها التركية، على غرار المجلد الأول.

أما المجلد الثالث فقد تناول أعمال الجمعيات الأرمنية السرية في مختلف المناطق في داخل الدولة

شبان وشابات من الأرمن





حيرة ترتسم على الوجوه

العثمانية، ومنها منظمة هنجاق الإرهابية، التي نظمت عدداً من أعمال القتل والسطو والنهب، مع توضيح دور بعض الدول الغربية، وروسيا في تلك الأعمال. وكيفية القبض على بعض الأرمن ممن قاموا بتلك الأعمال واعترفوا بارتكابهم تلك الجرائم، مع إيراد الاستجوابات كاملة، والأحكام الصادرة في بعض المحاكم العثمانية في حقهم. وقد كان بعض هؤلاء الأرمن يعملون في مؤسسات ثقافية وعلمية بإستانبول.

أما المجلد الرابع فقد افتتح بكلام لأحد زعماء منظمة هنجاق الأرمنية السرية، وترجمتها إلى العربية: «إنني لن أتحدث عن وضع الأرمن قبل حركة الدستور العثماني (عام ١٩٠٨م). وإنما أذكر بأن الأرمن قد تخلوا عن السلاح مع الإعلان عن هذه الحركة، التي أفادت الأرمن أكثر من غيرهم: لأنهم تقدموا من المنظور الاقتصادي. إلا أنه بسبب تخليهم عن السلاح بعد هذه الحركة، فقد تضرروا من ذلك. وقد فهموا أن التخلي عن السلاح كان خطأً فادحاً: لأن الروم يريدون (الاستيلاء) على إستانبول. فلمن هي؟ بالتأكيد هي للأرمن. إذاً كيف يمكنني الاتفاق معهم. فقد خدع الروم الأرمن. ولماذا؟ لأن القوى الاقتصادية في إستانبول بيد الأرمن. إضافة إلى العلم والتجارة والزراعة. وبناءً على ذلك فكيف أستطيع العيش مع الروم. والحقيقة أن الأتراك لا يستطيعون الإحلال محل الأرمن: لأن التجارة بأيدينا» . ا.هـ

والحقيقة أن إجابات المقبوض عليهم من الأرمن في شهر أكتوبر من عام ١٩١٤م، بعد العمليات الإجرامية التي قاموا بها في إستانبول، تبين الأهداف التي كانوا ينوون القيام بها في الدولة العثمانية. ولا سيما بعد تشكيلهم وحدة المنظمات الأرمنية في مصر، التي تكونت من ثلاث منظمات سرية كبيرة للأرمن، هي: تاشناق ستيون، وهنجاقيان، ورامكاوار.

أما المجلد الخامس الأخير من هذه المجموعة الوثائقية، فقد ركز في تأثير الأعمال الإرهابية التي قام بها الأرمن في الجوانب الاجتماعية في الدولة العثمانية. ولا سيما الأعمال التي استهدفت قتل رجال الأمن، من خلال إيراد إجابات مجموعة من عناصر المنظمات الأرمنية الإرهابية، الذين تم القبض عليهم، وحوكموا في إستانبول، مع إيراد الترجمة الإنجليزية وصور الوثائق العثمانية.

والحقيقة أن هذا الكتاب الوثائقي يكشف النقاب عن كثير من الأعمال التي قام بها الأرمن من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨م وهي مدة الحرب العالمية الأولى. ومن خلاله يستطيع الباحث أن يصل إلى بعض الحقائق التي سكتت عنها سياسات الدول الكبرى في هذه المدة.

القبائل العربية في النوبة

عبدالرحمن عوض
القاهرة - مصر

قرأت تعقيب الصديق الأستاذ د. فرج الله أحمد يوسف على مقالي في العدد (٣٦٩) من الفيصل الغراء، وأوضح الآتي:

- إني لم أشكك في نسب عرب عقيل. ولكني قلت: بعضهم ينسبون إلى ذرية عقيل بن أبي طالب، والصالحاب أشراف معهم وثائق ومشجرات نسب صادرة من نقابة الأشراف.

- لقد توهم الأستاذ فرج الله يوسف أن مصاهرتي للعبابدة دفعتني إلى ممالأتهم. فالعبابدة تاريخهم مبسوط في المصادر العربية المبكرة، وفي المراجع الحديثة. وأحيله إلى تاريخ الثقافة العربية في السودان للراحل المقيم د. عبدالمجيد عابدين عام ١٩١٥م- ١٩٩١م. ص ٤٠٦: «فبعض قبائل البجة لا يزال ينتسب إلى بني العباس. وبعضهم إلى الطالبيين كبني عامر. وبعضهم إلى الزبير كالعبابدة».

ويقول د. محمد عوض محمد عام ١٨٩٥م- ١٩٧٢م في كتابه «السودان الشمالي سكانه وقبائله» ص ٢١: «من أهم مناطق اتصال البجة بسكان وادي النيل وادي العلاقي وما يليه جنوبًا». ومن المعلوم أن العبابدة حينما نزلوا منطقة البحر الأحمر مع البشارية تصاهروا مع البجة بعد القرن الثالث الهجري على الأقل. وحتى لغة البجة التبداوية (بداويت من البدوية) استعارت كثيرًا من الألفاظ العربية قبل الإسلام وبعده. وتعرف العربية عند الهدندوة وغيرهم من البجة باسم البلوية. ربما نسبة إلى بليّ العربية الجهنية التي هاجر بعضها إلى تلك المنطقة.

فتاريخ نزول العبابدة، والكواهلة، والبشارية، في مصر والسودان قديم لا شك فيه. وحاشا لله أن أتجاهل بني عقيل. وبالمناسبة فإن جدتي لأمي من العمراناب آل وهب بوادي العرب. وليس من مصلحة الباحث إخفاء الحقيقة. فهو كالقاضي العادل. وأما قول د. فرج الله: إن جنود الحملة استقروا في بلاد النوبة السفلى مكونة بذلك أول مجموعة من عرب عقيل. وبصحبته سبعة وثلاثون فارسًا. فالعبرة ليست بقصب السبق في النزول. وإنما بالاستقرار المجتمعي. والاندماج مع الآخرين. وقد مارس معظم عرب عقيل «طبقية ممجوجة» حينما استنكفوا الزواج من نوبيات. أو تزويج بناتهم لنوبيين إلا فيما ندر. مع أن عرب عقيل كانت طارئة عليهم. والنوبيون لا سيما الكنوز انحدر معظمهم من الدوحة الشريفة مثل: قرى امباركاب، جرن حسين، قرشة، ماريا، كشتمنة، قورتة، الدّكة..) أشراف جعافرة حسينية.

أو من العباسية: كلابشة، السيالة، المضيق، توماس، وعافية، وعنيبة، وغيرها من قرى النوبة، التي انحدرت من العوتلاب، والكبوشاب، والنصرلاب والأمباركاب، وغيرها من القبائل العربية المتنوبة، أو النوبية المتعربة، وكل ذلك التعالي العقيلي؛ لأن الأغلبية العظمى من القبائل العربية المتصاهرة تحدثت النوبية إلى جانب العربية (النوبية بلهجتيها) بينما احتفظت العقيلات بلسانها العربي، وشيدت لنفسها قرى خاصة بها حتى يومنا هذا!.

- أما الإحصاء الذي ذكرته في عام ١٨٨٣م، وكان عدد العقيلات ٥٢٨ نسمة في مركز الكنوز، فهو صحيح، انظر أحمد لطفي السيد، ص ٨٨: أما إجمالي العقيلات في مصر جميعًا عدا سيناء لغاية مايو عام ١٨٨٣م: فكان ٣٨٥ نسمة ذكورًا + ٣٤٥ نسمة إناثًا = ٧٣٠ نسمة في مصر السفلى، انظر لطفي السيد الصغير، ص ٩٠: وليس كما ذكر د. فرج الله أنهم كانوا في النوبة السفلى ١٨٧٨ نسمة، فهذا الإحصاء الأخير لعقيلات النوبة + إسنا (ص٨٩).

وكان نزول العقيلات النوبة السفلى في فجر القرن الثاني عشر الهجري كجماعات استقرت (انظر لطفي السيد، ص ٨٢).

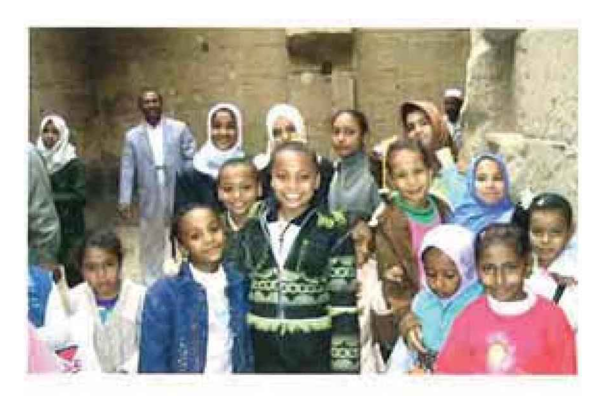
اندماج العرب بالنوبة ترك لنا أجيالاً عربية نوبية، صنعت لنا تراثًا متنوعًا في الأدب الشعبي

وأما قول د. فرج الله: إني وقعت في عدة أخطاء، فهو غير دقيق، والعالم لا يخطّئ الآخر إيمانًا وحياء وتواضعًا، ورحم الله تعالى الإمام الشافعي رضي الله عنه في مقولته الخالدة: «ما ناظرت أحدًا إلاّ تمنيت أن يكون كلامي خطأ يحتمل الصواب، وكلامه صواب يحتمل الخطأ..» هكذا كان سلفنا الصالح.

فالحملة الأولى على النوبة السفلى سنة ٢١هـ/ عام ٦٤١م هي حملة استطلاعية في رأيي، وقد ذكرها بعض المؤرخين، وأنها وصلت إلى النوبة في سنة ٢٢ هـ، ولكني أشك في العدد ٢٠ ألف مقاتل، انظر لطفي السيد، ص ٩٠، وهذا موجود عند بعض المؤرخين.

وأما ترحمي على شيخ الأثريين الإسلاميين العالم عبدالرحمن عبدالتواب - كتب الله تعالى له ولنا حسن الختام - فالرحمة يا سيدي للأحياء والأموات، وقد التبس الأمر عليّ بينه وبين د. رمضان عبدالتواب عالم اللغة العربية في جامعة الأزهر عليه سحائب الرحمة.

ويأتي د. فرج الله ليعلّمنا أنه ليس في التاريخ الإسلامي عصور وسطى مبكرة ولا متأخرة، هكذا في عناد لا يتفق والبحث العلمي! وهو يعلم أنها مصطلحات تقريبية: عصر وسيط مبكر، وعصر وسيط متأخر، كما





عند يوري كوبشانوف صاحب كتاب الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة. وهو كتاب أثير لدى د. فرج الله!

وأما مصاهرتي للعبابدة فهي أول مصاهرة في قرية السيالة بالنوبة الجديدة بعد عام ١٩٤٦م. وليس عبر العصور يا دكتور فرج الله !

وكان من الصواب أن أضع في فقرة شاهد قبر ابنة قسطنطين مولى هبة الله علامة الترقيم (-) الشرطة للجملة الاعتراضية. لكن السياق العام للعبارة يفهم منه أن الحديث عن قسطنطين وليس عن أحمد! علمت شيئًا وغابت عنك أشياءُ!.

- أما قول د. فرج الله بعدم وجود حروف نوبية. فآمل أن يرجع إلى كتاب «اللغة النوبية كيف نكتبها» للدكتور مختار خليل كبّارة عام (١٩٥٣م- ١٩٩٧م). عليه سحائب الرحمة. وكيف أن هذه الحروف الثلاثة مدغمة. ينطقونها في لغتهم الأصلية (النوبية بلهجاتها المختلفة) والمتوكي ليس الشمالي يا دكتور فرج الله، وإنما القادم من الشرق! كنت آمل من د. فرج الله صديقي القديم. أن يتصدّى للمضمون. ولا يتصيّد السهو والقضايا الإشكالية. والتأويلات التاريخية ليس فيها القول الفصل: لأن من مبادئ التاريخ أن الوثيقة خير سند للحقيقة.

وكنت أتوقع أن يضع د. فرج الله كتابًا توثيقيًا حول قريته. حتى نقف على دراسة جديدة بدلاً من الوقوف عند الأستاذ أحمد لطفي السيد الصغير عام (١٩٠١م - ١٩٧٩م). صاحب كتاب قبائل العرب في مصر - العقيلات. والجمافرة. وقبائل أخرى. الصادر في سنة ١٣٥٤هـ/ عام ١٩٣٥م! كما فعلنا ذلك في كتبنا حول توثيق تاريخ النوبة: «مرواو عبر العصور». و«جرف حسين بين الماضي والحاضر». بدلاً عن هذه السفسطة التي ستحدث بلبلة عند غير المتخصصين في تاريخ بلاد النوبة. فبدلاً من أن تلعن الظلام. أوقد شمعة يا دكتور!.

أما الأستاذ شاهين وردي كاشف من أسوان. فله الشكر على ثنائه الذي يزيدني جهدًا على جهد. وأما سؤاله عن الغجر (الحلب في السودان) فقد كانوا بالفعل يزورون النوبة والسودان إما للتجارة وإما لهجرة عابرة. وكانوا يمارسون تجارة أدوات المنزل. من أباريق الشاي. والأكواب. ومنهم الفوازي رجالاً. والفايزات نساءً. وقد رأيت في طفولتي حسن ودهيبة من الحلب. وقد كان حسن يعرف المتوكية كأحد أبنائها في ظرف وفكاهة تضحك الثكالى! وكانت النساء يمارسن تجارة قراءة الحظ والمستقبل. (الودع) بمحّار البحر. وكان هناك بعض باعة الغنم والماعز. يطلق النوبيون عليهم «البشاتة». أي بائع الشياه. وأغلب الظن أن الغجر من القبائل التي هاجرت من آسيا الوسطى. وربما مرّوا على حلب الشهباء. فدعوا بالحلب. وتاريخ الغجر غامض. وسأرسل لك نسخة من كتاب عنهم أمل أن تمدني مجلة الفيصل الغراء بعنوانك.

أما اليقاد فهي العقيلات. وأما تأثيرهم في التركيبة السكانية النوبية الحالية. فلا شك أن لهم دورهم في نشر الثقافة العربية. وفي خفارة الطريق المؤدي إلى الحجاز.



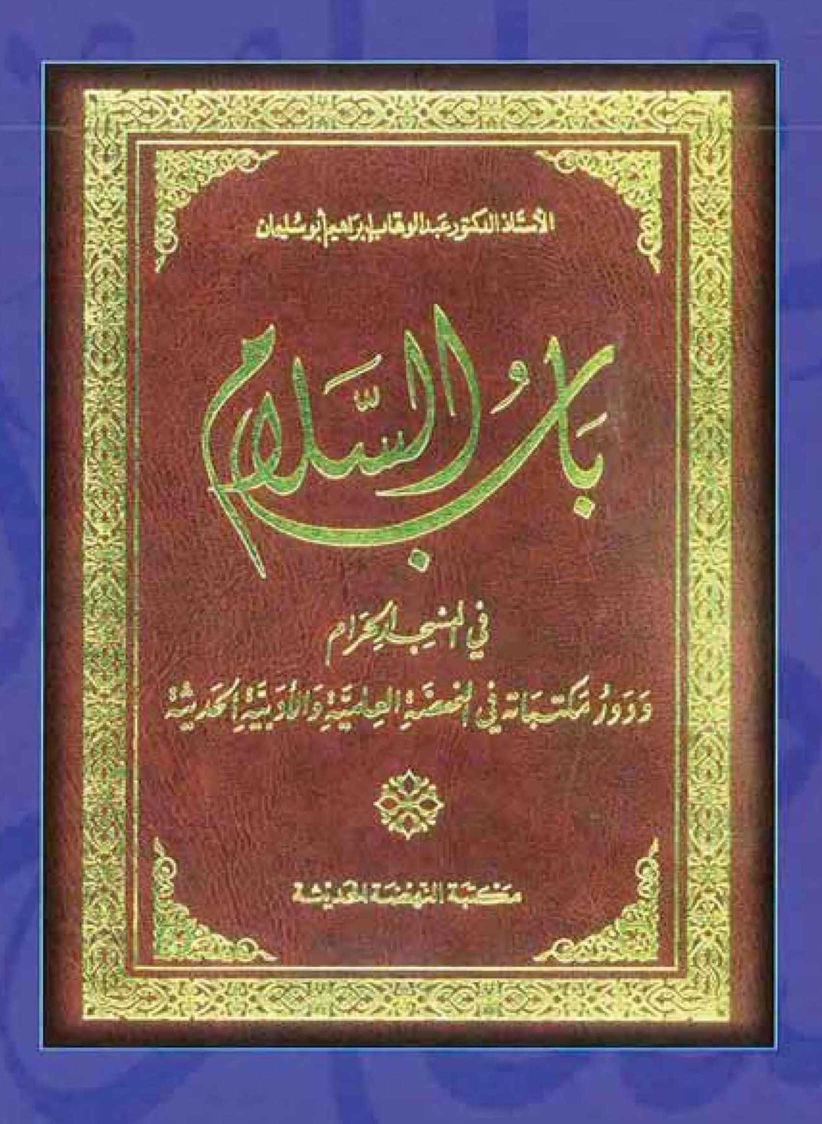
وهم يمثلون الآن نحو ٨٪ من جملة سكان النوبة. وتأثيرهم القوي في المناطق المتاخمة لهم في الغناء والموسيقا العربية، حيث تأثر نوبيو المضيق مثلاً بغناء عرب المضيق (أبناء عمومة العقيلات) ويمتاز العرب بالفصاحة والبيان في الشعر، وخصوصًا في الشعر الشعبي. وقد أدخلوا نظام (المربوع) في الشعر الشعبي العربي في النوبة. وغيرها من الأخيلة والتراكيب الشعرية الجميلة في الغناء، ولمطربيها الشعبيين أغنيات في غاية الجمال، خصوصًا التشبب بالنساء، ووصف جمالهن، والمدح للرجال، وغيرها.

غير أن تأثير العقيلات محدود بالقياس إلى تأثير قبيلة الشايقية مثلاً في السودان الشمالي، التي أثرت في السودان كله بإيقاع الدليب وبشعرائها الذين صاروا أمراء



الشعر الشعبي الغنائي في السودان، مثل: إسماعيل حسن ومحمد علي أبو قطاطي، وغيرهم، الذين ارتقوا بالذوق السوداني إلى مرتبة سامية. ولا شك أن اندماج العرب بالنوبة قد ترك لنا أجيالاً عربية نوبية، صنعت لنا تراثًا متنوعًا في الأدب الشعبي، والفنون، والعمارة، والحرف، والصناعات اليدوية، والعادات والتقاليد وغيرها، ومن الصعب أن نفرزه كما نفرز القشدة من اللبن!

العبرة ليست بقصب السبق في النزول، وإنما بالاستقرار المجتمعي، والاندماج مع الآخرين



صدر حديثًا عن مكتبة النهضة الحديثة

كتاب: باب السلام في المسجد الحرام ودور مكتباته في النهضة العلمية والادبية الحديثة

تاليف: الدكتور عبدالوهاب إبراهيم ابوسليمان

مكتبة النهضة الحديثة: هاتف: ٦٦٩٢٥٣١٥٤١٧

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة التي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

المسابقة

شروط المسابقة

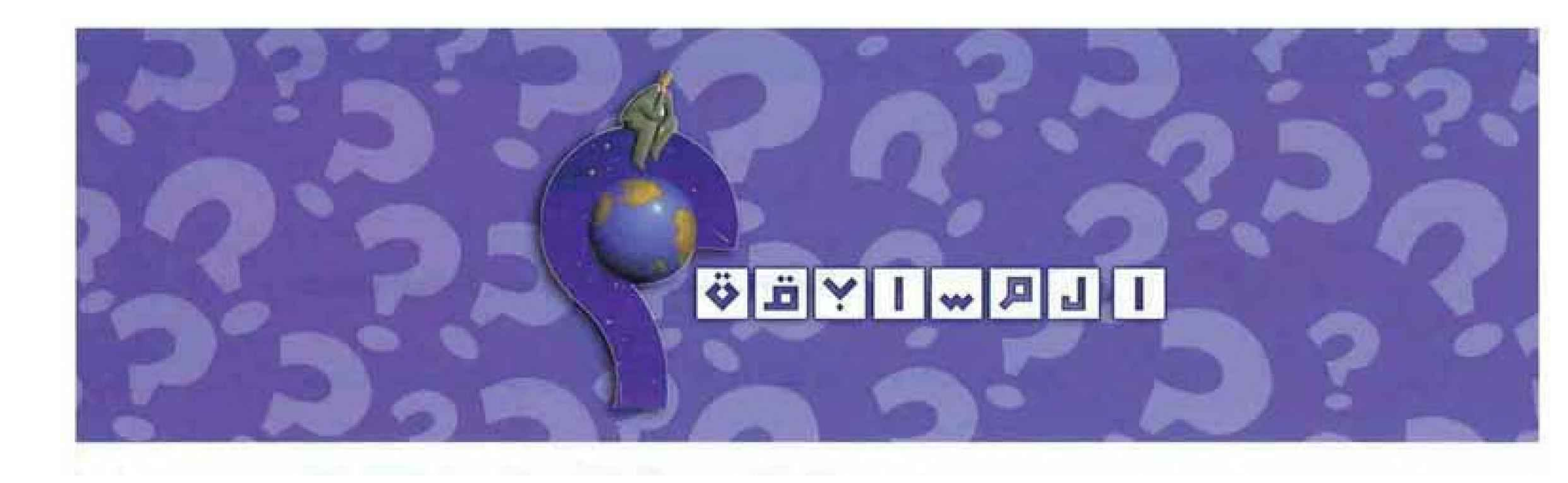
- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/ ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



أسماء الفائزين
العدد (٣٦٨)

صفر ١٤٢٨هـ فبراير/ مارس ٢٠٠٧م

الفائز الأول: أفنان صالح النصر - الأحساء - السعودية.
الفائز الثاني: الجازي فهد سلطان - الدوحة - قطر.
الفائز الثالث: آمنة محمد عقلان علي - تعز - اليمن.
الفائز الرابع: سميرة فهمي طوبال - حلب - سورية.
الفائز الخامس: صلاح الدين جمعة عبدالله - القاهرة - مصر.
الفائز السادس: بشرى السويلمي - آسفي - المغرب.
الفائز السابع: إنعام محمد سليمان الدباس - الجبيهة - الأردن.
الفائز الثامن: أسيل كفاح أحمد - أبو ظبي - الإمارات.

حل مسابقة
العدد (٣٦٨)

١. التَّم: هو طائر مائي قريب الصلة بالبطّ والإوزّ. يوجد في كل القارات ما عدا قارتي إفريقية والولايات الجنوبية المتجمدة.
٢. بدأت لعبة التنس في فرنسا خلال القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الميلاديين.
٣. أبو منصور الثعالبي هو مؤلف كتاب يتيمة الدهر.

أسئلة مسابقة
العدد (٣٧١)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) من هو صاحب كتاب «جماهير القبائل»؟ ....

....

(٢) من هم الصدوقيون؟ ....

....

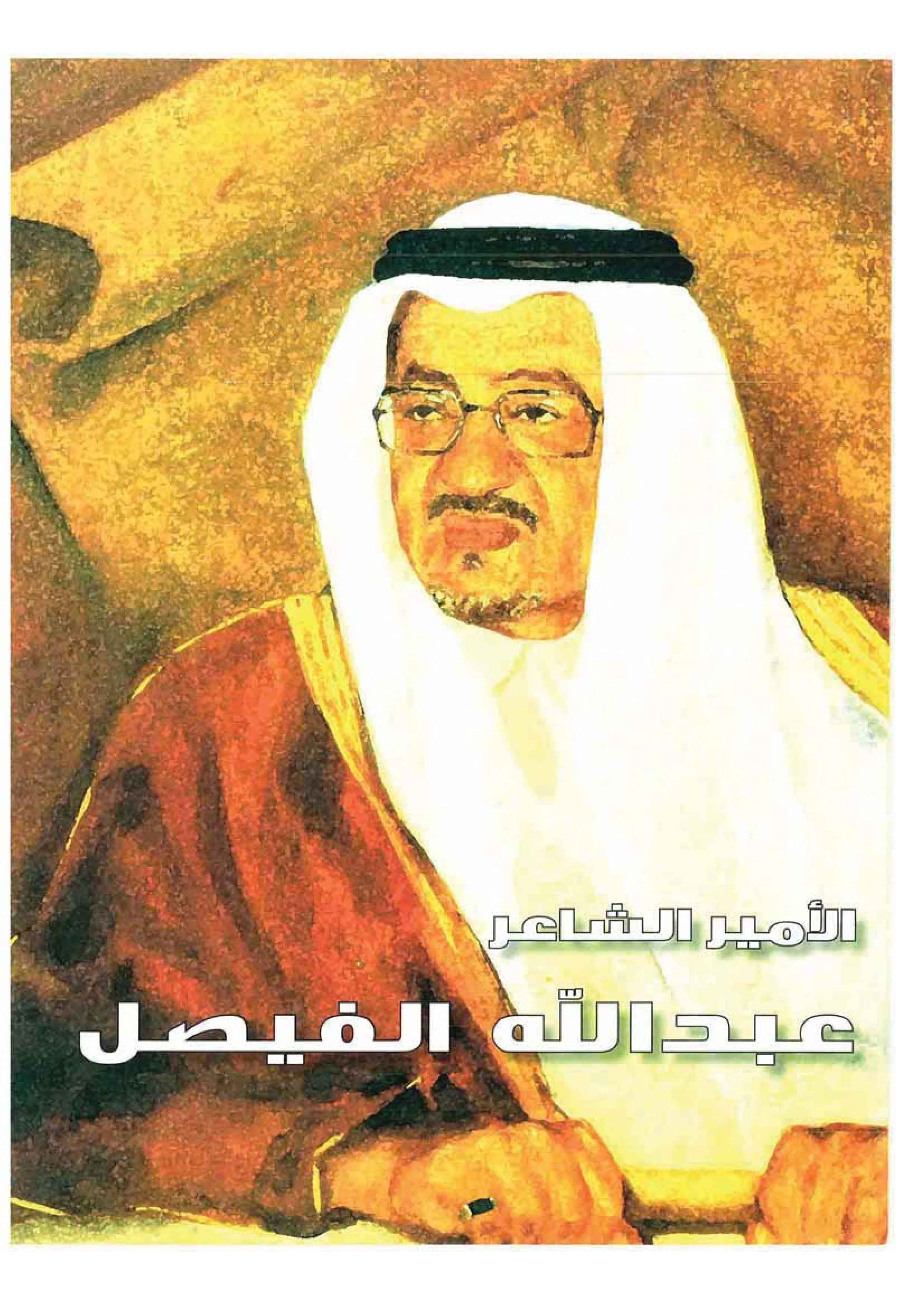
(٣) ماذا يعني الماركيز؟ ....

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.


الأمير الشاعر
عبدالله الفيصل

الأمير الشاعر عبدالله الفيصل

ريادة متعددة الأوجه

أعد الملف: حسين حسن حسين
قسم التحرير

توفي إلى رحمة الله تعالى صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر عبدالله الفيصل بن عبدالعزيز في مدينة جدة في يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الآخر سنة ١٤٢٨هـ (٨ مايو/ أيار عام ٢٠٠٧م) عن عمر ناهز ٨٠ عاماً. تبوأ خلالها عدداً من المناصب القيادية في الدولة، إذ تسلّم في عام ١٩٥٠م وزارتي الداخلية والصحة مدة من الزمن، ثم تولى وزارة الداخلية، ليتفرغ بعدها للعمل التجاري، والنشاط الثقافي، وأصدر خلال حياته عدداً من الدواوين الشعرية بالفصحى والعامية.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، الذي كان يرافق خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز في زيارته التفقدية إلى المناطق الشمالية للمملكة، قد قطع زيارته ووصل إلى جدة، حيث شارك في الصلاة على الفقيد في المسجد الحرام في مكة المكرمة.

وقد دخل الفقيد الراحل معترك الحياة العملية في سن مبكرة، إذ عينه جده المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وكيلاً لنائبه في المنطقة الغربية، وكان النائب وقتها والده الملك فيصل بن عبدالعزيز، رحمه الله.

ونعى الديوان الملكي السعودي الفقيد في بيان بثته «وكالة الأنباء السعودية» جاء فيه: «انتقل إلى رحمة الله تعالى صباح هذا اليوم الثلاثاء (١٢ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ)، الأمير عبدالله بن فيصل بن عبدالعزيز عن عمر ناهز ثمانين عاماً، إثر مرض عانى منه طويلاً. وسيُصلى عليه - إن شاء الله - بعد صلاة عشاء هذا اليوم في المسجد الحرام في مكة المكرمة. تغمّده الله بواسع رحمته، ومغفرته، ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته».

أسهم الأمير الشاعر عبدالله الفيصل في نشر الأدب السعودي، ليحتل مكانته في خريطة الأدب العربي، من خلال أشعاره بالفصحى، والعامية، التي وجدت إعجابًا وقبولاً من متذوقي الشعر، وكان أداء عدد من الفنانين أغنياته من أسباب انتشاره الواسع، كما تُرجمت أعماله إلى اللغات الفرنسية، والإنجليزية، والروسية، ونال عددًا من الجوائز، منها: شهادة الدكتوراه الفخرية من مجلس أمناء الأكاديمية للعلوم والثقافة المتفرعة من مؤتمر الشعراء



العالميين في سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة. كما ترأس وفد المملكة إلى مهرجاني المربد، وجرش. وارتبط الفقيد بعلاقات صداقة مع كثير من الشعراء العرب، أبرزها علاقته بالشاعر العربي عمر أبي ريشة، الذي كان يمضي معه الأشهر على شواطئ البحر الأحمر في جدة.

كانت للفقيد اهتمامات بالرياضة، وارتبط اسمه بالنادي الأهلي في جدة، الذي يعد واحداً من أشهر أندية الدرجة الممتازة في المملكة. وتكريماً للفقيد أطلق النادي الأهلي قبل عدة سنوات اسمه على الملعب الخاص به في مدينة جدة.

وقد ألف وكتب حول حياة الأمير عبدالله الفيصل وشاعريته، كما كان موضوعاً لرسائل علمية، ومن ذلك كتاب رجاء عبدالقادر محمد حسين، الذي جاء بعنوان: «رائد المدرسة الفيصلية في الشعر المعاصر، الشاعر الأمير عبدالله الفيصل». وتناولت الأستاذة منيرة العجلاني حياة الشاعر عبدالله الفيصل وشعره في كتاب بعنوان: «عبدالله الفيصل: حياته وشعره»، وهو بحث أعدته باللغة الفرنسية، وقدمته لجامعة السوربون بباريس، وتُرجم إلى اللغة العربية.

وكان كثيراً ما يرافق والده في مناسبات الضيافة، وقد رافقه إلى مؤتمر إنشاء هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م بالولايات المتحدة. وقد كان الأمير عبدالله شديد الاهتمام بمكة المكرمة، حريصاً على المشاركة بغسل الكعبة المشرفة، والاهتمام بمشروعات الحرمين الشريفين التي يأمر بها الملك عبدالعزيز، رحمه الله. ومن أهم المشروعات التي وضع الحجر الأساس لها مشروع السد أعلى مكة سنة ١٣٦١هـ.

وله - رحمه الله - عشرة من الأولاد هم خالد، ومحمد، وبندر، وعبدالرحمن، وسعود، وطلال، وسلطان، وتركي، وفيصل، وسلطانة.

بوفاته.. الأدب العربي المعاصر

يفقد أحد قاماته



عبدالله الفيصل
الشاعرية العذبة



ولد الأمير عبدالله الفيصل بن عبدالعزيز آل سعود في مدينة الرياض، في الخامس من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤١ هجرية، الموافق عام ١٩٢٢م، وهو الابن الأكبر للملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، وعاش السنوات الخمس الأولى من حياته في كنف جده الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن في الرياض، (وكان يسميه ربع الدنيا، وإذا غاب عنه قال آتوني بربع الدنيا لأراه. ولقد كان يجلس في مجالس الملك عبدالعزيز وهو لايزال طفلاً صغيراً يلتقط الإيماءات والإرشادات التي كان لها أثر كبير في حياته فيما بعد. ولهذا فإن السمات العظيمة لشخصية الملك عبدالعزيز انعكست على الحفيد الأمير عبدالله الفيصل، ثم انتقل بعد ذلك إلى مكة حيث عاش في كنف والده الملك فيصل، الذي كان آنذاك نائب الملك على الحجاز. التحق الأمير عبدالله الفيصل بإحدى المدارس الابتدائية في مكة المكرمة، عندما كان التعليم - آنذاك - في مراحله الأولى، فحصل على الشهادة الابتدائية التي كانت من أعلى الشهادات آنذاك في المملكة، ولكنه استزاد من العلم بالتحصيل الذاتي، والمطالعة الدائبة، فكان يقرأ في الأدب والتاريخ والسياسة، ولكن الشعر كان أحب الفنون إلى نفسه، وقد قرأ لكثير من الشعراء، من أمثال طرفة بن العبد، والنابغة الذبياني، وامرئ القيس، وعنترة، وعمر بن

أبي ربيعة، والمتنبي، وإبراهيم ناجي، وأحمد شوقي، وعلي محمود طه، وبدوي الجبل، وعمر أبو ريشة. واستطاع من خلال القراءة أن ينمي موهبته الشعرية، فكتب بالفصحى والنبطي، حتى أصبح واحدًا من كبار شعراء العربية.

استقبل الوسط الأدبي أول ديوان له بعنوان «وحي الحرمان» الذي طبعته رابطة جمعية القلم في بيروت سنة ١٣٧٣هـ (عام ١٩٥٤م)، وفي سنة ١٤٠٣هـ (عام ١٩٨٣م) أصدر ديوانه الثاني «حديث قلب»، ثم مجموعة من القصائد النبطية في ديوان «مشاعري». وقد ترجمت أعماله الأدبية إلى اللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، وتغنى بقصائده كثيرون من المغنين مثل: أم كلثوم، ونجاة الصغيرة، وعبدالحليم حافظ، وعبدالكريم عبدالقادر، ومحمد عبده، وطلال مدّاح، ومحمد عُمر، وخالد عبدالرحمن، ونبيل شعيل، وغيرهم.

شعر عبدالله الفيصل بعين النقد

حظي شعر الأمير عبدالله الفيصل باهتمام نقدي واضح، إذ حاول كثير من النقاد سبر أغوار شعره، وقراءته بعين نقدية تعين على فهمه.

عمق الإيمان

«شعر محروم» رومنطيقي النزعة. إذا كان لابد من نسبته إلى مدرسة حديثة من المدارس، على أنه خلو من الحالات المرضية، خلو من الرؤى المحمومة، خلو من العنف. كل قصيدة من القصائد وحدة قائمة بذاتها ومستقلة، لا تشتمل إلا على موضوع واحد، من عتاب، أو ذكرى، أو ندم، أو حنين. و«محروم» لا يشغلك بفلسفة، ولا يجهدك باستقراء لتفسير معالم الكون، وأحداث الحياة، وأسرارها. فهو مطمئن إلى عقيدة راسخة، مرتاح إلى إيمان عميق لا يرقى إليه شك، ولا تضطرب معه النفس، لا ثورة على قدر، ولا تجديف ولا غضب».

صلاح لبكي

مقدمة ديوان «وحي الحرمان»

بدوي النزعة

«ليس هو إلا واحدًا من شعراء وطنه (نجد)، ومستقره (الحجاز)، يجب أن يضاف اسمه إلى أسمائهم، وكلهم أحسَّ الحرمان، وشقي به، ولم يستطع أن يبين عنه؛ لأنه لم يعرف حقائقه، وإنما اتخذ التصوير الرمزي وسيلة إلى الشكوى منه، والتبرم به، والتمرد عليه أحيانًا. بدوي النزعة في هذا الحب النقي العفيف، القريب البعيد في وقت واحد، ولكنه على ذلك مصريّ اللغة أو لبنانيّها».

طه حسين

كتاب «من أدبنا المعاصر»












سحر الألوان

«إن الشاعر الأمير قد وقف ديوانه الأول «وحي الحرمان» على شعر الغزل، يذيب فيه عواطفه، ويسكب مشاعره وأحاسيسه، وقادة كنار جوانحه، أشعلها الحب، وألهبها الصدود، فتقذفت حممها قصائد وجدانية، أضفى عليها جمال الأسلوب، وفصاحة اللفظ، وحسن السبك، وقوة الحبك، وإشراقة الديباجة جمالاً على جمالها. جمع الفوضى في أعماق النفس البشرية، فتلمس أحاسيسها ومشاعرها، وتحسس آلامها وآمالها ليؤوب من ذلك بلوحات ضمت إلى سحر الألوان قوة الأداء، ووروف الظلال».

د. محمد بن سعد بن حسين

كتاب «الأدب الحديث في نجد»

صيحات التجديد

«إن شعر الأمير عبدالله الفيصل حصيلة تأثر فني بصيحات التجديد في المضمون لدى جماعة التجديد الذهني «جماعة الديوان»، وجماعة «أبوللو» واتجاههم الوجداني، وشعراء «رابطة الأدب الحديث»، وشعراء «المهاجر».

د. يوسف نوفل

كتاب «أدباء من السعودية»

حياة جديدة

«لقد نجح عبدالله الفيصل في ترجمة السر الخفي لعاطفة الحب الصادقة، بلغة تتسم بالرصانة، والرزانة، والنبل، والشفافية، والخاضعة للأوزان الموسيقية، كما نجد شبيهًا لذلك في النماذج الشعرية الرائعة لدى كبار شعرائنا الفرنسيين مثل: راسين، وفيرلين، وفاليري.

وعبدالله الفيصل وفيٌ لأصول الشعر العربي، فهو على العكس من مجموعة من الشعراء العرب المعاصرين الذين حاولوا تقليد جوازاتنا الشعرية المغرية. نراه يوجب على نفسه الصبر والزهد، والتضحية. فاستطاع بهذا المسلك الصعب أن يهب معاني الحب الخالدة حياة جديدة في صحراء هذا العالم».

جان غيتون - عضو الأكاديمية الفرنسية

مقدمة «ديوان الحب» المترجم إلى الفرنسية

رائد النزعة الرومانتيكية

«الأمير عبدالله الفيصل رائد النزعة الرومانتيكية في الشعر النجدي المعاصر، وأحد أقطاب الشعر العاطفي في العالم العربي، يجاري من الشعراء المعاصرين نزار قباني في الاتجاه الموضوعي من دون القوالب والأساليب الصياغية، ويمتاز شعره بالعفوية، وشبوب العاطفة، والخيال الخصب، والموسيقية الكلاسيكية.

من خصائص شاعرنا المحافظة على ملامح الشعر المأثور شكلاً وصياغة، فهو لا يؤيد النزعات التجديدية في القوالب الشعرية؛ لأنها تذهب برونق الشعر وموسيقيته.

عبدالله بن إدريس

كتاب «شعراء نجد المعاصرون»



نتاج البيئة

إذا كان عبدالله الفيصل - وهو شاعر مرموق - قد خرج إلى دائرة العالمية، فلا بد أن يكون وراء هذا الخروج تطور لغوي أسفر عن نتائج أسلوبية باهرة، أو إلحاح على رسالة إنسانية نجح في توصيلها إلى المتلقي بحذقه العاطفي، وبشفرته المفهومة.

على أن ذلك الشاعر المرموق في أي من الحالتين لم يكن إلا نتاج بيئة يدل المحور الوصفي للدراسات المجتمعية والتاريخية على أنه منفعل بها، وفاعل فيها، وإلا لما رأينا - ظاهريًا - قصائد المناسبات، والموقف القومي (إلى شباب بلادي)، وقد استهدى بها العُلا في ديوانه (وحي الحرمان)، وأما في ديوانه (حديث القلب)، فنجد اثنتي عشرة قصيدة تصدرته، وصدرها هو بمناجاة (إلى الله).

د. أحمد كمال زكي

رسالة في السوربون

«شعر الأمير عبدالله الفيصل في جملته شعر عاطفي ووجداني، يغلب عليه الغزل، وكثير من غزله يصلح للغناء، وقد تغنى، فعلاً، كبار المغنين في البلاد العربية ببعض قصائده، ولقيت من الجماهير إقبالاً وإعجابًا.

إن الرومانسية التي اتصف بها شاعرنا ليست رومانسية مريضة، أو سوداوية، فشاعرنا لم يمجد الألم، ولم يستعذب العذاب، وإنما التقى مع الرومانتيكيين، أو مع الخط الرومانتيكي في الشعر بهذه الطبيعة الحزينة الشفافة، التي ولدها الشك والألم.. بسبب الحب! ومن هنا تجلت صوره الشعرية الحزينة الشفافة. أما التجديد الذي أحدثه الشاعر، ضمن المفهوم المعروف للشعر العربي بعروضه وقوافيه، فهو تجديد في المعنى والمفردات، إضافة إلى استعماله مجزوءات الأبحر، وتغييره القافية خلال القصيدة».

د. منيرة العجلاني في رسالة علمية في جامعة السوربون

نبض الكلمات

«لقد استطاع الشاعر بعبقريته الشعرية الشفافة والآسرة أن يطوع الشعر العمودي لاستيعاب تجربته الوجدانية، وأن يجعل الشعر العمودي ميدانًا للتأمل في الجمال والخير وأثرهما في القلب الرومانسي الرقيق.



ولاشك أن كثيراً من شعر الأمير عبدالله الفيصل، سواء الشعر الوجداني أو الوطني، يمكن أن يكون مجالاً للتلحين والغناء، لما يتميز به من روح شادية، وعواطف سامية، وبما يزخر به من كلمات عذبة، ومعان رقيقة، وشفافية.

لقد عرف الأمير عبدالله الفيصل الحرمان بمعناه المعنوي والوجداني، ولكنه عاش مع نبض الكلمات التي ترسم قدرته على تلوين الكلمات بنبض مشاعره، وذوب وجدانه، وهذا هو الشعر الأصيل!!».

أحمد المهندس

شاعر الشباب

«الراحل الأمير الشاعر عبدالله الفيصل هو شاعر الشباب، كما كان يلقب عند الأدباء والمثقفين في وقت سابق، وظل اللقب - حتى اليوم - يشير إلى قامة ذلك الشاعر، الذي أتى إلى عالم الشعر بقوة موهبة لافتة، تمثلت في قصائده التي كانت تنشر وتتداول بين الناس من محبي الشعر والمتذوقين له، وترسخت مكانة الشاعر بصدور ديوانه الأول (وحي الحرمان) الذي جاء أنيقاً في المعنى والمبنى كلوحة ناطقة رائعة الجمال تشد الرائي والسامع فيتجاوب معها بروحه دون تجزئة، ويعيش الشعر معايشة متفاعلة: لأن تلك الصور تدفع المتعامل معها إلى أن يدخل إلى جوانيتها منقباً ومستزيداً للمتعة والتأمل: لأن الصياغة قد جاءت منسابة برقراقة عذبة، وكان المتلقي يتذوق طعمها بكل حواسه، فعندما تجيء الكلمات مشحونة بالعواطف، فإنها تصل من دون وسيط سوى مدى حاسة استقبالها بما تستحق».

سعد الحميدين

تطريب وسرعة بديهة

«همومي اليوم عن عبدالله الفيصل، رحمه الله، الذي شارك في العمل الرسمي منذ التنظيم الإداري لبلادنا الحبيبة، ولكنه ترك العمل الرسمي مبكراً، وتفرغ للعمل الحرّ، وهوايته الأدبية، وكان الملك فيصل - رحمه الله - رُزق بأنجال كل واحد منهم تفوّق في مجال أو أكثر؛ فترك الملك فيصل لأنجاله حرية الممارسة في الميزات التي تفوقوا فيها؛ ففي المجال الحرّ كان عبدالله الفيصل رجلَ أعمالٍ ناجحاً، وفي الهواية الأدبية مارس هوايته على أوسع نطاق، فأما في الشعر الفصيح فمعروف ذلك عند الكافة، وهو مجموع، وقد كنا ندرس نصوصاً منه في الإعدادي، وشرّقت وغربت بالإطار الفني قصيدتان مشهورتان له هما (القلب يعشق كل جميل)، و(ثورة الشك).. والأخيرة أقدم زمناً، والأولى أجمل، وكلاهما جميل.. وله أشعار ومقطعات من الشعر العامي لا يقولها إلا فحول الشعراء، ولكنها - للأسف - لم تُجمع، وقد سمعتُ مقاطع منها من الرجل المعمر محمد بن سعيد، رحمه الله، فهزتني طرباً.. وكانت مجالسه صالونات أدبية يزيد في حرارتها ما فُطر عليه عبدالله الفيصل - رحمه الله- من تنكيت وسرعة بديهة، وربما كانت نُكَتُهُ لاذعة، فإذا كانت نكتته - رحمه الله - تصل إلى العظم فإنه لا يجزع من الرد البديهي، بل يعجب به، ويُسرُّ».

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

أورثني حب الجمال

(هذا والدي وإذا لم أرث منه كل ما أتمتع به من حب للرياضة والفن والشعر فممن أرث. رحم الله والدي الذي استقيت منه كل ذلك، إذ كثيرًا ما سعدت بأن أكون إلى جانبه في مجالس الأدب العربي والمحلي وصالوناته. كذلك صناعته لعوالم الرياضة الحديثة في المملكة في المراحل التأسيسية.. رحم الله عبدالله الفيصل الذي أورثني الحب.. حب كل شيء جميل: لأنه كان دومًا صنوًا للجمال وللأنشطة الشبابية في الرياضة.. واستحق بجدارة لقب جده الملك المؤسس الذي أطلقه عليه: ربع الدنيا).

محمد العبدالله الفيصل



زعيم الإبداعيين

(إذا كان الشاعر النجدي المرحوم محمد بن عثيمين زعيم المحافظين، فإن الأمير عبدالله الفيصل يعد بحق زعيم الإبداعيين من دون منازع.. فهو لم يكن شاعراً غنائياً بالمصادفة ولا بالتعمل، ولم تطاوعه اللغة، وتمدد بالكلمة المغناة إلا لإحساس ذاتي غير مفتعل، والبحور الشعرية الخفيفة الصافية، والقافية السلسة الموقعة، كل ذلك لم يكن عن رغبة متعمدة، وإنما كان عن استعداد فطري، فالفرزدق عاشق لا يحسن الغزل، وجرير غزل لم يجرب العشق، أما عبدالله الفيصل فعاشق يحسن الغزل).

د. حسن الهويمل














الجوائز والشهادات

- منح الدكتوراه الفخرية في العلوم الإنسانية بقرار من مجلس أمناء الأكاديمية للعلوم والثقافة المتفرعة من مؤتمر الشعراء العالميين، المنعقد في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية، في سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٨٥م.
- نال اللوحة الألفينية لمدينة باريس من السيد جاك شيراك عمدة باريس في سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- منحه جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب الراحل العضوية في الأكاديمية الملكية المغربية في سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م بوصفه واحدًا من أبرز الشعراء والأدباء العرب.
- شارك في المنتدى الأدبي في جرش في المملكة الأردنية الهاشمية في سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- رئيس وفد المملكة العربية السعودية لمجتمع الأدباء والشعراء في المربد في العراق سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- أقامت دار سعاد الصباح ندوة في مدينة أبها بعنوان «عبدالله الفيصل الشاعر والإنسان» في الفترة من (٧ - ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٢هـ الموافق ١٠ - ١٣ أغسطس عام ٢٠٠١م)، وذلك تكريمًا لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل، وتقديرًا لإبداعه الشعري، وعطائه الثقافي، وشارك فيها عدد كبير من المفكرين، والعلماء، والنقاد.
- منحه مجلس جامعة (شو) بولاية شمال كاليفورنيا درجة الدكتوراه الفخرية في الأدب والعلوم الإنسانية سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- منحه جلالة الملك محمد السادس ملك المملكة المغربية وسام الكفاءة الفكرية سنة ٢٠٠١م.
- منحه فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية أمين لحود



وسام الجمهورية من الدرجة الأولى عام ٢٠٠٢م.

- كرم في منتدى فكري وأدبي من قبل مؤسسة الحريري في الجمهورية اللبنانية عام ٢٠٠٢م .
- كرمه نادي جدة الأدبي سنة ١٤٢٢هـ الموافق عام ٢٠٠١م بوصفه واحدًا من الرواد والمؤسسين للحركة الأدبية السعودية.
- كرمته الرعاية العامة للشباب ضمن رواد الرياضة السعودية في سنة ١٤٢٦هـ، كما تم تكريمه في دورة الصداقة بأبها في سنة ١٤٢٥هـ بالصفة ذاتها.



فسحة الأمل

تولى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل رئاسة مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وتحت عنوان (فسحة الأمل) كتب سموه، مقدمًا للمؤسسة:

«لقد احتل الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - مكانة دولية مرموقة؛ بفضل سياسته المعتدلة، ومواقفه التاريخية التي نبعت من مبادئ إسلامية أصيلة، آمن بها، وعاهد نفسه على الدفاع عنها بكل ما أوتي من قوة.

وهذا الثبات على المبادئ، وسعيه الدؤوب إلى أن تسود العالم قيم العدل والوئام والتعاون، جعلاه قدوة لكل الشرفاء من قادة الرأي والسياسيين، الذين يتطلعون إلى حياة كريمة لشعوبهم.

وكانت رؤيته تقوم على ضرورة توافر البعد الإنساني في كل الخطط والسياسات، التي تؤثر في حياة الناس، بغض النظر عن اللون والجنس والدين، وكانت دعوته إلى أن تتوجه الجهود إلى تحسين أحوال الفقراء والبائسين؛ من أجل واقع أفضل وأجمل لكل شعوب الأرض.

واستحضارًا لهذه الروح الإنسانية التي ميزت الفيصل، وإحياء لمبادئه، قرر أبناؤه بعد استشهاده - رحمه الله - تبني فكرة تأسيس مؤسسة خيرية تمتد أنشطتها إلى كل بقاع الأرض من أجل الإسهام في تحسين أحوال كثير من الفقراء والمحتاجين بأشكال وصور قيم الحضارة الإسلامية، وتبذر الأمل في النفوس تطلعًا إلى عالم أكثر رحابة، بإذن الله.

وها هي ذي مؤسسة الملك فيصل الخيرية تقترب من عامها الثلاثين، وقد حققت كثيرًا من أهدافها، لكن يظل الطموح في تحقيق إنجازات أكثر، وأوقع أثرًا في محيطها الإنساني دافعًا إلى مزيد من البذل والعطاء».

يذكر أن مؤسسة الملك فيصل الخيرية تأسست بموجب المرسوم الملكي رقم أ/١٣٤ الصادر في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ، ومن أنشطتها الخيرية الإنفاق الخيري، والمنح الدراسية، ودار الفيصل الثقافية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومدارس الملك فيصل، وجامعة الفيصل، وكلية عفت الأهلية للبنات، وكلية الأمير سلطان للسياحة والفندقة، ومن استثمارات المؤسسة مجمع الخيرية، ومركز الخزامى، وفندق الخزامى، ومجمع الفيصلية، إلى جانب مشروعات استثمارية أخرى.



لوحة حب ووفاء

أهدت مؤسسة الملك فيصل الخيرية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل لوحة غلاف الملف بمناسبة نيله وسام باريس، وجائزة الدولة التقديرية، وهي بريشة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل الذي عبر عن مشاعره بأبيات، قال فيها:

يا فارس الأشـعار مني تحية
مع ريشـتي حاولت أصـور معانيك
مزجتها بألوان روحي هـدية
يا ليتني آخذ باقي العمر وأهديك
ياما خذينا من حنانك عطية
وش عنـدنا مثل هذا اليـوم نعطيك

عبدالله الفيصل

آراء في الأدب والحـــ

أجرت الفيصل «حوارًا» مع الأمير الشاعر عبدالله الفيصل، في عددها المئوي، في إطار ملف أعدته بمناسبة وسام باريس العالمي، وجائزة الدولة التقديرية، وطرح خلاله بعض آرائه في الأدب والحياة..

الشاعر والإنسان

الإنسان الشاعر في أعماق الأدب.. قد يكون حالمًا، وقد يكون مثاليًا، وقد يكون مرهفًا في أكثر الأحيان.. لكن الإنسان الإنسان يعيش حياته اليومية منغمسًا في هموم الدنيا وطموحاتها، وأشكال التعاملات الحياتية التي تترى من أمامه في صورة شريط سينماتي، تكشف عن هوية البشر وغرابتهم. وباختصار فإن الإنسان الإنسان هو مزيج من المعاناة الخارجية، والحس الداخلي الذي يتلقى هذه الحالات المتغيرة، ويتعايش معها، ويتخذ نحوها كثيرًا من القرارات التي تصدر من العقل تارة، ومن العاطفة تارة أخرى، ومن الاثنين في كثير من الأحيان.. أما الإنسان الشاعر في داخلي، فهو طفل ناضج يتحرك في إطار الحلم وروعة الجمال، وقسوة الحياة وجراحاتها.

الحب ليس زكامًا

– أنا لست مع ذلك الذي قال: «الحب كالزكام يصاب به الإنسان بصورة مجانية»، ولست مع ذلك الذي قال: «إن الحب تيار كهربائي لا تعرف متى تتفاداه».. إنهم يتحدثون عن اللحظة.. واللحظة التي لا تجد إحساسًا فنيًا بالمشاعر تسقط صاحبها في مغامرة لا نهاية لها.. فعندما ترى إنسانًا آخر، وتحس بشيء في داخلك نحوه، فإن ذلك

لا يعني أنك قد أحببته.. ومن هنا فإن عليك أن تحلم، وتحلم، وتكتب عشرات القصائد في وصفه ومدحه.. إن عليك أن تواجه هذه «الرعشة» بشجاعة.. أن تسأل عددًا من الأسئلة.. من هو هذا الإنسان.. وماذا يشكل بالنسبة إليك؟ وهل هو في مستوى الإحساس الذي يستنزف جزءًا من مشاعرك، ويؤثر في حياتك؟ ذلك أن كثيرًا من الأصداف واللآلئ البراقة تتحول إلى نحاس، وربما إلى «رمل» بمجرد أن تتعمق في حقيقتها.

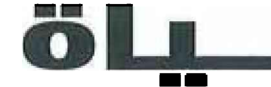
والإنسان الشاعر كالصائغ الماهر. ولاسيما حين يكون غزير التجربة مع الحياة، وبالناس، ولصيقًا بالمعاناة لمدة طويلة.. فهو لا يخدع بسهولة.

إن الحب الذي يسكن في العظام، هو الذي تتحرك له كل ذرة في دخائلنا، هو الذي ننام ولا ننام منه، وهو الذي نعيش ولا نعيش منه. وهو الذي نتحرك في كل اتجاه وكأن أقدامنا مسمرة في الأرض، وهو الذي ننزف ونحن نزغرد بفرحة في أعماقنا. وقد قلت ذات مرة أصف هذا الضجيج المدمر في داخلي:

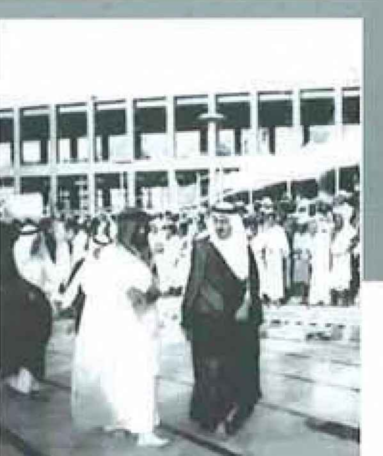
أحبك حتى كأنَّ الهوى
تجمَّع وارتاح في أضلعي
وأصبحتُ بعد الفراغ أمرأً
صريعَ الهوى (جامح موجع)
أحبك مهما يقل عاذلي
لأنك نجواي في مخدعي
تعيش ظلالك في ناظري
وصوتك ينساب في مسمعي
كأنك في أضلعي خفقةٌ
تروح وتغدو وتحيا معي

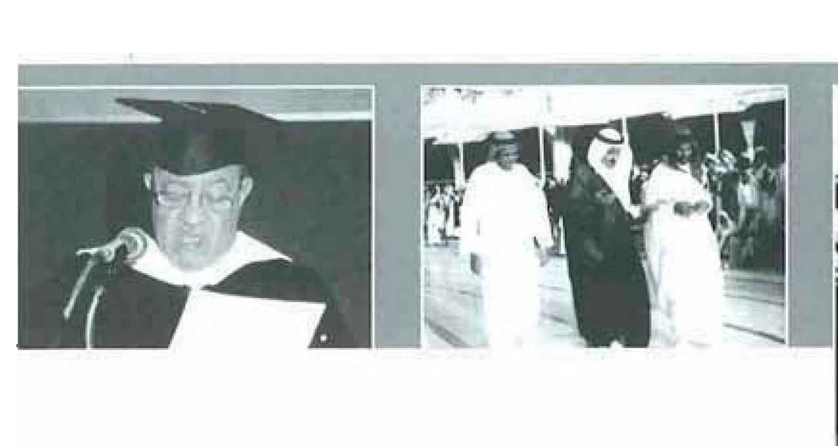
جامعتان

إنني أعتز بشهادتي الابتدائية، التي يزدان بها مكتبي.. وقد تمكنت من اكتساب المزيد من الخبرة المبكرة قريبًا من جدي جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - منذ أن كنت طفلاً في الخامسة من عمري.. ثم من أبي الذي أثرى حياتي وفكري بالمواقف والتجارب الإنسانية الضخمة،









ولو حاولت أن أفوز بما فزت به منهما من مدرسة، أو معهد، أو جامعة لأخفقت.. لأن جامعتهما فريدة، وذات عمق أعتز بأنني نهلت منه ما استطعت.

الحرمان والزمان

الشاعر ليس مصنعًا يعطيك قوالب محددة.. يحكمها الزمان، والمكان، والفكرة، وإنما هو حالة، هو تفاعل حسي، هو نبض يراوح بين القوة والضعف والجيشان. وفي قصيدتي «الحرمان» التي ضمها ديوان «حديث قلب».. قلت:

أنا ضقت بالحرمان يا ربي
والري من حولي فما ذنبي
حولي شباب ضاحك يانع
كالزهر في أحلى ليالي الربيع
والبدر من فوق الربى ساطع
يلاحق السحب ولا يستطيع
وسناه في قلبي يهفو إلى الحب
يارب ما ذنبي
يارب ما ذنبي

ذلك أن الإنسان قد «يدمن» شعورًا معينًا.. وقد يستغرق فيه، وقد تستبد به حالة شعورية معيّنة.. والحرمان لا يعني التعاسة المطلقة، ولكنه يعني إحساس الإنسان المتعاظم بمآسي غيره، ومشاركته لهم فيها، وتنبيهه لتعاستهم، وتأثره بما يتأثرون.. يحدث هذا حين يكون الإنسان مرهفًا بدرجة لا يستطيع معها أن يفصل بين لحظات الراحة والتعب.

وقد حاولت أن أترجم هذا الإحساس في قصيدة أخرى بالديوان نفسه بعنوان: «غربة الروح» عندما قلت:

غربتي غربةُ المشاعر والرو
ح وإن عشتُ بين أهلي وصحبي
أبدًا أنشدُ الهناء فألقى
حيثما رحتُ شقوة الحس جنبي
أزرعُ الود والحنان وأسقي
واحة الحب من روافد قلبي
فأرى الشك والجحود والقى
ناتئات الأشواك تملأ دربي

إلى آخر هذه القصيدة.. وفيها أتناول شرائح من البشر، وصورًا من التعاملات التي تورث الإنسان المرارة، وهذا يعني أن الحرمان لا يصدر من أعماق الإنسان، ولكنه يأتي نتيجة هذه التصرفات التي تدمي القلب.. فأنت لا ترى كثيرًا من صور الوفاء، أو التضحية في هذه الأيام، بل على العكس يصدر الجحود والنكران، والحسد والكراهية، وتجرح مشاعرك كثير من التصرفات غير الإنسانية، في زمن لم يعد فيه معنى أو قيمة لكثير من الأخلاقيات والقيم.. ومنها التضحية والصدق والوفاء.






مسخ وأصالة!!

أنا أسمع أن هناك قضية اسمها الشعر الشعبي. ولكنني لم أجد واحدًا ممن تناولوها على حق. فيما طرح أو اقترح. أو. أبدى من آراء.. وما خرجت به من محصلة الحوار الدائر هو: أن التوسع في الشعر الشعبي. يقضي على اللغة. ولا يخدم الأصالة. بل ويعرض التراث - من وجهة نظرهم - للزوال.

وقبل أن أعطي رأيي أريد أن أوضح خطأ جسيمًا يقع فيه هؤلاء المتحاورون. هو: أن هناك فرقًا بين الأدب الشعبي والتراث الشعبي (أولاً). كما أن هناك فرقًا كبيرًا بين الشعر النبطي والشعر الشعبي.

فالتراث الشعبي. مصطلح علمي لكل ما ورثته الأمة من أفكار. وعادات. وتقاليد. وملابسات. ولهجات. ومعمار. وسواها.. أما الأدب الشعبي.. فهو: كل ما يتصل بالناحية الفكرية من ألوان القول شعرًا أو نثرًا. ويدرج على ألسنة الأدباء والشعراء الذين يصدرون في أحاسيسهم ومشاعرهم عن طبيعة المجتمع. ويصورون ألوانًا من الحياة بكل ما فيها من (زينها وشينها).. وهذا يعني أن




التراث الشعبي.. ذو دلالة أوسع، وأنه يستوعب الناحية الحضارية للمجتمعات بجانبيها الروحي والمادي.

أما بالنسبة إلى الشعر النبطي، فإنه إضافة فكرية تحكمها قواعد وبحور تتسع، بل وتتجاوز بحور الشعر وأوزانه المألوفة عند الخليل بن أحمد.

وشعراء النبط، هم في الأصل شعراء فصحاء ومجدون، ويستندون إلى تجارب حياتية، وفطرة صافية.. ويميلون إلى الحكمة والتأمل والاستغراق في الحياة.. ويعيشون التجربة بكل تفاصيلها، ويصدرون فيما يقولونه - من شعر نبطي - عن طبع أصيل، وتجربة حقيقية، ولديهم قدرة فائقة على التصوير المؤثر، وليس على التصوير (الهلامي) المفتعل.. أما الشعر الشعبي.. فهو هذا اللون من القول الدارج، الذي يتداول على ألسنة بعض المغنين، والعامة في هذه الأيام، ولا يعكس فكرًا، أو عمقًا، أو تجربة، وإنما يصور حالة عابرة.. ولذلك فإن الفارق الجوهري بين الاثنين هو أن الشعر النبطي غني وأصيل وخالد، بينما الشعر الشعبي - إذا أسميناه شعرًا تجاوزًا - سرعان ما يندثر ويتلاشى ويموت؛ لخلوه من الإبداع والأصالة، وكذلك من البعد الحضاري والاجتماعي الذي يتميز به الشعر النبطي، فإذا نحن تخلصنا من هذا الخلط، وتبينا الفروق الجوهرية بين هذا وذاك، فإننا سندرك أن الشعر النبطي ثروة يجب الاعتزاز بها، والحرص عليها، وتنميتها، ودراستها، وتوارثها بين الأجيال؛ لأنها تعمق الصلة بين هذه الأجيال، وتزيد في إثراء ثقافتهم، وتعزيز صلتهم بموروثهم؛ لأنه جزء من تاريخ هذه الأمة، وبعض من إحساسها ونشاطها على كل الساحات، فإذا نحن أغفلنا هذا الجانب فإننا نصبح أمة بلا هذا، وأمة بلا ذاك.. هي أمة بلا تاريخ، وهذا ما يريده الأدعياء والموتورون. أما بالنسبة إلى ما يعرف بالشعر الشعبي: فهو «مسخ» للأصالة، وإضعاف للانتماء الوطني، والحس الاجتماعي في آن واحد.. ولا نميل إلى دراسته، أو الاهتمام به، أو التوسع في نشره. إن علينا - إذن - أن نفرق بين الأشياء، وأن تكون لدينا قدرة نقدية فاحصة، تميّز بين الموروث الأصيل والطارئ الهالك.

الحداثة والهلوسة

إن الحداثة نقلة تاريخية إنسانية طبيعية في كل زمان، وفي كل عصر، وفي كل مجتمع، لكن الحداثة لا تعني التمرد على كل تقليد، ولا تعني «الغرابة» في القول، أو التفكير.. إن ما نقرؤه هذه الأيام، هو عبارة عن «هلوسة».. وهذا يعكس أحد أمرين:

- إما ضحالة ثقافة من يدعي الحداثة بمفهوم المصطلح.. وأبعاده!!.
- وإما محاولة «الإيماء» للجيل الجديد بأن كل موروث يعكس مرحلة عقيمة، وأن على هذه الأجيال أن تتخلى عن كل ما هو موروث، وكلا الأمرين خطير، فهو يهدم، ويدمر اللغة والفكر والحياة في آن واحد.

وما أريد أن أقوله هو: أن الحداثة - كما أفهمها - ليست ضد الأصالة.. بل إن الحداثة هي الاقتداء التلقائي لموروث الأمة، وأن إكساب المضمون تجربة آنية، ورؤية خاصة يتسم بها العصر هو الإضافة التي لا تخرج بها عن الأصل، ولا تشذ بها عن الموروث، وإنما تعطيها بعدًا إنسانيًا آنيًا مناسبًا.

من أجل عينيك

مـن أجـل عـيـنـيـك عـشـقـتُ الـهـوى
بـعـد زمـــانٍ كُـنْـتُ فـيـه الـخـلـي
وأصـبـحـت عـيـنـايَ بـعـدَ الـكـرى
تـقـولُ لـلـتَّـسـهـيـد لا تَـرحَـلِ
وكـنـتُ لا آلـوي عـلـى فـتـنـة
يـحـمـلُـهـا غـضُّ الـصِّـبـا الـمُـقـبِـلِ
حـتـى إذا طـارَحـتـنـي نـظـرةً
حـالـمـةً مـن طـرفـكَ الأكـحـلِ
أحـسـسـتُ وَقـدَ الـنـارِ فـي أضـلـعـي
كـأنـهـا قـامـت عـلـى مـرجـلِ
وَجـمَّـلَ الـدُّنـيـا عـلـى مـا بـهـا
دفـقُ سـنـى مـن حـسـنـك الأمـثـلِ
يـا فـاتـنـا لـــولاهُ مـا هـزَّنـي
وَجـدٌ.. ولا طَـعـمُ الـهـوى طـاب لـي
يـا مـن عـلـى أقـدامـه بُـعـثِـرَتْ
غـلائـلٌ مـن ظـلـه الـمُـخـمَـلـي
إذا رنـا فـالـزَّهـرُ مـن حـولـه
مـزجُ طُـيـوبٍ سـالَ كـالـجَـدولِ
وإن شـدا أصـغـت إلـيـه الـدُّنـا
إصـغـاءةَ الإصـبـاحِ لـلـبُـلـبُـلِ
وإن مـشـى كـان الـسُّـهـا رَكـبَـه
عـبـرَ نـجـوم شـعـشـعـت مـن عـلِ
هـذا فـؤادي فـامـتـلـك أمـرَهُ
وَاظـلـمْـهُ.. إن أحـبـبـتَ.. أو فـاعـدلِ
بَـخِـلـتُ قَـبـلَ الـيـوم عـن بـذلـه
وفي سـوى قـلـبـي لـم أبـخـلِ
لأنـنـي أخـشـى انـعـدامَ الـوفـا
لـدى حـبـيـبٍ فـيَّ لـم يُـشـغَـلِ
وَأكـرَهُ الـتَّـسـيـارَ في رَوضـةٍ
إن لـم يـكـن خـطـويَ فـي الأولِ
لـكـنـنـي.. بـعـدكَ يـا فـاتـنـي
أصـبـحـتُ عـن كِـبـريَ في مَـعـزلِ
وبـاتَ قـلـبـي بـعـدَ تـيـه الـهـوى
أسـيـرَ حُـبٍّ في هـواكَ ابـتُـلـي
كـلُّ الـذي يـرجُـوهُ مـن عُـمـره
رَجـعُ صـدى مـن شـدوكَ الـمُـرسَـلِ
لـو شُـغِـلَ الـنَّـاسُ بـمـا فـي الـدُّنـا
لـم يُـعـنَ إلا بـكَ، أو يُـشـغَـلِ



وسام باريس..
تجسيد لعالمية شعره

لقد نال شعر عبدالله الفيصل تقديرًا على مختلف المستويات. وعبرت عن ذلك الجوائز التي نالها. وحمل (وسام باريس العالمي)، الذي منحه إياه عمدة باريس جاك شيراك (الرئيس الفرنسي فيما بعد) في سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دلالات واضحة على أن الشعر الجميل لا تحول الحدود الجغرافية، والمصالح السياسية، والفوارق الثقافية دون وصوله إلى المتلقي، مهما كان عنوانه، ومكان استقراره. ففي هذه الاحتفالية التي أقامتها باريس للشاعر عبدالله الفيصل حضر كثيرون من الأدباء والشعراء من كل أنحاء العالم، تقديرًا لشاعر استطاع أن يخاطب المشاعر الإنسانية، ويعبر بصدق عن الإنسان، أينما كان.

ينبوع الثقافة الأصيلة

وقد ألقى سموه كلمة في هذه المناسبة، قال فيها: دولة السيد جاك شيراك، عمدة باريس.. أصحاب السعادة سفراء الدول العربية والإسلامية.. حضرات السيدات والسادة.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ صدق الله العظيم.

إن أنبل سبيل للتعارف والتآلف وأقربه بين الشعوب بعد سبيل الإيمان الصادق لله، هو سبيل الثقافة بمعانيها الروحية السامية، وأهدافها الإنسانية الجليلة.

وفرنسا - هذا البلد الصديق - كانت دائمًا، وستستمر، ينبوعاً ثراً للثقافة الأصيلة، والقيم الحضارية الغنية، وبوتقة تتزاوج وتنصهر فيها ثقافات سائر الشعوب؛ ليتمخض عن ذلك تألق فذ يشيع الوئام والمحبة بين البشر جميعاً، على اختلاف أجناسهم، وتباين انتماءاتهم الديني والحضاري والعقائدي، كما يثير في نفوسهم التوق النبيل إلى بناء مجتمع إنساني لحمته الإخاء الصادق، وسداه السلام العادل.

ومدينة باريس، برئاسة عمدتها السيد جاك شيراك تعدّ قمة هذه المنارة الثقافية، ومصدر الإشعاع فيها. وإذا كان من أبرز خصائص المدينة الفاضلة، كما عرفها فيلسوفنا الكبير الفارابي، هي أن تحظى برئيس يتصف بالحكمة، ويناصر العلم والأدب، فإن مدينة باريس وعمدتها يجسدان - إلى حد بعيد - تعريف الفارابي للمدينة الفاضلة.

وفي هذا التكريم الرفيع للشعر العربي، عبر نتاجي المتواضع، ومنحي ميدالية العاصمة الفرنسية من قبل بلديتها العتيدة، دليل آخر على مدى صدق هذا البلد الكريم، الذي قدم للعالم عباقرة، مثل: فيكتور هوغو، وباستور، ومدام كوري، ولويس أراغون، وغيرهم.. أقول: على مدى صدقه في أداء الرسالة الحضارية والثقافية الإنسانية المنوطة به.

ساع إلى الإجادة

وإنني إذ أتقدم بالشكر لبلدية باريس العتيدة، ولعمدتها دولة السيد جاك شيراك، ولجميع مساعديه الكرام، وإذ أعبر عن اعتزازي وغبطتي بهذا التقدير الأدبي، أعترف بكوني، في مجال الشعر، لست متفوقاً على سواي من الشعراء العرب المعاصرين، وإنما أعد نفسي، في مجال الشعر دائماً، ساعياً بدأب في سبيل الإجادة، وإتقان العطاء. وأنا من المؤمنين بأن الإبداع الأصيل في الأدب لا يمكن أن ينبثق إلا من صميم حضارة المبدع، وأن يكون وثيق الصلة بواقعه وشعبه، وذلك مع الانفتاح الواعي والعميق على سائر الحضارات الغنية في العالم بأسره، ومن المؤمنين أيضًا بأن التقليد السطحي للآخر، وإن يك عطاء الآخر رفيعاً، ليس من باب الإبداع في شيء، ومواكبة العصر لا تعني أبداً التنكر المتعمد لأصولنا، ولا مجافاة قيمنا وحضارتنا.. فالنحلة مهما جنت، ومن أي مورد نهلت، يظل نتاجها، في النهاية معبّراً بصدق عن









خصوصيتها الذاتية التي حباها بها الله سبحانه.

وسروري بهذا التقدير الأدبي ليس نابعاً من كونه تكريماً للشعر العربي عبر نتاجي الشعري. وإنما ينبع - أيضاً - من كون بلدية باريس العتيدة وعمدتها رجل السياسة والفكر، قد اختار شاعراً عربياً من المملكة العربية السعودية بالذات. فهما قد أرادا بذلك إزالة بعض الأوهام التي ما زالت عالقة بأذهان قطاعات واسعة من الرأي العام في الغرب حول بلدنا. وأن يثبتا بالدليل القاطع أن الثروات المادية التي خصّ بها الله المملكة العربية السعودية وشعبها، لا يمكن - أبداً - أن تحجب عظمة الرسالة الدينية والثقافية التي يحمل بلدنا وقادته وشعبه مشعلها بكل أمانة، وكل اعتزاز. وأمل ممن أقدم على نقل بعض نتاجي الشعري إلى لغتكم الجميلة والغنية أن يواصل المهمة النبيلة، التي نصب نفسه وجهده لها، لإطلاع القارئ الفرنسي على ألوان ونماذج أخرى من الأدب السعودي، ومن آداب سائر البلدان العربية.

ومع تكرار الشكر لبلدية باريس وعمدتها دولة الصديق السيد جاك شيراك على هذه البادرة الكريمة التي تساهم، من دون شك، في تعزيز التعاون الثقافي المتعدد الجوانب بين بلدينا، اسمحوا لي، حضرات

السيدات والسادة، أن أختم كلمتي هذه بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾. صدق الله العظيم.

والسلام عليكم.

أبعاد ثقافية ورؤية إنسانية

والمتأمل في هذا الخطاب الضافي يمكن أن يستنتج بعض وجهات نظر الأمير الشاعر في القضايا الثقافية، والسياسية، ومن ذلك الآتي:

- إنسانية الفعل الثقافي، واتساع مداه، بما يتيح له تجاوز الحدود، مهما كان نوعها.
- الاعتراف بفضل الآخر، وإسهامه الحضاري، مما يدعم الروابط الإنسانية بين بني البشر على اختلاف انتماءاتهم.
- الاعتزاز بالتراث الحضاري العربي، وما يتسم به من بعد إنساني.
- التواضع الجم، وعدم ادّعاء التميز، والريادة.
- إدراك أهمية الثقافة في إيجاد فهم حقيقي للشعوب، بدلاً من الصورة النمطية، والأحكام المسبقة.
- الاعتزاز بالهوية، وتأكيد أهمية ارتباط الشاعر بمجتمعه، وأن يكون في إنتاجه الأدبي ابن بيئته.
- أهمية الترجمة في مد جسور العلاقات الثقافية.

قدوة نادرة

وقد ألقى عمدة مدينة باريس آنذاك، والرئيس الفرنسي اللاحق جاك شيراك كلمة ضافية، سرد فيها مسيرة الأمير الشاعر في مجالات السياسة، والثقافة، والرياضة، مسوغاً أسباب منح سموه وسام باريس العالمي، ومما جاء في هذه الكلمة: إنه لشرف عظيم، وفرح كبير أن أستقبل اليوم في قصر مدينة باريس الذي كان مسرحاً لكثير من الأحداث التاريخية، أميراً يحتل مكانة مرموقة وأصيلة داخل أسرة آل سعود النبيلة، ذلك أن صاحب السمو الملكي، الذي هو حفيد الملك عبد العزيز، والابن الأكبر للمغفور له بإذن الله الملك فيصل، وابن شقيق الملك فهد الذي تقيم معه فرنسا علاقات الاحترام والصداقة.

أهنئ نفسي على ذلك، فهو يعطي للعالم قدوة نادرة لرجل الدولة، الذي أصبح مؤرخاً وشاعراً ذائع الصيت، وراعياً للفنون والأدب.

ومما لا شك فيه أن طفولتكم قد احتوت على أسباب هذا التحول، ذلك أنكم قد عشتم فترة الطفولة في منطقة الحجاز في قلب مكة المكرمة، التي هي العاصمة الروحية والثقافية للعالم الإسلامي، وفي بيت الملك عبدالعزيز، أشرف والدك، الذي أصبح الملك فيصل، على تعليمك على يد أساتذة كبار، وعلماء أجلاء من كبار البحاثين والمنقبين، مثل: الشيخ عبدالله خياط، وحامد حابس، والمنصوري، والمرديني، إضافة إلى تلقينك العلم في معاهد مكة المكرمة والطائف.

ثقافة وإيمان

وإن تربيتكم الشاملة المستفيضة، التي تمت تحت شعار (الثقافة والإيمان)، والتي أقيمت على التوفيق بين التأصيل في التاريخ، وتقاليد شعبكم العظيم، والاستيقاظ أمام العالم العصري باستيعاب شعبه، وأنظمته العلمية، قد مهدت أمامكم السبيل لتصبحوا أميراً مثقفاً مستنيراً، وأديباً، كبيراً، ذلك أنه سرعان ما اهتديتم إلى الآداب مفضلين الثقافة الأدبية.

إن مؤسس دولتكم الملك عبدالعزيز، الذي كان يعرف كيف يقدر قيمة الرجال، ويتذوق مواهبهم قد

اكتشف في سموكم الفضائل والقدرة والمهارة، التي يجب أن يتحلى بها رجل الدولة.

ولما كان لطيفاً مع عائلته، حريصاً على مستقبل أحفاده، الذين خلدوا - فيما بعد - عظمته وذكراه، فإن اهتمامه كان منصباً عليك بالدرجة الأولى: لأنك كنت الابن الأكبر لنجله الثاني فيصل. وقد برهن على ذلك عندما عينك - وأنت ما زلت في نعومة الشباب - في منصب المستشار الثاني الخاص. علماً بأن والدك - وكان وقتئذ الأمير فيصل - كان ساعده الأيمن، ومستشاره الرئيس. وقد كنت كثيراً ما تمثل والدك في مجلس الوزراء، الذي يدرك الجميع أهميته في تسيير دفة الحكم في المملكة العربية السعودية. وهذا ما يؤكد مدى الثقة، التي كان الملك يضعها في آرائك ورصانتك وفطنتك.

رجل الدولة

وفي عام ١٩٥٠م، وكنت - آنذاك - تبلغ من العمر ٢٨ عاماً، صدر مرسوم ملكي بتعيينك وزيراً للداخلية والصحة، وهي مهمة من الأهمية بمكان: لأنها حملتك أعباء السهر على أمن البلاد، وكذلك الحفاظ على صحة المواطنين السعوديين وسلامتهم.

وحتى هذا التاريخ، فإن مسيرتك كانت، كما نرى، المسيرة الخاصة بالأمير، ورجل الدولة المضطلع بأعباء المسؤولية لعدة سنوات في عهد الملك عبدالعزيز، ثم في عهد عمك الملك سعود. ولما خلف هذا الأخير جدك في اعتلاء العرش لبيت نداء القلب، وقررت أن توقف نفسك على صقل موهبتك في مجال الشعر والحياة الأدبية.

عبقرية اللغة

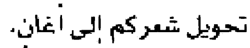
وإذا كانت عبقريتك في ميدان الشعر قد تفتحت قبل بلوغك سن الثلاثين: فلأنك قد أظهرت منذ نعومة أظفارك من خلال كتاباتك إدراكك وإلمامك بقواعد المجاز، وفنون الرسم الخيالي المتجلية في موهبة التعبير الصائب الصحيح، الطارئ المفاجئ، التي هي من المزايا، التي يتحلى بها شاعر كبير. وإن الروائع الأدبية، مهما كان البلد الذي ينتمي إليه صاحبها، تأتي عبارة عن مجرد نتيجة اتفاق بين الكاتب وعبقرية اللغة، التي يستعملها بإضافة زخرف جديد عليه. ولعل هذا هو الذي وقع بالضبط بين صاحب السمو الملكي واللغة العربية الأدبية التي أصبحت الأداة والملهمة من ملهمات الفن لشعركم. وفي عام ١٩٥٣م، صدر ديوانكم الأول (وحي الحرمان)، الذي أثار على الفور إعجاب الأدباء والمثقفين العرب والسعوديين وحماستهم.

ولن أذكر من بين الأدباء الذين أشادوا بكم سوى المعروفين منهم وهم: طه حسين، ومارون عبود، وعمر











تحويل شعركم إلى أغان.

ولعل المثال الساطع في هذا المجال تجسده المغنية الذائعة الصيت في الشرق الأوسط السيدة أم كلثوم، التي غنت بعض قصائدكم.

وإنكم يا صاحب السمو الملكي بوصفكم شاعرًا تمت ترجمة أعمالكم إلى عدة لغات إنجليزية، وروسية، وفرنسية، وحصلتم على دكتوراه في العلوم الإنسانية، ودكتوراه فخرية من الأكاديمية العالمية للفنون والثقافات التي منحت لكم في عام ١٩٨١م. وقد استطعتم أن تجعلوا من مجلسكم الأدبي أحد مراكز الحياة الثقافية في العالم العربي.

فأنتم المستشار النير الذي يقصده الباحثون من أماكن نائية: ذلك لأنكم تتمتعون بنفوذ كبير في ميدان تاريخ الملك ابن سعود والدولة التي أسسها، وبصورة عامة في الموضوعات المتصلة ببناء المملكة العربية السعودية.

أبوريشة، وصلاح لبكي. وفي عام ١٩٨٢م، تعزز عملكم الأدبي بظهور ديوان جديد (حديث القلب). إلا أن لكم أكثر من ديوان ما زال مخطوطاً لم يدفع به إلى الطبع. على أن محب الشعر مثلي ليأسف لذلك. وقد كانت روائعكم الأدبية مادة لإنجاز أعمال جامعية: ذلك أنها كانت موضوع رسالة ماجستير في جامعة السربون.

وإذا كان قلمكم انتقائياً واصطفائياً فإنه أبى أن يبتعد عن قمم اللغة العربية الأدبية، فاتجه إلى ميدان الشعر الشعبي، وساهم في الشعر النبطي الذي يحبه البدو. وفي هذا المجال كذلك فقد تجلت براعتكم في غزارة الصور، وفي رشاقة الأسلوب وانسجامه بحيث إن عدداً كبيراً من الفنانين يتنافسون قصد الحصول على شرف

ريادة رياضية

إلا أنكم بوصفكم كاتبًا ومثقفًا ووزيـرًا أمينًا للصحة، وشعوراً منكم بصواب الحكمة القائلة: (العقل السليم في الجسم السليم). فقد أوليتم عناية فائقة لتنمية الرياضة في بلدكم. وبصفتكم وزيراً للداخلية فقد كنتم أول من أرسى قواعد الرياضة العصرية في المملكة العربية السعودية، بإحضار الحكام والمدربين من ذوي الكفاءة، وتشجيع الشباب السعودي على التنافس الرياضي. وليس عجيباً أن تصبحوا الرئيس الشرفي لعدة أندية رياضية سعودية، وكذلك أندية سودانية ومصرية وتونسية. كما أنه كان من الطبيعي أن تتولوا في عام ١٩٨١م، رئاسة اللجنة الأولمبية في المملكة.

وإن مدينة باريس لتدرك إدراكاً تاماً هذه الظاهرة المزدوجة في شخصيتكم. ذلك أنه إذا كانت باريس تحظى

منذ عدة قرون بمكانة مرموقة بوصفها عاصمة أوربية للثقافة والفنون، فإنها تعدُّ كذلك مدينة رياضية كبيرة مزودة بالتجهيزات الجيدة مثل (قصر بيرسي) لممارسة مختلف أنواع الرياضات. وكما تعلمون، فإن باريس قد رشحت نفسها لاحتضان الألعاب الأولمبية في عام ١٩٩٢م.

وتقديرًا لمزاياكم الكثيرة، فإن مدينة باريس وبلديتها ليسعدهما أن يستقبلا صاحب السمو الملكي. إن عاصمة الفنون والآداب لتقدر حق التقدير هذه المقابلة مع الشاعر والأديب الكبير، كما أن عاصمة فرنسا لسعيدة بزيارة صاحب السمو الملكي - أحد أقارب الملك فهد. وإن هذه الزيارة سوف تعمل على تعزيز أواصر الصداقة، التي تجمع بين فرنسا والمملكة العربية السعودية. وفي اتجاه هذه الآفاق الوضاءة أقدم لكم الآن أعلى وسام لهذه المدينة العريقة. هذا الوسام الذي يجعل منكم مواطن شرف لباريس، التي تشعر مع ممثليها بالسعادة والاعتزاز.

شاعر من دون مؤثرات

في اللقاء الذي أجرته معه مجلة «الفيصل» في عددها المئوي الصادر في شوال سنة ١٤٠٥هـ (يوليو/ تموز عام ١٩٨٥م).. قال سموه:

ليس لديَّ ما أقوله عن هذا التكريم، الذي لا أعدّه تكريمًا لي وحدي، وإنما هو تكريم للشعر العربي، وللشاعر العربي، الذي استطاع أن ينال تقدير الأوساط الأدبية الفرنسية، ويحوز هذا الدرع.

وأنا لا أعدّ نفسي خير شعراء العربية، ولكنني أعدّ نفسي أحد الشعراء الذين يحاولون أن يصوغوا التجارب الإنسانية بشكل شمولي؛ لتعكس مدى التجاذب الإنساني بين البشر، ومدى الالتقاء الحسي والفكري بين الخليقة، فما يحس به إنسان في أقصى أقاصي الأرض يمكن أن يحس به إنسان آخر في مكان ما من هذا العالم.

وعندما يصوغ الشاعر هذه المعاناة، فإنه يصور حقيقة تشابه تجارب البشر، وتلاقي مشاعرهم، وإذا كان هناك ما أسعدني فهو أن ينظر إلى تجربتي بصفتي شاعرًا بمنظار مجرد ومن دون أية مؤثرات جانبية.

❖ وعن سؤاله عن شعره هل دخل العالمية، أجاب:

أنا لا أقول هذا الكلام؛ لأن الحكم في هذا يعود إلى النقّاد، وإلى الهيئات العالمية والأكاديمية. واسألوا من اختار شعري في فرنسا لهذا التقدير.

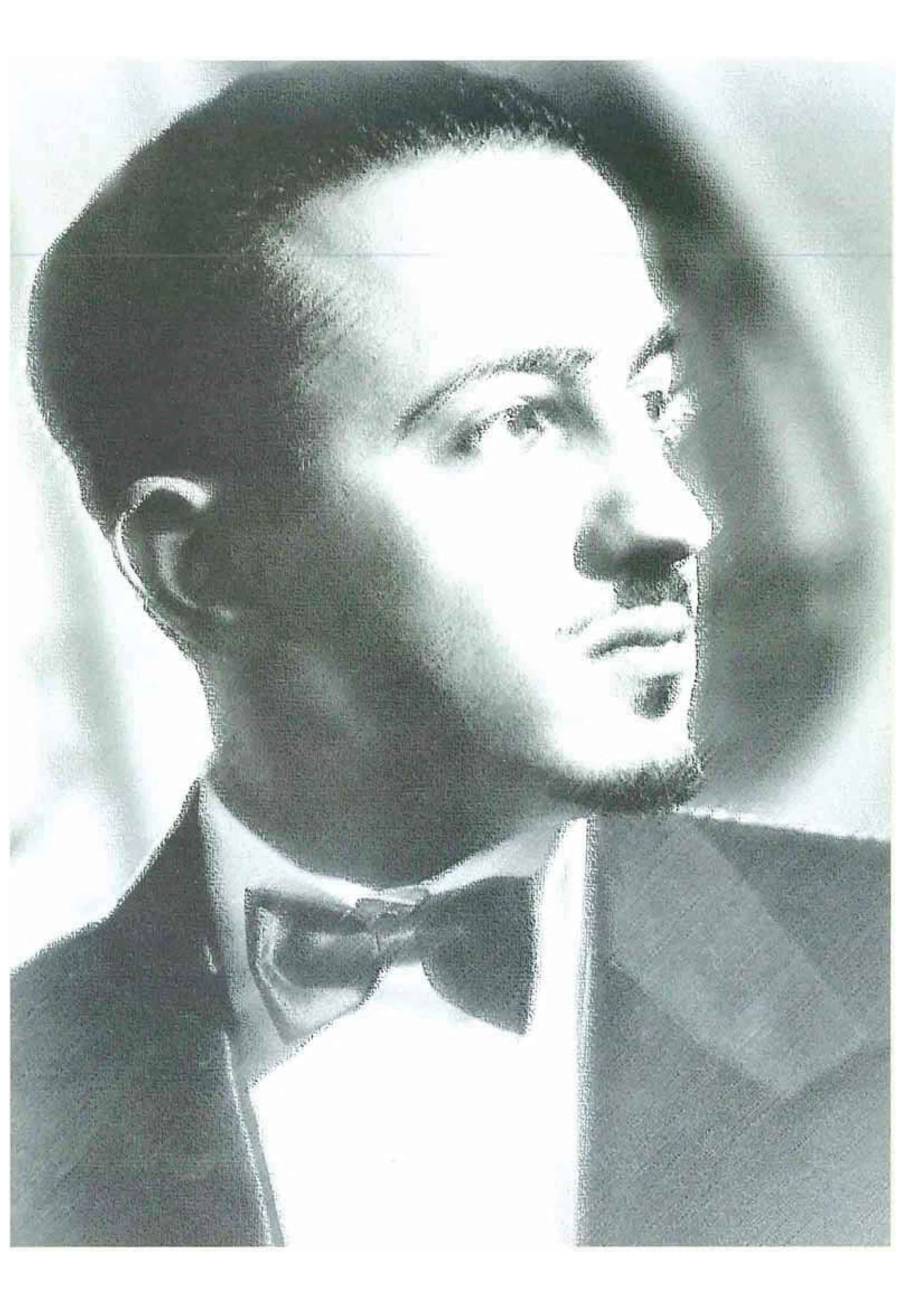
❖ وعن مدى توقعه الحصول على مثل هذه الجائزة، التي تتجاوز حدود الوطن العربي، قال:

لا أظن أن الشاعر الأصيل يفكر في ثمن صياغة مشاعره بصدق، أو ما ستصادفه هذه الصياغة ذات يوم.. إن ما يحرص عليه الشاعر هو أن يجسد مشاعر الناس، وأن يصور أحاسيسهم بصدق.. وبعد هذا، فليحكم الناس على ما يصدر.. قبولاً أو رفضًا.. انفعالاً به وتفاعلاً معه أو رفضًا له، لكنني لا أملك إلا أن أسجل اعتزازي بهذا التقدير، وأعدّ نفسي محاولة كبيرة في عالم فسيح، هو عالم الشعر الذي يتسع للحياة بكل ما فيها من أفراح وأتراح، وتجارب، ومواقف زاخرة بالعطاء، والجيشان الحسي.

❖ يقولون: إنك توقفت عن العطاء مؤخرًا.. فلماذا..؟

الشاعر لا يستطيع أن يتوقف عن العطاء الشعري، لكنه - كأي كائن حي - قد تمر به أوقات «جفاف» و«تكلس»، أو ما يمكن أن أسميه «بضبابية الرؤية»، ومرحلة «الاختزان» فقط.

ولعلي أبرؤ من هذه الحالة في اللحظة المناسبة، فأنا لا أستطيع الحياة من دون الشعر. ولا أتصور أن الشاعر يمكن أن يكون موجودًا من دون أن يعكس ما يمور في نفسه، وتجيش به نفسه.



الأستاذ الكبير

إن العلاقة بين شاعرنا صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل وأستاذه الكبير صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل علاقة قوامها الود والتقدير والاحترام المتبادل. علاقة مبنية على وشائج القربى. يقول الأمير خالد الفيصل عن ذلك:

«إعجابي بالأمير عبدالله بدأ منذ مجيئي إلى الحجاز وعمري وقتها ثماني سنوات. وقد أعجبت به إعجابًا شديدًا كأخ، وكإنسان. وكنت مشدودًا إليه بشدة، حتى إنني لازمته في معظم الأحيان. فكنت أحضر إلى بيته يوميًا، وكثيرًا ما كان يصطحبني معه. وكانت رعايته لي شبه خاصة.. وكان - دائمًا - يوجهني، ويفتح ذهني وعيني على أشياء كثيرة، وأذكر أنني منذ الصغر أحب الشعر، وهذا من الجوانب التي كانت تعجبني فيه..

وعلى الرغم من أن بعض الناس يتضايقون عندما يتلقون التوجيه أو النصح من أحد، إلا أنني كنت أشعر بسرور وانجذاب أكثر نحو الأمير عبدالله الفيصل عندما يوجهني.. أعجبت به كرجل، وإعجابي بشخصيته كبير، حتى إنني عندما أكون في جدة لا أكون إلا معه. وأشعر نحوه بمكانة الأب بالنسبة إلي.. فقد كان حريصًا على توجيهي منذ أن كنت صغيرًا، وأنا أشعر بأنه قد فتح ذهني على أشياء كثيرة.. «كنت معجبًا بشعره، وكلما قال قصيدة كتبتها...»الأمير عبدالله أخي الأكبر. ومدرستي في الأدب والفنون، وإبداعي الشعري جزء من هذه المدرسة».

ويضيف سموه في موضع آخر: «وأنا لست تلميذه في الشعر فحسب، ولكني تلميذه في مدرسة الحياة الشاملة، فقد تعلمت منه كثيرًا، وأدين له بالكثير. ومهما قلت فلن أفيه حقه في هذا المجال، لا في الشعر، ولا في غيره».

أما أبرز ما تأثرت به في مدرسته الشعرية، فيتمثل في جزالة اللفظ وسهولة الأسلوب، ووحدة المعنى في القصيدة، واختيار التعبيرات والأوصاف الملائمة لعقلية



العصر وطبيعته». ويضيف: «للأمير عبدالله الفيصل دور كبير في حياتي بلا شك، فقد كان ولا يزال بمنزلة الوالد الثاني لي. وسمو الأمير عبدالله يتميز بالكرم والشهامة والإحساس الرفيع. وقد كان لأستاذنا مكانة خاصة عند الملك الفيصل - رحمه الله - إذ يشير شاعرنا إلى أنه من أقرب المقربين عنده. وفي جلساتنا - غالبًا - ما يتوجه الملك فيصل بالحديث إليه. وربما كان لعامل السن أثر في ذلك؛ لأن فارق السن بينهما لا يزيد على الستة عشر عامًا - لا يزال الكلام لسموه - ومن قصائد الأمير عبدالله الفيصل التي لا أسأم من تكرارها قصيدة مطلعها:

الجود ما به يا منادي خطيا

وترى الخطا يا بوي ترك المواجيب

ويعود الأمير خالد الفيصل - في موقع آخر - إلى القول: «أنا تلميذ في مدرسة عبدالله الفيصل، ولا يمكن أن أكون إلا كذلك بالنسبة إليه، على الرغم مما يغمرني به أخي من تشجيع وصل - أحيانًا - إلى تقديمي على نفسه، وهذا غاية اللطف الذي عهدته - دائمًا - من أخي الأكبر وأستاذي الذي أدين له به في أمسي ويومي وغدي.

لقد كان للأمير عبدالله الفيصل جهد كبير في حركة التجديد في الشعر الشعبي.

يقول الأمير خالد الفيصل عن ذلك: «إن الأمير عبدالله الفيصل هو أول المجددين، فقد استطاع أن ينقل الشعر النبطي من مرحلة إلى مرحلة أخرى تجديدية. وشاركه في المرحلة نفسها الأمير سعود بن محمد، فقد نقلا الشعر النبطي من المحاكاة والتقليد للقصيدة الجاهلية إلى الشعر المتميز بعصريته وخصوصيته. وإلى وحدة القصيدة، ووحدة المعنى. والدخول في صلب الموضوع، بعيدًا عن كل البدايات التقليدية. وحددا موضوع القصيدة من دون ذلك الحشو الذي يهز القصيدة، ومن دون إطالة. للأمير عبدالله الفيصل قصائد لا تتعدى أربعة أبيات، وأعتقد أن

عبدالله الفيصل هو المجدد الأول. وأننا - كلنا الذين جئنا بعده - تلاميذه في مدرسته الشعرية. وقد سرنا في الطريق الذي وضعنا فيه الأمير عبد الفيصل».

وعندما أجرى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل عملية جراحية في النمسا سنة ١٤١١هـ، تألم شاعرنا لذلك. كيف لا والمريض أستاذه وأخوه الأكبر:

مـــن ونـــتـــك ونـــيـــت تـــســـعـــين ونـــه
يـا لـيـتـهـا بـي وأنـــت مـا عـــاد ونـيـت
يـا لـيـتـهـا بـي وأنـــت مـا جـــاك هـنـه
كـل مـا سـمـعـتـك قـلـت يـا لـيـت يـا لـيـت
يـا خـــوي عـــمـــري لـك ولا فـيـه مـنـه
أفـديـك بـالـغـالـي وبـالـحـي والـمـيـت

ولشاعرنا موقف طريف مع أستاذه ومعلمه الكبير، إذ يذكر سموه أنه عرض إنتاجه الأول على صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل، فمزقه وقذف به في سلة المهملات، وقال هذا هو المكان الذي يجب أن تحفظ فيه قصائدك يا خالد؟.

وعندما استوى الثمر على ساقه، وأصبح حلوًا جنيًا، فرح الأستاذ بذلك فرحًا عظيمًا، بل جعله يقول في أحد اللقاءات الصحفية: «كنت أستاذًا لخالد، وهو الآن أستاذي». ويقرأ شاعرنا ذلك فيتأثر به تأثرًا شديدًا، ويصدح شعره معبرًا عما في قلبه بالقصيدة الآتية:

يـا سـيـدي يـا خـوي يـا أسـتـاذ عـمـري
عـلـمـتـنـي وزن الـحـكـي قـبـل الأشـعـار
إن جـاز لـك يـا سـيـد الـشـعـر شـعـري
تـــراه مـــن فـضـلـة مـعـانـيـك تـذكـار
مـــديـــون لـك بـلـسـان قـلـبـي وفـكـري
بـالـلـي يـصـيـر وبـالـذي مـا بـعـد صـار
عـلـمـتـنـي وأنـــا بـالأحـــوال مـا أدري
ودلـيـتـنـي وأنـــا بـالأيـــام مـحـتـار
فـتـحـت لـي صـــدرك وغـذيـت صـــدري
وحـطـيـت بـه لـلـعـلـم والـعـرف مـقـدار
ومـديـت لـي يـمـنـاك مـن يـوم صـغـري
ونـقـلـتـنـي مـــن صـغـر لـكـبـار وكـبـار

من كتاب شاعرنا.. الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز. صالح بن ناصر الخريجي. ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

كبرياء

لا تشْكُ لي هَمَّ الهوَى. فالهَوَى
داءٌ، وبعضُ الداء صعبُ الدَّواءْ
ولا تَقُلْ لي كم لَمَحت الرُّؤى
عن دربِ محبوبٍ يجيدُ الجَفاءْ
فليسَ من طبعِ الحبيبِ اللِّقَا
وليس من خُلْقِ المحبِّ الثَّنَاءْ
إن الهَوَى لولا عذابُ النَّوَى
أرخصُ من مبذولِ طينٍ وَمَاءْ

❖❖❖

سَلْني عن الحبِّ ولا تَشْكُ لي
وَاسْتَبْدِلِ الآهاتِ بالكبرياءْ
فالدمعُ إن تسفحْه خلفَ الذي
يجفوكَ لا يُجْديكَ غيرَ الشَّقاءْ
ولا الأسى يُدني شرُودَ الهوَى
وليس من شرطِ الغرامِ اللِّقَاءْ
إن عذابَ الحبِّ درسٌ به
تجربةُ الصبرِ الفَتِيِّ الإبَاءْ
ومن يَهُنْ في حبه حَسْبُهُ
قلبٌ مهيضُ الكبرِ دامي الرجَاءْ
يغدو بِهِ اليأسُ بلا رحمةٍ
قبلَ الفَنَا، نحو دروبِ الفَنَاءْ
لا تَشْكُ لي ظلمَ حبيبٍ جَفَا
ففي الجَفَا يختالُ ذلُّ الرِّضَاءْ
ولا تَقُلْ: خَانَكَ من لم تَخُنْ
عهدًا له، فالقولُ مَحْضُ افتراءْ
لكنه الوَهْمُ يريكَ المنَى الـ
خضراءَ صفراءَ الرُّؤَا والبَهاءْ
إن الذي يدركُ معنى الهوى
يَهْوِي به البخلُ ويأبى السَّخَاءْ
قالوا الهوى مُرٌّ فهل فكَّروا
كم كلَّفَ الصبحَ افترارُ الضِّيَاءْ
هل عَادَ جَاني الوردِ من شَوْكِهِ
إلا براحٍ خَضَّبَتْهَا الدِّمَاءْ
والحبُّ كالوردِ طليقُ الشَّذَى
في شوكه يضمنُ معنَى البَقاءْ
أوْ هُوَ كالحصنِ منيعِ الذُّرى
يبلغُهُ الرُّوَّادُ بعد العَنَاءْ

❖❖❖

لا تشْكُ لي وَانْسَ الهوى إنه
تضحيةٌ يَرْخُصُ فيها العَطَاءْ
وَارْتَحْ من الحبِ وأعبائِهِ
إن شئتَ عيشًا سائغًا كالغَفَاءْ
فالحبُّ لا يدركُ أسرارَهُ
إلا صبورٌ مُغْرقٌ في الوَفَاءْ
أما الذي يُشْقيه داءُ الهوى
ولا يرى في الحبِّ غَيْرَ العَيَاءْ
خيرٌ له تَرْكُ الهوى جَانبًا
فراحةُ العيشِ كعيشِ الإماءْ

يعد الأمير عبدالله الفيصل أحد رواد الرياضة السعودية، ومن الذين وضعوا لبناتها، وكانوا وراء تطورها، بالفكر، والدعم المعنوي، والمادي.

وكان سموه ضمن المكرمين في حفل تكريم الرواد والمؤسسين للحركة الرياضية السعودية، الذي أقيم بقصر المؤتمرات في جدة برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز في مساء يوم ١٠ ربيع الأول سنة ١٤٢٦هـ (١٩ أبريل/ نيسان عام ٢٠٠٥م)، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة

من أخلص، وأعطى في جميع المجالات، ومنها الرياضة كجزء لا يتجزأ من ثقافة الأمم بوصفها الوجه الحضاري المشرق، ولكونها وسيلة مهمة من وسائل تقريب الشعوب، وتنمية روح المحبة والإخاء.

ويذكر أن الأمير عبدالله الفيصل بدأت علاقته بالرياضة وهو في الثامنة من عمره، إذ كان محبًا لركوب الخيل، واشتهر بتربيتها، رعى أول بطولة في كرة القدم في عام ١٩٣٠م، وهو في العاشرة من عمره، وكانت المباراة بين الأهلي وملايو، وقدم كأس الفريق الفائز للأهلي، وأنشأ في

الأمير عبدالله الفيصل.. رائد الرياضة السعودية

عسير - وقتئذ، وأحد أبرز المكرمين في هذا الحفل، وصاحب السمو الملكي الأمير نواف بن فيصل - نائب الرئيس العام لرعاية الشباب.

وأكد الأمير سلطان بن فهد أن صدور موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز - ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني وقتذاك- على تكريم الرواد المؤسسين دليل على أن الوفاء هو سمة هذه البلاد المعطاء تقديرًا منها لجهود

عام ١٣٧٢هـ إدارة خاصة للإشراف على فرق لكرة القدم تابعة لوزارة الداخلية، باسم (الإدارة العامة للرياضة البدنية والكشفية) عندما تولى سموه مسؤوليات الوزارة في عام ١٣٧٠هـ، وكلفها تنظيم اللعبة، بتصنيف اللاعبين وتسجيلهم، ثم تنظيم أول دوري عام بين الأندية، وأول دوري للكأس.

وقد طرح فكرة منتخبات المناطق من خلال تشكيل منتخبين أحدهما للغربية، والآخر للشرقية، للعب مباراة



على الكأس التي حملت اسمه، وتبنى إقامة أول دوري رسمي منظم على كأسه في المنطقة الغربية، وشاركت فيه حينها فرق الاتحاد، والثغر، وأهلي مكة، والهلال البحري، والوحدة، وفاز الاتحاد بالكأس بعد تغلبه على الثغر ٢/١.

وكان الأمير عبدالله الفيصل وراء تكوين الاتحاد السعودي لكرة القدم للإشراف على تنظيم المباريات تحت اسم (اللجنة العليا لاتحاد كرة القدم)؛ وذلك في سنة ١٣٧٥هـ، وأمر بإنشاء صندوق للاعبين، وافتتح التبرع لهذا الصندوق حينها بثلاثة آلاف ريال، واهتم بقاعدة التحكيم، واستجلب حكامًا من مصر، وأرسل كثيرين من الطاقات البشرية لحضور دورات تحكيمية، كما أوجد لجنة لمراقبة الحكام.

وفي سنة ١٣٧٦هـ قامت "إدارة الشؤون الرياضية" بوزارة الداخلية، واللجنة العليا لاتحاد كرة القدم بتصنيف الأندية الرياضية السعودية إلى ثلاث درجات (أولى/ ثانية / ثالثة)، وشاركت المملكة العربية السعودية في الدورة العربية الرياضية الأولى التي أقيمت بالإسكندرية عام ١٩٥٣م (إداريا فقط، ولم تشارك بفرق رياضية)؛ لأن معظم الألعاب الرياضية لم تكن قد انتشرت بعد، بخلاف كرة القدم التي كانت في طور التنظيم الرسمي كمسابقات وبطولات وفرق.

وكانت هذه أول مشاركة خارجية للمملكة، التي مثلها الأستاذ عبدالحق مال - مدير الشؤون الرياضية في حينه.

كما شاركت المملكة في الدورة العربية الرياضية الثانية ببيروت عام ١٩٥٧م بوفد إداري ورياضي برئاسة الأستاذ محمد طرابلس - مدير الشؤون الرياضية حينئذ، وشاركت المملكة في هذه الدورة أول مرة بفريق لكرة القدم، وآخر للكرة الطائرة.

وكان ما تحقق من تطور فني كبير للرياضة السعودية عامة، ولكرة القدم على وجه الخصوص، وقد تم اعتماد المملكة عضوا أساسيًا ورسميًا في الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) في سنة ١٣٧٦هـ عام (١٩٥٥م)، وجاءت الموافقة الرسمية من الفيفا في العام التالي.

وكان الأمير عبدالله الفيصل وراء اعتماد تنظيم ثلاث بطولات في السعودية: وهي كأس الملك لفرق الدرجة



الأولى، ويكون اللعب فيها بطريقة الدوري العام. من دورين، ويسمح فيه بمشاركة أربعة لاعبين أجانب، وكأس ولي العهد للاعبين المواطنين، ويقام بطريقة خروج المغلوب، وبطولة وزارة الداخلية الجهة الراعية للرياضة السعودية، وتم تخصيص تلك البطولة لفرق الدرجة الثانية بطريقة الدوري العام، كما أقر نظام الإعانة للأندية.

ويبدو من هذا التنظيم مستوى الفكر الرياضي الذي كان يحمله سموه، وحرصه على أن يصب التنظيم في مصلحة الكرة السعودية.

ويقول د. عبدالرزاق أبو داود في مذكراته الرياضية التي نشرتها صحيفة الرياض: «تعد اللجنة الأولمبية العربية السعودية قمة الهرم التنظيمي للرياضة في المملكة العربية السعودية، وهي هيئة رياضية عليا ذات شخصية اعتبارية مستقلة، ترعاها الدولة، وتساعدها على تحقيق أهدافها، التي تنبثق من أهداف اللجنة الأولمبية الدولية. وقد تأسست سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، وانضمت إلى عضوية اللجنة الأولمبية الدولية سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م بعد انضمام الاتحادات الوطنية السعودية: لألعاب القوى، وكرة القدم، وكرة السلة، وكرة الطائرة، والدراجات للاتحادات الدولية. وتعد اللجنة الأولمبية الهيئة الوحيدة التي تمثل المملكة في الدورات الإقليمية والعربية والقارية والدولية والأولمبية بالتعاون مع الاتحادات الرياضية الوطنية، والرئاسة العامة لرعاية الشباب بطبيعة الحال.

وقد شاركت اللجنة الأولمبية السعودية بصورة متوالية في حركة النهضة العامة التي تشهدها المملكة، ويعود الفضل في نشأة اللجنة الأولمبية السعودية أول مرة إلى الأمير عبدالله الفيصل رائد الرياضة السعودية، وذلك في سنة ١٣٧٣هـ عندما كان وزيراً للداخلية، وأصدر قراراً بتشكيلها تحت اسم «اللجنة الاستشارية العليا» برئاسة سموه. كما أكد ذلك الأستاذ محمد علي القدادي نقلاً عن الأستاذ مصطفى كامل منصور الخبير الرياضي المصري، الذي عمل سابقاً في الإدارة العامة للرياضة البدنية والكشفية السعودية في أوائل عقد السبعينيات الهجرية المنصرمة. وتعد هذه اللجنة، التي تكونت من مجموعة تراوح بين (٥ و ١١ عضواً) من جهات حكومية ورياضية، وشخصيات بارزة هي أول تشكيل تأسيسي للجنة الأولمبية السعودية، كما يبدو من خلال ما أورده الأستاذ محمد القدادي، الذي لم يذكر أسماء أعضاء أول «لجنة أولمبية سعودية»».

غير أن اللجنة الأولمبية السعودية أعيد تأسيسها سنة ١٣٨٤هـ، «وجرى تأكيد اعتبارها هيئة رياضية عليا ذات شخصية اعتبارية مستقلة ترعاها الدولة، وتساعدها على تحقيق أهدافها». وانضمت إلى اللجنة الأولمبية الدولية في عام ١٩٦٥م».

وترأس سموه الاتحاد السعودي لكرة القدم، واللجنة الأولمبية الأهلية السعودية، وكانت آخر مسؤولياته الرياضية الوطنية توليه رئاسة اللجنة العليا المنظمة لدورة كأس الخليج الثانية بالرياض سنة ١٣٩٢هـ، إذ احتضن معسكر المنتخب في قصره بجدة لمدة خمسة أشهر لإعداد اللاعبين، وتحضيرهم لهذه البطولة، وساهم في تكفله بعلاج كثير من اللاعبين، وإرسالهم إلى الخارج على حسابه الخاص، كما ظل سموه يقدم الحوافز المادية والمعنوية لأبنائه الرياضيين في جميع اللعبات.

وارتبط سموه بالنادي الأهلي في جدة منذ سنة ١٣٧٩هـ، وظل يدعم النادي ماديًا ومعنويًا، ويذكر أن سموه رتب للنادي الأهلي زيارة إلى لندن لحضور نهائيات كأس العالم في عام ١٩٦٦م.

وبعد أن اعتزل العمل الإداري في مجال الرياضة، ظل متابعًا للتطورات في هذا الميدان الذي أحبه.

وتتويجًا لمسيرته الرياضية الحافلة كان إطلاق اسم سموه على استاد رعاية الشباب في جدة يوم الجمعة الموافق ٣١مايو/ أيار عام ٢٠٠٠م، وقد أعلن ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما كان وليًا للعهد بعد حضوره نهائي كأس ولي العهد بين الشباب والهلال.

ورسخ الأمير عبدالله الفيصل الأبعاد الإنسانية للرياضة، بمبادراته لتبني إقامة المباريات التي تدعم القضايا العربية والإسلامية والإنسانية، ومنها تلك التي أقيمت لصالح فلسطين، وشهداء بورسعيد.

وضع الرياضية السعودية في المسار الصحيح

صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز - عضو شرف النادي الأهلي: «إن الأمير عبدالله الفيصل - رحمه الله - أبلى في ميدان الوطن فخدم، وبذل، وأعطى بصدق وإخلاص وأمانة، وكان رجل المسؤولية في عمله، والثقة في كفايته، وظهرت بصماته وجهوده واضحة جلية في نتاج المسؤوليات التي تولاها، والمناصب التي تقلدها.. ويعدّ سموه رائداً للرياضة السعودية، وفارساً للشعر والأدب، وشخصية معروفة بإسهاماتها الكبيرة في كثير من الميادين.

وقد وضع الرياضة السعودية على المسار الصحيح من خلال لبنات التأسيس، والدعم المستمر لها، ولأنديتها ومنتخباتها ولاعبيها، علاوة على اهتمامه ببناء صرح شامخ، وكيان كبير هو النادي الأهلي، الذي عاش تحت ظل دعمه أجمل سنوات عمره، فكفل له مسيرة ذهبية ظافرة في ميادين المنافسات المختلفة، وسار (الأهلاويون) على نهجه ومبادئه في صياغة العمل، والتخطيط للمنجز، فواصل النادي الأهلي مشواره البطولي بجدارة واقتدار.. ونحن - الرياضيين - نفتقد سموه اليوم بعد أن أفنى سنوات عمره في خدمة وطنه، واستطاع من خلال قيمة عمله رسم طريق واضح لمنجزاتنا الرياضية بعد سنوات البناء والدعم والاهتمام بإرساء رياضة قوية مثمرة في المستقبل».

ورحل.. مؤسس الرياضة السعودية

تركي بن ناصر السديري: «ورحل الأمير عبدالله الفيصل.. أهم رجال الرياضة في تاريخ المملكة العربية السعودية، ولا يماثله أحد في الأهمية، والإنجاز، والريادة.

ولا أتصور الرياضة السعودية من دون الأمير عبدالله الفيصل أن تكون على ما كانت عليه، فهو الذي كان له الفضل الكبير في أن توجد في المجتمع السعودي بشكل فاعل ومقبول.. ولولا الأمير المثقف والمستنير والمحنك والمؤمن برسالة الرياضة، ما كان للحركة الرياضية السعودية أن تكون بهذا المقدار، ولو لم يوجد مثل هذا الأمير المهم في الوقت والزمان المبكرين من نشوء الدولة السعودية الحديثة في مجتمع لم يعرف الرياضة الحديثة، وهو المجتمع المنغلق









حول نفسه وعوزه وشظف العيش، الذي أهلكته الحروب، وغياب القانون، ووحشة الفرقة والتشرذم، وجثوم نواميس الركود والتقليدية في معاشه وحياته..

أقول: إن وجود الأمير الراحل في الوقت والزمان المبكرين من نشوء الدولة الحديثة هو نعمة نعمت بها الحركة الرياضية السعودية، حيث أسس لهذه الحركة الحديثة، وهندس الحقل الذي كوّن أساسيات الوعاء الرياضي السعودي الذي تقف على أرضيته الرياضة السعودية في العصر الحديث».

نعم الرائد والفارس

أحمد المرزوقي - رئيس مجلس إدارة النادي الأهلي: «يمثل الأمير عبدالله الفيصل تاريخًا كبيرًا من المجد والإنجازات، والعمل الجاد لخدمة الوطن في ميادين الرياضة والأدب والشعر، واستطاع خلال حقبة طويلة من الزمن تشجيع الحركة الرياضية في المملكة، ودعمها، وتوفير الإمكانات كافة لها من أجل النمو والتطور. وقد أرسى سموه دعائم النادي الأهلي ليكون صرحًا رياضيًا كبيرًا، وصل إلى ما وصل إليه على المنهج الذي رسمه له، فكان النادي ينبوعًا يروي الرياضة السعودية في مختلف الألعاب.. وللأمير عبدالله الفيصل أياد بيضاء على معظم الأندية السعودية من خلال دعمها، والوقوف معها في أحلك الظروف، لذا فإن فقدانه يمثل خسارة جسيمة لجميع الرياضيين، الذين سيظلون يتذكرون اللبنة الأولى، التي غرسها على طريق تطور الحركة الرياضية السعودية، فكان نعم الرائد والفارس الذي أسهم بتجل في صنع التاريخ الرياضي».

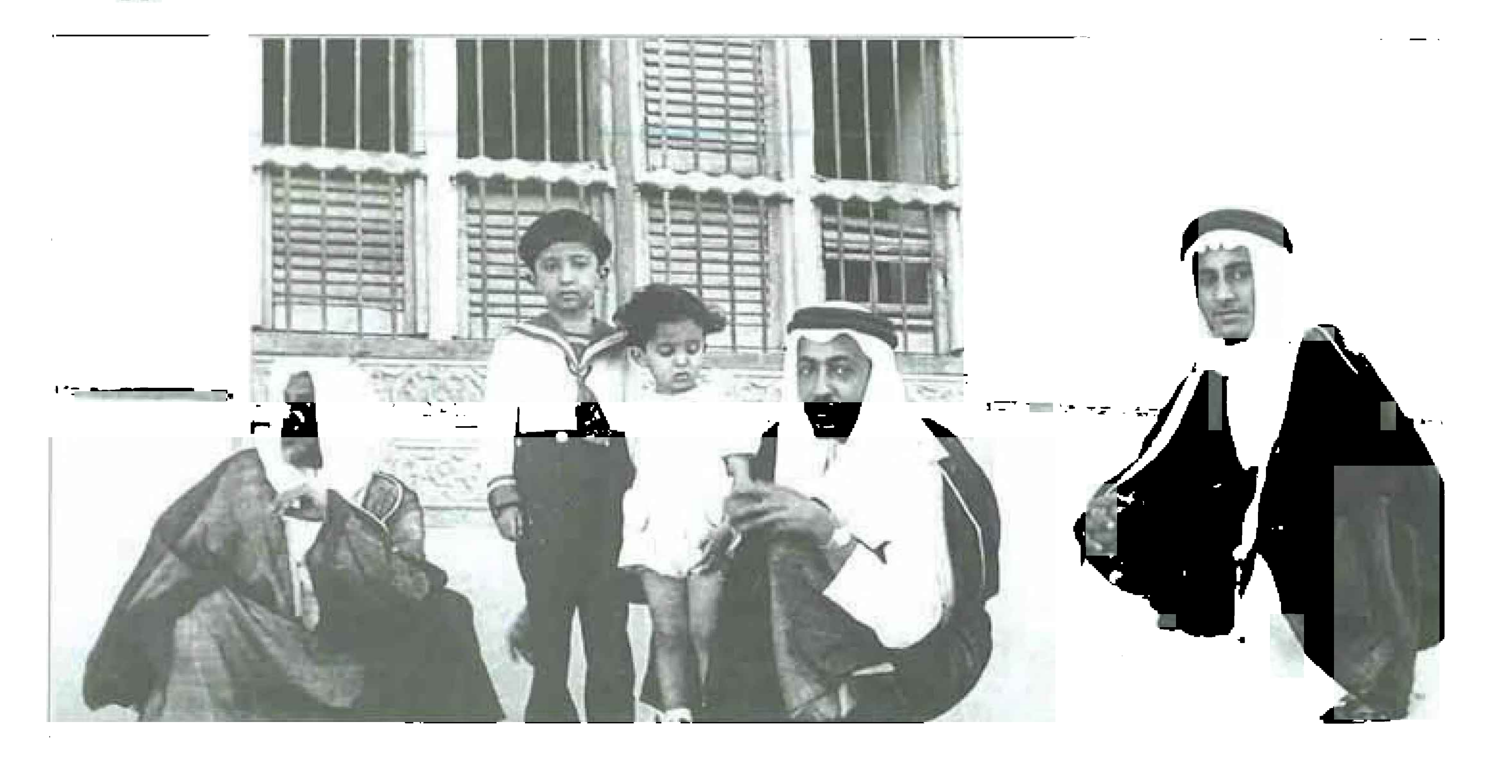


الشخصية الرياضية الأولى

رائد الحركة التأسيسية للرياضة بالمنطقة الوسطى الشيخ عبدالرحمن بن سعيد: «صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل الشخصية الرياضية الأولى، الذي يرعى الرياضة عندما كانت إدارتها قد عينت بأمر من سموه في وزارة الداخلية، التي هو وزيرها آنذاك، وكانت الشؤون الرياضية قسمًا من أقسام إدارات الوزارة. وهو الذي وضع لبنة التأسيس الحقيقي للمسابقات، ووضع كأسًا صمم بأمر من سموه قدرت قيمته بخمسين ألف ريال، وهو أول كأس تقام عليه المباريات الرسمية، وباسم صاحب الجلالة الملك المعظم، ومع أن تلك الإدارة اقتصر عملها ورعايتها على فرق الغربية وأنديتها فقط، حيث لم يكن هناك تسجيل رسمي لأندية مدن المملكة الأخرى. ويقف الفقيد الراحل الأمير عبدالله الفيصل -رحمه الله- على قمة هرم شخصيات رياضية تميزت بحب الرياضة، وأسست، وساهمت، ودعمت الأندية الرياضية، والحركة الرياضية السعودية، ومعلوم أن أول كأس للملك فاز بها فريق الوحدة سنة ١٣٧٧هـ على حساب فريق الاتحاد ٤/صفر».

رجل المبادئ

المحاضر الدولي عبدالرحمن الموزان: «رجل



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن فيصل بن عبدالعزيز -عليه رحمة الله- الذي كان مدرسة في الأدب والفنون، ومبدعاً في كل بحور الشعر، وهو الرائد الأول لكرة القدم، فقد رسخ لنا المبادئ والأسس الصحيحة، وترك لنا قراءة وترجمة المفردات التي كنا غير قادرين - آنذاك - على معانيها بذلك النهج، والتعامل مع الوقائع الرياضية التاريخية، والذي كان يتعامل معها كفارس شجاع يأبى إلا أن يكون في مقدمة الصفوف بتلك الثقافة، والعقلية التي سبقت عصره، فلقد طبق نظام الاحتراف بلوائح تكفل للاعب حرية التنقل والانتقال بما يكفل مصلحة تلك الشبيبة والجيل المتوقد والمتحمس للظهور، ليعطي للوطن متى ما وجد الأجواء المناسبة، التي تساعده على نشر الإبداع على أرض ميادين اللعب المهيأة حسب الإمكانات في تلك الحقبة الزمنية، التي لم يكن بها ملاعب قانونية، بل كانت ترابية في ظل الشح المادي، والفكر الإداري، وقد كان سموه يهيّئ الملاعب النظيفة، وإن كانت ترابية على أسس هندسية تكفل للاعب الممارسة بحرية، وعدم الخوف من الإصابات، وهو ما لم يكن متوافراً لدى الأندية الأخرى.

لقد رحل عنا بعد أن خلد ذكريات عطرة، وعطاءات نعجز عن حصرها، وثبت لنا مبادئ في قواميس رياضية، وأبقى تاريخاً رياضياً وأدبياً، وأعمالاً ومآثر إنسانية تحتاج إلى كثير من المجلدات، ومن تلك المكارم قيامه بتسديد الديون عن بعض المعوزين، وإرساله كثيرًا من المرضى، الذين يتعذر علاجهم داخل المملكة إلى بعض الدول الأوروبية.

لقد شاهدت بعيني كثيرًا من المصابين بأمراض الفصام يعالجون في (النمسا) سنة ١٣٨٩هـ عندما كنت في دورة تحكيمية على حسابه الخاص، من دون أن يعلم بذلك الإعلام حيث لم يكن يرغب في ذلك».

عِشْتَ لي

عِشْتَ لي يا فيصلَ الحقِّ الأبي
والـــذا يختال فيه نَسَبي
وأرى الدُّنيا بعَيْنَيْه دُنَى
من بطولات وفضلٍ مُخْصِبِ
يا شبابًا أزلِيًّا للعُلا
دائمَ الوثبِ مَجيدَ المطلبِ
عَلَمٌ أنت على هام الرُّجا
تلتقي فيه أماني العرَبِ
عِزَّةُ الإسلام رفَّتْ فوقَهُ
وخَبِيئةُ الهَدْي عن خير نَبِي
والمروءاتُ به عالقةٌ
كمصابيح السَّنا في الشُّهُبِ

❖❖❖

والدي يا واحةَ العِزِّ التي
جَمَعَتْ كُلَّ معاني القلبِ
أنت دنيايَ التي أزهو بها
مُطْمَئِنُّ الحِسِّ إنْ أنتسبِ
فإذا غنَّيْتُ يومًا للعُلا
لحنَ مَجْدي الغابرِ المستعذبِ

كان لي عذري بأنِّي فَنَنٌ
لأصول الفخر.. جَدِّي وأبي
جَدِّيَ الباني على ضوءِ الهُدَى
وأبي المُكمِلُ صَرْحَ الحسَبِ

❖❖❖

يا أبي يا قُطْبَ أبطالِ الوَغَى
يا فريدَ العزمِ عَبْرَ الحِقَبِ
خَصَّكَ اللهُ بعقلٍ راجحٍ
نِلْتَ فيه عالياتِ الرُّتَبِ
وبإيمانٍ عميقٍ.. صادقٍ
هو قاموسُ جُدودي النُّجُبِ
وبحِلْمٍ ندرتْ أمثالُهُ
تلتقي فيه سَوَاقي الغضبِ
وبجُودٍ عجزتْ عن مثله
دِيَمٌ هَطَّالةٌ بالسُّحُبِ
فغَدَوْتَ النهجَ للناسِ ولي
وغدَوْتَ المُرْتَجَى في النُّوَبِ

❖❖❖❖

والدي.. عفوَكَ عني إن أكنْ
مُثْقَلًا بالهمِّ بادي التَّعَبِ
تائهَ الفكرِ بوادي حَيْرَتي
واجمًا كالحاضرِ المُغْتَرِبِ
فشبابي الغَضُّ أمسى يَبَسًا
وامتلا بالشيبِ شَعْري الذَّهَبي
إن عصرًا ماجِنًا نحيا به
يُوصَمُ الفضلُ به بالكذبِ
صَيَّرَ الجيلَ الجديدَ المرتجَى
غارقًا بين اللَّهَا واللَّعِبِ

وقليلٌ من شبابِ العصرِ مَنْ
يتَّقي اللهَ بنَيْلِ الأرَبِ

❖❖❖

والدي.. عفوكَ عني إن أقُلْ
عصرُنا.. عصرُ نعيمٍ للغبي
عندليبُ الروضِ يخشى وكرَهُ
والمغاني فُتِنَتْ بالعقربِ
أين جيلُ اليومِ من آبائِهِ
يومَ عاشوا للعلا والأدبِ

يومَ كانَ الخُلقُ في جوهرِهِ
غايةً يُسعى لها في الطلبِ
يومَ كانَ الغربُ في مَجهَلةٍ
والنُّهى عن شرقِنا لم تغبِ
ويلُ هذا الجيلِ من تاريخهِ
ويلَهُ من مَشيِهِ المضطربِ
هُوَ في وَهمِ الحضاراتِ مَشى
كفراشٍ في مَهَبِّ اللهبِ



ثورة الشكّ

أكادُ أشكُّ في نفسي لأنّي
أكادُ أشكُّ فيكِ وأنتِ مِنّي
يقولُ النّاسُ إنّكِ خنتِ عهدي
ولمْ تحفظْ هوايَ ولمْ تصُنّي
وأنتِ مُنايَ أجمعُها مشتْ بي
إليكِ خُطى الشّبابِ المُطمئنِّ
وقدْ كادَ الشّبابُ لغيرِ عوْدٍ
يُوَلّي عنْ فتًى في غيرِ أمْنِ
وها أنا فاتَني القدرُ المُوالي
بأحلامِ الشّبابِ ولمْ يَفُتْني
كأنّ صِبايَ قدْ رُدّتْ رُؤاهُ
على جفني المُسهَّدِ أوْ كأنّي
يُكذِّبُ فيكِ كلَّ النّاسِ قلبي
وتسمعُ فيكِ كلَّ النّاسِ أُذْني
وكمْ طافتْ عليَّ ظلالُ شكٍّ
أقضّتْ مضجعي واستعبدتْني
كأنّي طافَ بي ركْبُ اللّيالي
يُحدّثُ عنكِ في الدُّنيا وعنّي
على أنّي أُغالِطُ فيكِ سمْعي
وتُبصِرُ فيكِ غيرَ الشّكِّ عيْني
وما أنا بالمُصدِّقِ فيكِ قوْلاً
ولكنّي شقيتُ بحُسْنِ ظنّي
وبي ممّا يُساوِرُني كثيرٌ
منَ الشّجنِ المُؤرّقِ لا تدَعْني
تُعذَّبُ في لهيبِ الشّكِّ روحي
وتشقى بالظّنونِ وبالتّمنّي
أجِبْني إذْ سألتُكِ هلْ صحيحٌ
حديثُ النّاسِ خُنْتِ؟ ألمْ تخُنّي؟!